

المبحث الحادي والعشرون: الأسباب التي تزيل الغفلة وتجلب الخشوع في الصلاة

يجب ترك الأسباب التي تزيل الخشوع في الصلاة، أو تضعفه، والعمل بالأسباب التي تجلبه وتقويه، وهي كثيرة، منها الأسباب الآتية:

السبب الأول: معرفة الله تعالى: بأسمائه، وصفاته، وألوهيته، وربوبيته، فيجب على العبد أن يعلم أن الله تعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا؛ فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وما أثبتته له رسول الله ﷺ، من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تكْييف، ولا تمثيل، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ، وأن الله تعالى هو: الخالق المالك لكل شيء، المدبّر له، لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، ولا مذلّ لمن أعزّ، ولا معزّ لمن أذلّ، ولا خافض لمن رفع، ولا رافع لمن خفض، ومن هذه صفاته وأسمائه وأفعاله، فهو المستحقُّ للعبادة وحده، لا شريك له، ولا معبود بحقٍ سواه، ولا ربَّ غيره، فيجب على العبد أن يعبد هذا الربَّ الكريم كأنه يراه؛ فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن معرفة الله نوعان:

النوع الأول: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس: البرُّ والفاجر، والمطيع والعاصي.

النوع الثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلّق القلب به، والشوق إلى لقاءه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخاصة، والناس يتفاوتون فيها؛ ولهذه المعرفة بابان واسعان:

الباب الأول: التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله تعالى، ورسوله ﷺ.

الباب الثاني: التفكر في آيات الله المشهودة، وتأمل حكمته فيها، وقدرته، ولطفه، وإحسانه، وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه، وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنى، وجلالها، وكمالها، وتفردِه بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيهاً في أوامره، ونواهيه، فقيهاً في قضائه وقدره، فقيهاً في أسمائه وصفاته، فقيهاً في الحكم الديني الشرعي، والحكم الكوني القدري، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١) «^(٢)».

السبب الثاني: علاج قسوة القلب، ومرضه، وغفلته؛ فإن هذه الأمراض من أعظم الأسباب في عدم الخشوع في الصلاة؛ لأن القلب إذا صلح صلحت الأعمال، والأحوال، فقد قال النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٣).

• وقد ذمَّ الله أصحاب القلوب القاسية، وأقساها قلوب اليهود، قال الله تعالى عنهم وعن قلوبهم: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) الفوائد لابن القيم، ص ٣٧٨-٣٧٩، بتصرف.

(٣) مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم ١٥٩٩.

ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^(١)

• وقد حذر الله المؤمنين من قسوة القلوب فقال ﷺ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^(٢)»

• وذمَّ الله تعالى ذمًّا عاماً لكل من قسا قلبه، وأثبت له الويل والهلاك، فقال: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٣)».

ولا شك أن علاج قسوة القلوب يكون بالنظر إلى أسباب القساوة ثم إزالتها، ويكون ذلك على النحو الآتي:

١- الوفاء بالعهد مع الله تعالى في القيام بالواجبات التي أوجبها تعالى، والابتعاد عن المحرّمات التي حرّمها على عباده، وكذلك الوفاء بالعهد مع المخلوقين، قال الله تعالى في سبب قساوة قلوب اليهود: «فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

(١) سورة البقرة، الآيات ٧١ - ٧٤.

(٢) سورة الحديد، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ»^(١).

٢- كثرة ذكر الله تعالى بالقلب مع اللسان، من أعظم أسباب سلامة القلوب من القسوة والأمراض المعنوية؛ فإن من أسباب قسوة القلوب كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى؛ لحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْقَلْبُ الْقَاسِي»^(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «...وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ النُّحَاسُ، وَالْفِضَّةُ، وَغَيْرُهُمَا، وَجَلَاؤُهُ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّهُ يَجْلُوهُ حَتَّى يَدَعَهُ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ؛ فَإِذَا تَرَكَ الذِّكْرَ صَدِيَ، فَإِذَا ذَكَرَ جَلَاهُ، وَصَدَأَ الْقَلْبُ بِأَمْرَيْنِ: بِالْعَقْلَةِ وَالذَّنْبِ، وَجَلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ»^(٣).

وقد بين الله ﷻ: أن بذكره تطمئن القلوب، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٤).
وأعظم الذكر: القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب: منه، برقم ٢٤١١، وقال: «حسن غريب»، وحسن إسناده عبد القادر الأرنبوط في تحقيقه للأذكار للنووي، ص ٢٨٥.

(٣) الوابل الصيب، ص ٨٢.

(٤) سورة الرعد الآية: ٢٨.

يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^(١).

ومن ذكر الله تعالى الدعاء؛ فإن الدعاء لغة: الطلب والابتهال؛ يُقال: دعوتُ الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير^(٢) ودعا الله: طلب منه الخير ورجاه منه، ودعا لفلان: طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب له الشر^(٣).

والدعاء: سؤال العبد ربه على وجه الابتهال، وقد يطلق على التقديس والتحميد ونحوهما^(٤).

فالدعاء نوعٌ من أنواع الذكر؛ فإن الذكر ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ذكر أسماء الله وصفاته ومعانيها والثناء على الله بها، وتوحيد الله بها وتنزيهه عما لا يليق به. وهو نوعان أيضاً:

أ- إنشاء الثناء عليه بها من الذاكِر وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث نحو: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

ب- الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: الله ﷻ على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد لراحلته، وهو يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم.

النوع الثاني: ذكر الأمر، والنهي، والحلال والحرام، وأحكامه فيعمل

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) المصباح المنير ١/١٩٤.

(٣) المعجم الوسيط ١/٢٦٨.

(٤) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ص ١٣١.

بالأمر ويترك النهي، ويُحرَّم الحرام ويُحلُّ الحلال، وهو نوعان أيضاً:

أ- ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا، وأحب كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

ب- ذكره عند أمره فيبادر إليه ويعمل به، وعند نهيه فيهرب منه ويتركه.

النوع الثالث: ذكر الآلاء والنعماء والإحسان، وهذا أيضاً من أجل أنواع الذكر، فهذه خمسة أنواع.

وهي تكون ثلاثة أنواع أيضاً:

أ- ذكرٌ يتواطأ عليه القلب واللسان، وهو أعلاها.

ب- ذكرٌ بالقلب وحده، وهو في الدرجة الثانية.

ج- ذكرٌ باللسان المجرد، وهو في الدرجة الثالثة^(١).

ومفهوم الذكر: هو التخلص من الغفلة والنسيان، والغفلة: هي تركٌ باختيار الإنسان، والنسيان تركٌ بغير اختياره.

والذكر على ثلاث درجات:

١- الذكر الظاهر: ثناءً على الله تعالى كقول: «سبحان الله والحمد لله

ولا إله إلا الله والله أكبر».

أو ذكر دعاء: نحو: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢). ونحو قوله: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث». ونحو ذلك.

(١) مدارج السالكين لابن القيم، ٢/٤٣٠، ١/٢٣، والوابل الصيب لابن القيم، ص ١٧٨-١٨١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

أو ذكر رعاية: مثل قول القائل: الله معي، الله ينظر إليّ، الله شاهدي، ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله، وفيه رعاية لمصلحة القلب، ولحفظ الأدب مع الله والتحرز من الغفلة، والاعتصام بالله من الشيطان وشر النفس.

والأذكار النبوية تجمع الأنواع الثلاثة، فإنها تضمنت الثناء على الله، والتعرض للدعاء والسؤال، والتصريح به. وهي متضمنة لكمال الرعاية، ومصلحة القلب، والتحرز من الغفلات، والاعتصام من الوسوس والشيطان.

٢- **الذكر الخفي:** وهو الذكر بمجرد القلب والتخلص من الغفلة، والنسيان، والحجب الحائلة بين القلب وبين الرب سبحانه، وملازمة الحضور بالقلب مع الله كأنه يراه.

٣- **الذكر الحقيقي:** وهو ذكر الله تعالى للعبد^(١): ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٢).

وقال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٣).

(١) مدارج السالكين، ٢/٤٣٤-٤٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٣) متفق عليه: البخاري واللفظ له، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٨]، برقم ٧٤٠٥، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب

٣- ترك الذنوب والتوبة منها؛ فإن كثرة الذنوب من أعظم أسباب قساوة القلوب، والحذر منها والابتعاد عنها من أعظم أسباب السلامة، قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، وقال النبي ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَاضَةٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُزْبَادًا»^(٢) كَالْكُوزِ مُجْحِيًا^(٣) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^(٤).

قال الإمام ابن المبارك رحمه الله:

رَأَيْتُ الذَّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكَ الذَّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرَ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا^(٥)
قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «إِنْ لِلْحَسَنَةِ: ضِيَاءٌ فِي الْوَجْهِ،

= كتاب الذكر والدعاء والتوبة ...، برقم ٢٦٧٥، من حديث أبي هريرة ؓ.

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٢) أسود مربادًا: شبه البياض في سواد، [شرح النووي، ٥٣٢/٢].

(٣) الكوز مجحيا: منكوساً، نكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة [شرح النووي، ٥٣١/٢].

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، برقم ١٤٤.

(٥) ديوان عبد الله بن المبارك، ص ٢٦، وشعب الإيمان للبيهقي، ٤٦٤ / ٥، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١ / ٣٢٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٨ / ٢٧٩.

ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإنّ للسيئة: سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق»^(١).

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله: أن القلب يفسد بأمور: التعلق بغير الله تعالى، وركوب بحر التمني، وكثرة النوم، وكثرة الطعام، والمفسد منه نوعان: أكل الحرام، والإسراف^(٢).

وقال رحمه الله: «قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة»^(٣).

٤- ترك كثرة الضحك والفقهية؛ فإن كثرة ذلك تميّت القلب؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلْ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمْ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِيَدِي، فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقُلُوبَ»^(٤).

٥- كثرة ذكر الموت؛ فإن الغفلة عن الموت وطول الأمل مما

(١) الجواب الكافي لابن القيم، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) الفوائد الإيمانية من كتب ابن القيم، ص ٣٧، ٤١.

(٣) فوائد الفوائد مرتبة مبوبة، لابن القيم ص ٢٦٢، تخريج علي بن حسن عبد الحميد.

(٤) الترمذي، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، برقم ٢٣٠٥، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٣٠، وفي صحيح سنن الترمذي، ٥٢٦/٢.

يُقسي القلب؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ»^(١) يعني الموت، وفي لفظ لابن حبان: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»^(٢). وفي لفظ لابن حبان أيضاً: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ»^(٣)، فَالْمَوْتُ يَقْطَعُ اللَّذَاتِ وَيُزِيلُهَا، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْفَلَ عَنْ ذِكْرِ أَعْظَمِ الْمَوَاعِظِ! وَهُوَ الْمَوْتُ، قَالَ الْإِمَامُ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ ذَكَرَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ فَائِدَةُ الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَذْكُرُونَهُ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلِيلَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثْرَهُ»^(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟^(٥)

(١) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، برقم ٢٣٠٧، والنسائي، كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، برقم ١٨٢٣، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم ٤٢٥٨، وابن حبان بلفظ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ» برقم ٢٩٩٢، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي وفي غيره، ٦/٢: «حسن صحيح».

(٢) صحيح ابن حبان، برقم ٢٩٩٣، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٤٥.

(٣) صحيح ابن حبان، برقم ٢٩٩٥، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

(٤) سبل السلام، للصنعاني، ٣/ ٣٠٢، وهذا الخبر أخرجه الطبراني في الأوسط، بلفظ: «أَكْثَرُوا

ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ - يعني الموت - فإنه ما كان في كثيرٍ إِلَّا قَلِيلَهُ، وَلَا قَلِيلٍ إِلَّا جِزْأَهُ»

[مجمع البحرين، ٨/ ٢٠٦، برقم ٥٠٧٦]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٣٠٩:

«إسناده حسن».

(٥) أكيس: أعقل [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٤/ ٢١٧].

قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ»^(١).

٦- إطعام المسكين ومسح رأس اليتيم؛ فإن من أسباب قسوة القلوب ترك الإحسان إلى اليتامى والمساكين؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا شَكَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَلِينَ قَلْبَكَ فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»^(٢).

٧- زيارة القبور والتفكير في حال أهلها ومصيرهم؛ لأن الغفلة عن ذلك من أسباب قسوة القلب؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(٣).

وعن بريدة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا» [زاد الترمذي]: «فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»، وفي لفظ أبي داود: «فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكَرَةً»^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي

(١) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم ٤٢٥٩، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٤١٩، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٣٨٤.

(٢) أحمد في المسند، ٢/ ٢٦٣، و٢/ ٣٨٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٤١٠، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٥٣٣.

(٣) مسلم، برقم ١٠٨ - (٩٧٦)، وتقدم تخريجه في بكائه ﷺ عند زيارة قبر أمه.

(٤) مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة أمه، برقم ١٠٦ - (٩٧٧)، والترمذي، برقم ١٠٥٤، والنسائي بنحوه، برقم ٢٠٣١، وأبو داود، برقم ٣٢٣٧.

نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً [وَلَا تَقُولُوا مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ]»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُذَمِّعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هَجْرًا»^(٢) ^(٣).

وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ لِحَيْتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»^(٤) ^(٥).

٨- النظر في ديار الهالكين، والاعتبار بمنازل الغابرين؛ فإن الغفلة عن التَّفَكُّرِ في ذلك من أسباب قسوة القلب؛ ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فيقف على بابها،

(١) أحمد، ٣/٣٨، ٦٣، ٦٦، والحاكم، ١/٣٧٤، والبيهقي، ٤/٧٧، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني في أحكام الجنائز، ص ٢٨٨: «وهو كما قالوا».

(٢) الهجر: الفحش، والكلام الباطل، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٥/٢٤٥.

(٣) أحمد، ٣/٢٣٧، ٢٥٠، والحاكم، ١/٣٧٦، ٣٧٥، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٢٢٩.

(٤) أفضع: أشد، وأشنع. شرح السندي على سنن ابن ماجه، ٤/٥٠٠.

(٥) الترمذي، كتاب الزهد، باب حدثنا هناد، برقم ٢٣٠٨، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، واللفظ له، برقم ٤٢٦٧، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/٥٢٧.

وينادي بصوت حزين، فيقول: «أين أهلك؟»، ثم يرجع إلى نفسه، فيقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١).

قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢).

٩- الاستفادة في علاج القلوب من حِكَمِ الحكماء؛ فإن ذلك مما يوقظ القلوب؛ لما جعل الله تعالى على ألسنتهم من الحِكَمِ:

* قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاصُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «دَوَاءُ الْقُلُوبِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ، وَخَلَاءُ الْبَطْنِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ، وَالتَّضَرُّعُ عِنْدَ السَّحَرِ، وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ»^(٣).

* وَنُقِلَ عَنْ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: «جَمَعْتَ لَكَ حِكْمَتِي فِي سِتِّ كَلِمَاتٍ:

اعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِمَقْدَارِ بَقَائِكَ فِيهَا،
واعْمَلْ لِلْآخِرَةِ بِمَقْدَارِ بَقَائِكَ فِيهَا،
واعْمَلْ لِلَّهِ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ لَهُ،
واعْمَلْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ بِمَقْدَارِ مَا تَطِيقُ مِنَ الْعُقُوبَةِ،
وَلَا تَسْأَلْ إِلَّا مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ،
وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهَ فَاعْصِهِ فِي مَكَانٍ لَا يَرَاكَ فِيهِ»^(٤).

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٦.

(٣) الخشوع في الصلاة، لابن رجب، ص ٣٥.

(٤) الخشوع في الصلاة لابن رجب، ص ٣٥.

* وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى في موعظته حين سألوه عن قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١)، وإنا ندعوه فلم يستجب لنا، فقال:

«عـرفتم الله فلم تطيعـوه،
وقرأتم القرآن فلم تعملوا به،
وعـرفتم الشيطان فوافقتمـوه،
وادّعيتم حبّ رسول الله ﷺ وتركتم سنته،
وادّعيتم حبّ الجنة ولم تعملوا لها،
وادّعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب،
وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له،
واشتغلتم بعيوب غيركم ولم تنظروا إلى عيوبكم،
وتـأكلون رزق الله ولا تشكرون،
وتـدفنون أمواتكم ولا تعتبـرون»^(٢).

١٠ - علاج قسوة القلوب كما ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فقد ذكر رحمه الله: أن القلوب ثلاثة:

القلب الأول: القلب السليم: وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٣).

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) الخشوع في الصلاة، لابن رجب ص ٣٥-٣٦.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الَّذِي قَدْ سَلِمَ مِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ تُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، وَمِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبْرَهُ، فَسَلِمَ مِنْ عُبُودِيَّةٍ مَا سِوَاهُ، وَسَلِمَ مِنْ تَحْكِيمٍ غَيْرِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ الصَّحِيحُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِعَیْرِ اللَّهِ فِيهِ شَرَكٌ بِوَجْهِ مَا؛ بَلْ قَدْ خُلِصَتْ عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ: إِرَادَةً، وَمَحَبَّةً، وَتَوَكُّلاً، وَإِنَابَةً، وَإِخْبَاتًا، وَخَشْيَةً، وَرَجَاءً، وَخُلِصَ عَمَلُهُ لِلَّهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِنْ أَبْغَضَ أَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَإِنْ أَعْطَى أَعْطَى لِلَّهِ، وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ لِلَّهِ، فَهَمُّهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَحُبُّهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَقَصْدُهُ لَهُ، وَبَدْنُهُ لَهُ، وَأَعْمَالُهُ لَهُ، وَنَوْمُهُ لَهُ، وَيَقَظَّتُهُ لَهُ، وَحَدِيثُهُ، وَالْحَدِيثُ عَنْهُ أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدِيثٍ، وَأَفْكَارُهُ تَحُومُ عَلَى مَرَاضِيهِ، وَمَحَابِّهِ^(١)، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى هَذَا الْقَلْبَ.

القلب الثاني: القلب الميت: وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ، وَلَا يَعْبُدُهُ بِأَمْرِهِ، وَمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛ بَلْ هُوَ وَقِفٌ مَعَ شَهَوَاتِهِ وَلَذَائِطِهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا سَخَطُ رَبِّهِ وَغَضَبُهُ، فَهُوَ مُتَعَبِّدٌ لِعَیْرِ اللَّهِ: حُبًّا، وَخَوْفًا، وَرَجَاءً، وَرِضًا، وَسُخْطًا، وَتَعْظِيمًا، وَذُلًّا، إِنْ أَبْغَضَ أَبْغَضَ لِهَوَاهُ، وَإِنْ أَحَبَّ أَحَبَّ لِهَوَاهُ، وَإِنْ أَعْطَى أَعْطَى لِهَوَاهُ، وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ لِهَوَاهُ، فَالْهَوَى إِمَامُهُ، وَالشَّهْوَةُ قَائِدُهُ، وَالْجَهْلُ سَائِقُهُ، وَالْغَفْلَةُ مَرْكَبُهُ^(٢). نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ.

القلب الثالث: القلب المريض: هُوَ قَلْبٌ لَهُ حَيَاةٌ، وَبِهِ عِلَّةٌ، فَلَهُ

(١) انظر: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم رحمه الله، ٧ / ١، و٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١ / ٩.

مَادَّتَانِ تُمِدُّهُ هَذِهِ مَرَّةً، وَهَذِهِ أُخْرَى، وَهُوَ لِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا، فَفِيهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ: مَا هُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ، وَفِيهِ مِنْ مَحَبَّةِ الشَّهَوَاتِ، وَالْحِرْصِ عَلَى تَحْصِيلِهَا، وَالْحَسَدِ وَالْكِبْرِ، وَالْعُجْبِ، وَحُبِّ الْعُلُوِّ، وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِالرِّيَاسَةِ، وَالتَّفَاقِ، وَالرِّيَاءِ، وَالشُّحِّ وَالْبُخْلِ مَا هُوَ مَادَّةُ هَلَاكِهِ وَعَطْبِهِ^(١)، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ.

وقد مُثِّلَ ذلك بمثال حسن. وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، [وهذا مثال للقلب السليم]، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره، وليس جواهر الملك وذخائره، [وهذا مثال للقلب المريض]، وبيت خالٍ صفر لا شيء فيه، [وهذا مثال للقلب الميت]، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟

فإن قلت: من البيت الخالي، كان محالاً؛ لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يُسْرَق؛ ولهذا قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها، فقال: وما يصنع الشيطان بالبيت الخراب؟^(٢).

وإن قلت: يسرق من بيت الملك، كان ذلك كالمستحيل

(١) انظر: إغاثة اللهفان، ٩ / ١.

(٢) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، ٢٢ / ٦٠٩، وفي الفتاوى الكبرى، ٢ / ٢٢٤، وعزاها لبعض السلف.

الممتنع، فإن عليه من الحرس واليزك^(١) ما لا يستطيع اللصّ الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه، وكيف يستطيع اللصّ الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله؟ فلم يبق للّص إلا البيت الثالث، فهو الذي يشن عليه الغارات.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حقّ التأمل، ولينزله على القلوب، فإنها على منواله.

فقلب خلا من الخير كله، وهو قلب الكافر والمنافق، فذلك بيت الشيطان، قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذة سكناً ومستقراً، فأى شيء يسرق منه، وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه؟.

وقلب قد امتلأ من جلال الله ﷻ وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه، فأئى شيطان يجترئ على هذا القلب؟ وإن أراد سرقة شيء منه، فماذا يسرق، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له منها، إذ هو بشر، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع. وقلب فيه توحيد الله تعالى، ومعرفته، ومحبته، والإيمان به والتصديق بوعدده، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع.

وقلب بين هذين الداعيين. فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان، والمعرفة، والمحبة لله تعالى، وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعي

(١) اليزك والحرس بمعنى.

الشیطان، والهوى، والطباع، فهذا القلب للشیطان فيه مطمع، وله منه منازل ووقائع، ويعطي الله النصر من يشاء ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١)، وهذا لا يتمكن الشیطان منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل إليه الشیطان، فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به؛ فإن أسلحته هي: الشهوات، والشبهات، والخيالات، والأمانى الكاذبة، وهي في القلب، فإن كان عند العبد عدة عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب، فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها، انتصف من الشیطان، وإلا فالدولة لعدوه عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإذا أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته، وأدخله عليه، ومكنه من السلاح يقاتله به، فهو المعلوم.

فَنَفْسُكَ لَمْ وَلَا تَلَمْ الْمَطَايَا وَمَت كَمَا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِذَارٌ^(٢)

وَعِلَاجُ الْقَلْبِ مِنْ جَمِيعِ أَمْرَاضِهِ قَدْ تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وقال الله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٤).

وَأَمْرَاضُ الْقُلُوبِ نَوَعَانِ:

نَوْعٌ لَا يَتَأَلَّمُ بِهِ صَاحِبُهُ فِي الْحَالِ، وَهُوَ مَرَضُ الْجَهْلِ،
وَالشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ، وَهَذَا هُوَ أَعْظَمُ النُّوعَيْنِ أَلَمًا، وَلَكِنْ لِفَسَادِ
الْقَلْبِ لَا يُحْسُ بِهِ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم، ص ٤٣-٤٥ بتصرف يسير.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

وَنَوْعٌ: مَرَضٌ مُؤَلِّمٌ فِي الْحَالِ: كَالْهَمِّ، وَالْغَمِّ، وَالْحُزْنِ، وَالْغَيْظِ، وَهَذَا الْمَرَضُ قَدْ يَزُولُ بِأَدْوِيَةٍ طَبِيعِيَّةٍ بِإِزَالَةِ أَسْبَابِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(١).

وَعِلَاجُ الْقَلْبِ يَكُونُ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الشَّكِّ، وَيُزِيلُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ، وَدَنَسِ الْكُفْرِ، وَأَمْرَاضِ الشُّبُهَاتِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَهُوَ هُدًى لِمَنْ عَلِمَ بِالْحَقِّ، وَعَمِلَ بِهِ، وَرَحْمَةٌ لِمَا يَحْصُلُ بِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(٢).

الْأَمْرُ الثَّانِي: الْقَلْبُ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

١- مَا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُوَّتُهُ وَذَلِكَ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَعَمَلِ أَوْرَادِ الطَّاعَاتِ.

٢- الْحِمِيَّةُ عَنِ الْمَضَارِ، وَذَلِكَ بِاجْتِنَابِ جَمِيعِ الْمَعَاصِي، وَأَنْوَاعِ الْمُخَالَفَاتِ.

٣- الاسْتِفْرَاجُ مِنْ كُلِّ مَادَّةٍ مُؤْذِيَةٍ، وَذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

الْأَمْرُ الثَّالِثُ: عِلَاجُ مَرَضِ الْقَلْبِ مِنْ اسْتِيلَاءِ النَّفْسِ عَلَيْهِ:

لَهُ عِلَاجَانِ: مُحَاسَبَتُهَا، وَمُخَالَفَتُهَا، وَالْمُحَاسَبَةُ نَوْعَانِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: قَبْلَ الْعَمَلِ، وَلَهُ أَرْبَعُ مَقَامَاتٍ:

١- هَلْ هَذَا الْعَمَلُ مَقْدُورٌ لَهُ؟

(١) انظر: إغاثة اللفهان، ١/ ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

٢- هَلْ هَذَا الْعَمَلُ فِعْلُهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ تَرْكِهِ؟

٣- هَلْ هَذَا الْعَمَلُ يُقْصَدُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ؟

٤- هَلْ هَذَا الْعَمَلُ مُعَانٌ عَلَيْهِ، وَلَهُ أَعْوَانٌ يُسَاعِدُونَهُ، وَيَنْصُرُونَهُ إِذَا كَانَ الْعَمَلُ يَحْتَاجُ إِلَى أَعْوَانٍ؟ فَإِذَا كَانَ الْجَوَابُ مُوجُودًا أَقْدَمَ وَإِلَّا لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَبَدًا.

النَّوعُ الثَّانِي: بَعْدَ الْعَمَلِ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١- مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ عَلَى طَاعَةِ قَصْرَتْ فِيهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ تَوْقِعْهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ، وَمِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى: الْإِخْلَاصُ، وَالنَّصِيحَةُ، وَالْمُتَابَعَةُ، وَشُهُودُ مَشْهَدِ الْإِحْسَانِ، وَشُهُودُ مَنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ، وَشُهُودُ التَّقْصِيرِ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ.

٢- مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ كَانَ تَرْكُهُ خَيْرًا لَهُ مِنْ فِعْلِهِ.

٣- مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ عَلَى أَمْرِ مُبَاحٍ، أَوْ مُعْتَادٍ لَمْ يَفْعَلْهُ، وَهَلْ أَرَادَ بِهِ اللَّهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، فَيَكُونُ رَابِحًا؟ أَوْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا فَيَكُونُ خَاسِرًا؟ وَجَمَاعُ ذَلِكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَوَّلًا عَلَى الْفَرَائِضِ، ثُمَّ يُكَمِّلُهَا إِنْ كَانَتْ نَاقِصَةً، ثُمَّ يُحَاسِبُهَا عَلَى الْمَنَاهِي، فَإِنْ عَرَفَ أَنَّهُ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْهَا تَذَارَكَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، ثُمَّ عَلَى مَا عَمِلَتْ بِهِ جَوَارِحُهُ، ثُمَّ عَلَى الْغَفْلَةِ^(١).

الْأَمْرُ الرَّابِعُ: عِلَاجُ مَرَضِ الْقَلْبِ مِنْ اسْتِيلَاءِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِ:

الشَّيْطَانُ عَدُوُّ الْإِنْسَانِ، وَالْفِكَاكُ مِنْهُ هُوَ بِمَا شَرَعَ اللَّهُ مِنْ

(١) انظر: إغاثة اللهفان، ١/ ١٣٦.

الاستِعَاذَةُ، وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الاستِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ، قُلُهُ إِذَا أَضْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(١).

وَالاستِعَاذَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْإِخْلَاصُ، يَمْنَعُ سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ^(٢).

السبب الثالث: الابتعاد عن الوسوسة؛ فإنها أعظم موانع الخشوع في الصلاة، فإذا نجا العبد من هذا المرض الخطير فقد نجا من شرور كثيرة:

* والوسواس: الشيطان، قال الله ﷻ: «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ»^(٣).

والوسوسة: حديث النفس والشيطان، بما لا نفع فيه ولا خير^(٤).

وقال ابن الأثير: الوسوسة: هي حديث النفس والأفكار، ورجل مَوْسُوسٌ: إذا غلبت عليه الوسوسة، وقد وسوست إليه نفسه، وسوسةً، وَوسواساً... والوسواس ... اسم للشيطان، ووسوس: إذا

(١) الترمذي، برقم ٣٣٩٢، وأبو داود، برقم ٥٠٥٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٢/٣.

(٢) انظر: إغاثة اللفهان، ١/ ١٤٥ - ١٦٢.

(٣) سورة الناس، الآية: ٤.

(٤) القاموس المحيط، للفيروز أبادي، باب السين فصل الواو، ص ٤٧٨.

تكلم بكلام لم يُبينه»^(١).

وفي الحديث «...الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَةِ...»^(٢).

والفرق بين الشك والوسوسة: أن الشك: هو التردد في الوقوع وعدمه، فهو مستوي الطرفين، وهو اعتقاد أن تقاوم تساويهما لا مزية لأحدهما على الآخر، وأما الوسوسة فهي كما تقدم: حديث النفس والشيطان لا تُبنى على أصل، بخلاف الشك، فإنه يُبنى على أصل^(٣).

* أسباب الوسوسة:

١- قِلَّةُ العلم الشرعي: أي بالكتاب والسنة، وما عليه الصحابة وأتباعهم رضي الله عنهم.

٢- ضعف الإيمان؛ لأن الشيطان يتسلط على أهل المعاصي، بخلاف قوي الإيمان.

٣- الاسترسال مع الأفكار؛ فإن هذا الاسترسال يجعل للشيطان مدخلاً عليه.

٤- الغفلة عن ذكر الله تعالى؛ فإن الذكر يطرد الشيطان ووساوسه.

٥- ضعف العقل؛ فإن صاحب العقل الكامل المؤمن ينجو من الوسوسة بفضل الله تعالى.

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٥/ ١٨٦.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب في الوسوسة، برقم ٥١١٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/ ٢٥٦.

(٣) انظر: بغية المسترشدين، لعبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر باعلوي، ص ٥.

٦- عدم مخالطة أهل العلم والإيمان الكامل.

٧- عدم اتباع الرسول ﷺ؛ فإن الشيطان يدخل من هذا المدخل.

وهذه الأسباب لها أدلة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها^(١).

* مظاهر الوسوسة عند الموسوسين:

١- التأخر في حال الاستنجاء، أو الوضوء والاعتسال، وهذه أغلب حالات الوسواس.

٢- تكرار الوضوء، أو الطهارة، أو الصلاة، والإسراف في ماء الطهارة، وإعادة هذه العبادات؛ لأنه يظن أنها فاسدة.

٣- تكرير الحرف في ألفاظ القراءة، أو أذكار الصلاة وغيرها، كما ذكر ابن قدامة رحمه الله في ذم الموسوسين، وابن القيم في إغاثة اللهفان رحمه الله.

٤- إبدال الملابس؛ لأنه يتوهم أنه أصابها نجاسة.

٥- وسوستهم في العقيدة، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيُنْتِهِ»، وفي لفظ لمسلم: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»، وفي رواية لمسلم: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ

(١) انظر: تحفة المؤمنين في ذم الوسوسة وعلاج الموسوسين؛ لعبد الله بن سليمان العتيق، [مذكرة، ص ٥-٧].

فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ وَزَادَ: «وَرُسُلِهِ»^(١).

وعن زُمَيْلٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ! قَالَ: فَقَالَ لِي أَشْيَاءٌ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ وَضَحِكَ. قَالَ: مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ ... «الخبر، وفي آخره قال ابن عباس: «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾»^(٢) (٣).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «أَوْقَدْ وَجَدْتُمُوهُ». قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»، وفي لفظ: «تِلْكَ مَخْضُ الْإِيمَانِ»^(٤).

وقوله: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» معناه: أَنْ صَرِيحُ الْإِيمَانِ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ قَبُولِ مَا يَلْقِيهِ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَالتَّصَدِيقُ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ وَسُوسَةً^(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٤.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب في الوسوسة، برقم ٥١١٠، وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٥٦/٣.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجده، برقم ١٣٢.

(٥) انظر: معالم السنن للخطابي، ١٣٦/٤.

رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ، يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ»، وفي لفظ: «رَدَّ أَمْرَهُ»^(١).

والوسوسة خطيرة على المسلم، وقد ذكر الوسوسة وأحكامها، وأخطارها العلماء رحمهم الله تعالى، ومن أعظم من فصل في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في: «مجموع الفتاوى»^(٢)، وتلميذه الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه: «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»^(٣).

وعلاج الوسوسة على النحو الآتي:

- ١- طلب العلم الشرعي.
- ٢- تقوية الإيمان بالطاعات والنوافل.
- ٣- مداومة ذكر الله تعالى على كل حال؛ فهي حصن حصين من الوسوسة، ومن كل شر.
- ٤- مجالسة الصالحين، ومخالطة الناس الذين يستفيد منهم.
- ٥- معرفة أن الحق هو ما جاء به الرسول ﷺ.
- ٦- الاعتراف بأن الوسوسة من أبطل الباطل.
- ٧- الاستعاذة بالله من الشيطان كما ثبت في الأدلة.
- ٨- لا يطيل الجلوس والمكث في الحمام أو الخلاء فوق

(١) أبو داود، برقم ٥١١٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٥٦/٣، وتقدم تخريجه في تعريف الوسوسة.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦٠٣/٢٢ - ٦١٣.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم، ١٢٦/١ - ١٦٣.

حاجته؛ لأن في ذلك كشفاً للعورة بلا حاجة؛ ولأن الحشوش والمراحيض مأوى الشياطين، والنفوس الخبيثة^(١).

٩- ينضح فرجه وسراويله بالماء؛ ليدفع عن نفسه الوسوسة؛ لحديث الحكم بن سفيان قال: «كان رسول الله ﷺ إذا بال توضأ وينتضح»^(٢).

١٠- إذا تَيَقَّنَ الطهارة ثم شكَّ في الحدث فله أن يصلي بطهارته؛ لأنه على طهارة، وإذا تَيَقَّنَ الحدث ثم شكَّ هل تطهر أم لا فليس له أن يصلي إلا بعد الطهارة؛ وإذا شكَّ بعد الانتهاء من العبادة، فلا يلتفت إليه، إلا إذا تيقن يقيناً لا شك فيه، وإذا كثرت الشكوك فلا يلتفت إليها^(٣).

السبب الرابع: متابعة المؤذن من الأمور التي تجلب الخشوع في الصلاة:

لا شك أن متابعة المؤذن والقول مثل ما يقول تكون من أسباب جلب الخشوع في الصلاة؛ لأن إجابة المؤذن، ب: «لا حول ولا قوة إلا بالله» فيها الالتجاء إلى الله تعالى، واعتماد القلب عليه، فلا حول ولا قوة للعبد إلا به سبحانه، قال الإمام النووي رحمه الله: «قال أبو الهيثم: الحول الحركة، أي لا حركة ولا استطاعة، إلا بمشيئة الله... وقيل: لا حول في دفع شرٍّ، ولا قوّة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل:

(١) انظر: صلاة المؤمن للمؤلف، ص ٣٥.

(٢) أبو داود، كتاب الطهارة، باب في الانتضاح، برقم ١٦٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣٤/١.

(٣) انظر: صلاة المؤمن للمؤلف، ص ٥٠ [الحاشية]، وص ٢٨٠، وانظر: بحث مفيد، في ذم الوسوسة وعلاج الموسوسين، لعبد الله بن سليمان العقيل ص ١-٣٠ [مذكرة].

لا حول عن معصيته إلا بعصمته، ولا قوّة على طاعته إلا بمعاونته، وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه ^(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقال الطيبي: معنى الحيعلتين: هلّمّ بوجهك وسريرتك إلى الهدى عاجلاً، والفوز بالنعيم آجلاً، فناسب أن يقول هذا أمر عظيم لا أستطيع مع ضعفي القيام به إلا إذا وفقني الله بحوله وقوّته» ^(٢).

فيسنّ لمن سمع المؤذن والمقيم أن يتابعه سرّاً بقوله، فيقول مثله، إلا في الحيعلتين فيقول: «لا حول ولا قوّة إلا بالله»، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول الأذكار المشروعة بعد الأذان، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأئمة في الذكر عند الأذان وبعده خمسة أنواع ^(٣) على النحو الآتي:

النوع الأول: يقول السامع مثل ما يقول المؤذن إلا في لفظ: «حي على الصلاة، وحي على الفلاح»، فيقول: «لا حول ولا قوّة إلا بالله»؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» ^(٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٢ / ٩٢.

(٣) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢ / ٣٩١: «وأما هديه صلى الله عليه وسلم في الذكر عند الأذان فشرع لأئمة منه خمسة أنواع...» ثم ذكر هذه الأنواع الآتية.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، برقم ٦١١، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٣.

أشهد أن لا إله إلا الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، من قلبه دخل الجنة»^(١).

النوع الثاني: يقول عقب تشهد المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمداً رسولاً، وبالإسلام ديناً^(٢)، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمداً رسولاً، وبالإسلام ديناً، غُفِرَ له ذنبُهُ». وفي رواية: «من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد...»^(٣).

النوع الثالث: يُصَلِّي على النبي ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا علي؛ فإنه من صلَّى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(٤).

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، برقم ٣٨٥.

(٢) انظر: صحيح ابن خزيمة، ٢٢٠/١، ومجموع فتاوى ابن عثيمين، ١٢/١٩٤، وهكذا سمعته من شيخنا ابن باز غير مرة، أن المجيب يقول هذا الذكر بعد قول المؤذن الشهادتين.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم ٣٨٦.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم ٣٨٤.

النوع الرابع: يقول بعد صلاته على النبي ﷺ ما ثبت في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»^(١).

وثبت عند البيهقي زيادة: «إنك لا تخلف الميعاد»^(٢).

النوع الخامس: يدعو لنفسه بعد ذلك، ويسأل الله من فضله؛ فإنه يستجاب له، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعوة لا ترد بين الأذان والإقامة فادعوا»^(٣).

وسمعت شيخنا الإمام العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله وقدس روحه - يقول: «هذه الأنواع تقال كلها مرة واحدة مجموعة مع كل أذان»^(٤).



(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، برقم ٦١٤.

(٢) سنن البيهقي، ٤١٠/١، وحسن إسناده الإمام ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٣٨، وفي مجموع الفتاوى له، ٣٠٥ / ٢٩.

(٣) أحمد في المسند، بلفظه، ٢٢٥/٣، وأبو داود، في كتاب الصلاة باب في الدعاء بين الأذان والإقامة، برقم ٥٢١، بلفظ: «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، برقم ٢١٢، وفي كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، رقم ٣٥٩٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢٦٢/١.

(٤) سمعته أثناء تقريره على زاد المعاد، عند قول ابن القيم: «فصل في هديه ﷺ في الأذان وأذكاره»، ٣٩١/٢.

السبب الخامس: العمل بآداب المشي إلى الصلاة من أعظم ما يجلب الخشوع: إذا عمل المسلم بالآداب المشروعة في المشي إلى الصلاة؛ فإن ذلك يكون من أسباب التوفيق للخشوع في الصلاة، ومن هذه الآداب الآداب الآتية:

١- يتوضأ في بيته ويسبغ الوضوء؛ لحديث عمر رضي الله عنه يرفعه: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(١)، زاد الترمذي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(٢)، وفي النسائي: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٣)، ثم يُصَلِّي ركعتين بعد الوضوء؛ لحديث عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٤)؛ ولحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطَّهَوْرَ ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحِطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ»^(٥).

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

(٢) الترمذي، كتاب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨ / ١.

(٣) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨١، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل، ١٣٥ / ١، و٩٢ / ٢.

(٤) مسلم، كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

(٥) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، برقم ٦٥٤.

٢- يتتعد عن الروائح الكريهة؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته». وفي لفظ لمسلم: «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس». وفي لفظ لمسلم: «من أكل البصل والثوم والكراث، فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»^(١).

٣- يأخذ زيتته ويتجمل؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢)؛ ولقول النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»^(٣).

٤- يدعو دعاء الخروج من المنزل ويخرج بنية الصلاة؛ فيقول: «بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٤). «اللهم إني أعوذ بك أن أضلّ أو أضلّ، أو أزلّ، أو أزلّ، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو أجهل عليّ»^(٥). «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي سمعي

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث، برقم ٨٥٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهى من أكل ثوماً وبصلاً وكرثاً أو نحوها، برقم ٥٦٤، و٥٦١، ٥٦٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، برقم ٩١.

(٤) إذا قال ذلك يقال حينئذ: «هديث، وكفيت، ووقيت، فتنحى له الشياطين، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي، وكفي ووقي»، أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال إذا خرج من بيته، برقم ٥٠٩٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٣٤٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١٥١/٣.

(٥) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا خرج من بيته، برقم ٥٠٩٤، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء فيما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٣٤٢٧، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو الرجل إذا خرج من بيته، برقم ٣٨٨٤، وصححه الألباني في صحيح

نوراً، وفي بصري نوراً، ومن فوقني نوراً، ومن تحتي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً، وعظم لي نوراً، واجعل لي نوراً، واجعلني نوراً، اللهم أعطني نوراً، واجعل في عصبي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً^(١).

٥- لا يشبك بين أصابعه في طريقه إلى المسجد ولا في صلاته؛ لحديث كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه، ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبك بين أصابعه؛ فإنه في صلاة»^(٢).

٦- يمشي وعليه السكينة والوقار؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا». وفي لفظ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»^(٣).

وفي هذا الحديث الحث على إتيان الصلاة بسكينة ووقار، والنهي

= سنن ابن ماجه، ٣٣٦/٢.

(١) جميع هذه الألفاظ من صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل، برقم ٦٣١٦، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبي ﷺ ودعائه، برقم ٧٦٣، وفي رواية ١٩١- (٧٦٣) فخرج إلى الصلاة وهو يقول. وكل هذه الروايات من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية التشبيك بين الأصابع في الصلاة، برقم ٣٨٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٢١/١.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأتها بالسكينة والوقار، برقم ٦٣٦، وكتاب الجمعة، باب المشي إلى الجماعة، برقم ٩٠٨، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيًا، برقم ٦٠٢.

عن إتيانها سعيًا، سواء في صلاة الجمعة وغيرها، وسواء خاف فوت تكبيرة الإحرام أو لا، وقوله «إذا سمعت الإقامة» إنما ذكر الإقامة للتنبيه على ما سواها؛ لأنه إذا نُهي عن إتيانها سعيًا في حال الإقامة مع خوفه فوت بعضها، فقبل الإقامة أولى، وأكّد ذلك ببيان العلة فقال ﷺ: «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة»، وهذا يتناول جميع أوقات الإتيان إلى الصلاة، وأكّد ذلك تأكيداً آخر، فقال: «فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا». فحصل فيه تنبيه وتأکید لئلا يتوهم مُتَوَهِّمُ أن النهي إنما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة، فصرّح بالنهي وإن فات من الصلاة ما فات، وبَيَّن ما يفعل فيما فات^(١).

٧- ينظر في نعليه قبل دخول المسجد، فإن رأى فيهما أذى مسحه بالتراب؛ لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليَنظر فإن رأى في نعليه قدراً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما»^(٢). وتطهير النعلين يكون بمسحهما بالتراب؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وطئ أحدكم بنعليه الأذى فإن التراب له طهور». وفي لفظ: «إذا وطئ الأذى بخفيه فطهورهما التراب»^(٣).

٨- يقدم رجله اليمنى عند دخول المسجد ويقول: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم»^(٤).

(١) انظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، ١٠٣/٥.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعلين، برقم ٦٥٠، وابن خزيمة، برقم ١٠١٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٢٨/١.

(٣) أبو داود، كتاب الطهارة، باب الأذى يصيب النعل، برقم ٣٨٥، ٣٨٦، وصححهما الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٧٧/١.

(٤) فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفِظَ مِنِّي سائر اليوم، أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول

[بسم الله والصلاة] ^(١) [والسلام على رسول الله] ^(٢) [اللهم افتح لي أبواب رحمتك]؛ لحديث أبي حميد أو أبي أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك» ^(٣).

٩- يُسَلِّمُ إذا دخل المسجد على من فيه بصوت يسمعه من حوله؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» ^(٤). وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار» ^(٥).

١٠- يُصَلِّي تحية المسجد، فإن كان المؤذن قد أذن بعد دخول الوقت صلى الراتبة إن كان للصلاة راتبة، فإن لم يكن لها راتبة قبلها فسنة ما بين الأذنين؛ لأن بين كل أذنين صلاة، وتجزئ عن تحية المسجد، فإن دخل المسجد قبل دخول وقت الصلاة صلى ركعتين؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» ^(٦).

= الرجل عند دخوله المسجد، برقم ٤٤٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٢/١، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(١) ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٨٨، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب، ص ٦٠٤.
(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخول المسجد، برقم ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٢/١.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم ١١٣.
(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم ٥٤.
(٥) البخاري، كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام، ١٥/١.

(٦) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٤، ومسلم، كتاب

١١- إذا خلع نعليه داخل المسجد وضعهما بين رجله؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم فخلع نعليه فلا يؤذي بهما أحداً، ليجعلهما بين رجله، أو ليصل فيهما». وفي لفظ: «إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه ولا عن يساره فتكون عن يمين غيره، إلا أن لا يكون عن يساره أحد وليضعهما بين رجله»^(١).

وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - يقول: «الصلاة في النعال سنة خلاف اليهود، لكن بعد العناية، فإن رأى فيها شيئاً أزاله بالتراب أو الحجر أو غيره، أما المساجد المفروشة فقد يحصل عليها الغبار للتساهل من بعض الناس، فيحصل تنفير الناس، فالأولى عندي والله أعلم أن يوضع لها محل»^(٢).

١٢- يختار الجلوس في الصف الأول على يمين الإمام إن تيسر، بلا مزاحمة ولا أذى لأحد؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»^(٣)؛ ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على ميامين الصفوف»^(٤).

= صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين...، برقم ٧١٤.

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب المصلي إذا خلع نعليه أين يضعهما؟ برقم ٦٥٤، ٦٥٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٢٨.

(٢) سمعته من سماحته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٢٣٢، ورقم ٢٣٣.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الاستهم في الأذان، برقم ٦١٥، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها...، برقم ٤٣٧.

(٤) أبو داود، برقم ٦٧٦، وابن ماجه برقم ١٠٠٥، وحسنه المنذري، وابن حجر في فتح الباري ٢/٢١٣، وتقدم تخريجه في فضل الصف الأول وميامن الصفوف.

١٣- يجلس مستقبلاً القبلة يقرأ القرآن أو يذكر الله تعالى؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سيّداً، وإن سيد المجالس قبالة القبلة»^(١).

١٤- ينوي انتظار الصلاة ولا يؤذي؛ فإنه في صلاة ما انتظر الصلاة، وتُصلي عليه الملائكة، قبل الصلاة وبعدها مادام في مصلاه؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه...». وفي لفظ لمسلم: «والملائكة يصلون على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ، ما لم يحدث»^(٢).

١٥- إذا أقيمت الصلاة فلا يصلي إلا المكتوبة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»^(٣).

١٦- يقدم رجله اليسرى عند الخروج من المسجد بعكس دخوله؛ لأن النبي ﷺ كان يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله: في طهوره، وترجله، وتنعله^(٤). وكان ابن عمر رضي الله عنهما يبدأ برجله اليمنى فإذا خرج بدأ برجله اليسرى^(٥). وقال أنس رضي الله عنه: «من السنة إذا دخلت المسجد أن

(١) الطبراني في الأوسط [مجمع البحرين، ٢٧٨/٥، برقم ٣٠٦٢]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٥٩/٨: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن»، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣٠٠/٦.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم ٦٤٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، برقم ٦٤٩.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة، برقم ٧١٠.

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب التيمن في دخول المسجد وغيره، قبل الحديث رقم ٤٢٦.

(٥) البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب الصلاة، باب التيمن في دخول المسجد وغيره، قبل

تبدأ برجلك اليمنى وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى^(١). ويقول: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أسألك من فضلك»^(٢) [اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم]^(٣).

السبب السادس: عدم الالتفات لغير حاجة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم»^(٤).
والالتفات نوعان:

النوع الأول: التفات حسي، وعلاجه بالسكون في الصلاة، وعدم الحركة.
النوع الثاني: التفات معنوي بالقلب، وهذا علاجه صعب شاق، إلا على من يسره الله عليه، ولكن من أعظم العلاج استحضار عظمة الله، والوقوف بين يديه، والاستعاذة بالله من الشيطان، والتفل عن اليسار ثلاثاً؛ لحديث عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له: خنزبٌ فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني^(٥).

السبب السابع: عدم رفع البصر إلى السماء؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال:

= الحديث ٤٢٦.

(١) الحاكم، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ١١٨/١.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.... برقم ١١٣، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، برقم ٤٦٥.

(٣) ابن ماجه، كتاب المساجد، والجماعات، برقم ٧٧٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١٢٩/١.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة، برقم ٧٥١، ٣٢٩١.

(٥) مسلم، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، برقم ٢٢٠٣.

قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»؟ فاشتدَّ قوله في ذلك حتى قال: «لينتهنَّ عن ذلك أو لتُخطفنَّ أبصارهم»^(١).

السبب الثامن: عدم افتراش الذراعين في السجود؛ لحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»^(٢).

السبب التاسع: عدم التخصر؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يصلي الرجل مختصراً»^(٣)؛ ولقول عائشة رضي الله عنها «أنها كانت تكره أن يجعل المصلي يده في خاصرته، وتقول: إن اليهود تفعله»^(٤).

السبب العاشر: عدم النظر إلى ما يليه ويشغل؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميصة^(٥) لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وائتوني بأنجانية»^(٦) أبي جهم؛ فإنها ألهتني أنفاً عن صلاتي»^(٧).

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، برقم ٧٥٠.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب لا يفتersh ذراعيه في السجود، برقم ٨٢٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود، ووضع الكفين على الأرض...، برقم ٤٩٣.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب الخصر في الصلاة، برقم ١٢٢٠، ومسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الاختصار في الصلاة، برقم ٥٤٥.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم ٣٤٥٨.

(٥) الخميصة: كساء له أعلام. شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٧/٥.

(٦) أنجانية: كساء غليظ لا علم له. شرح النووي، ٤٧/٥.

(٧) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام، ونظر إلى علمها، برقم ٣٧٣، ومسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، برقم ٥٥٦.

السبب الحادي عشر: عدم الصلاة إلى ما يشغل ويُلهي؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: كان قرام^(١) لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال النبي ﷺ: «أميطي عنا قرامك؛ فإنه لا تزال تصاويره تعرض [الي] في صلاتي»^(٢).

السبب الثاني عشر: عدم الإقعاء المذموم؛ لحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ وفيه: «وكان ينهى عن عقبة الشيطان»^(٣)، هذا الإقعاء المكروه، وهو: أن يُلصق أليتيه بالأرض، وينصب ساقيه، ويضع يديه على الأرض كما يقعي الكلب وغيره من السباع، وهذا الإقعاء على هذه الصفة مكروه باتفاق العلماء^(٤). وقد جاء نوع آخر في جواز الإقعاء بل سُنَّته، فعن طاوس، قال: قلنا لابن عباس في الإقعاء على القدمين فقال: «هي السنة» فقلنا له: إنا لنراه جفاءً بالرجل، فقال ابن عباس: «بل هي سنة نبيكم ﷺ»^(٥). وقد ذكر النووي - رحمه الله - أن العلماء اختلفوا اختلافاً كثيراً في الإقعاء وتفسيره، ثم قال: «والصواب الذي لا معدل عنه أن الإقعاء نوعان: أحدهما: أن يُلصق أليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض، كإقعاء الكلب... وهذا النوع هو المكروه الذي ورد فيه النهي. والنوع الثاني: أن يجعل أليتيه على عقبيه بين السجدين، وهذا هو مراد ابن عباس بقوله: «سنة نبيكم ﷺ»^(٦) فظهر أن الإقعاء الذي اختار ابن عباس وغيره من

(١) القرام: ستر رقيق من صوف، ذو ألوان. فتح الباري، ١/ ٤٨٤.

(٢) البخاري، كتاب الصلاة، باب إن صلى في ثوب مُصلَّب أو تصاوير، هل تفسد صلاته وما ينهى عن ذلك، برقم ٣٧٤، ٥٩٥٩، وما بين المعقوفين من رواية في كتاب اللباس، باب كراهية الصلاة في التصاوير، برقم ٥٩٥٩.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة، برقم ٤٩٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٥٨٨، ٤٦١.

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب جواز الإقعاء على العقبين، برقم ٥٣٦.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٢٢.

العبادة أنه من السنة: هو وضع الأليتين على العقبين بين السجدين والركبتين على الأرض^(١) وهناك نوع ثالث للإقعاء وهو أن يفرش قدميه فيجعل ظهورهما نحو الأرض ويجلس^(٢) على عقبيه^(٣).

السبب الثالث عشر: عدم عبث المصلي بجوارحه، أو مكانه لغير حاجة؛ لحديث معيقب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد، قال: «إن كنت فاعلاً فواحدة»^(٤).

السبب الرابع عشر: عدم تشبيك الأصابع، وفرقتها في الصلاة؛ لحديث كعب بن عُجرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه، ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه؛ فإنه في صلاة»^(٥). فمن كان في الصلاة فهو أولى بالنهاي^(٦)؛ ولقول ابن عمر رضي الله عنهما في الذي يصلي وهو مشبك بين يديه: «تلك صلاة المغضوب عليهم»^(٧). والتشبيك بين الأصابع يكره أثناء

(١) نيل الأوطار للشوكاني، ٥٩/٢، وسبل السلام للصنعاني، ٢٣٢/٢، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ١٥٧/٢-١٦١. وسمعت الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - يقول: «الإقعاء المكروه وهو أن ينصب فخذه وساقه ويعتمد على يديه، كالكلب، أما كونه يجلس على عقبيه فهذا سنة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لكن الافتراش أفضل». سمعته أثناء شرحه لبلوغ المرام، حديث رقم ٢٨٩، وشرحه للروض المربع، ٨٩/٢.

(٢) وسمعت الإمام ابن باز رحمه الله أثناء شرحه للروض المربع، ٨٩/٢ يقول: «وهذه لا بأس بها سواء نصبهما أو جلس عليهما، والإقعاء المكروه هو نصب ساقه وفخذه ويعتمد على يديه كالكلب».

(٣) انظر: حاشية ابن قاسم على الروض المربع، ٨٩/٢، والشرح الممتع لابن عثيمين، ٣١٧/٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب مسح الحصى في الصلاة برقم ١٢٠٧، ومسلم، كتاب المساجد، باب كراهة مسح الحصى وتسوية التراب في الصلاة، برقم ٥٤٦.

(٥) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية التشبيك بين الأصابع في الصلاة، برقم ٣٨٧، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١٢١/١٠.

(٦) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣٢٤/٣.

(٧) أبو داود، كتاب الصلاة، باب كراهة الاعتماد على اليد في الصلاة، برقم ٩٩٣، وصححه

الذهاب إلى الصلاة، وفي أثناء الصلاة، أما بعد الصلاة فلا بأس به^(١)؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه وفيه: «صلى بنا ركعتين ثم سلم فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه... الحديث»^(٢).

السبب الخامس عشر: عدم الصلاة بحضرة الطعام؛ لحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء»^(٣)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه وإن أقيمت الصلاة»^(٤). ويشترط لذلك ثلاثة شروط:

أولاً: أن يكون الطعام حاضراً، والثاني: أن تكون نفس المصلي تتوق إليه، فإذا كان شبعان لا يلتفت إليه فليصل ولا كراهية، والثالث: أن يكون قادراً على تناوله حساً وشرعاً؛ فالحس كأن يكون

= الألباني في الإرواء، برقم ٣٨٠، وفي صحيح سنن أبي داود، ١٨٦/١.

(١) وسمعت الإمام ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه للروض المربع، ٩٣/٢ يقول: «التشبيك في الصلاة وعند الذهاب إليها جاء من طرق، أما التشبيك بعد الصلاة فلا بأس به».

(٢) متفق عليه: البخاري واللفظ له، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، برقم ٤٨٢، ومسلم، كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة، برقم ٥٧٣، وسمعت شيخنا الإمام ابن باز يقول في تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٧٨ - ٤٨٢: «والتشبيك لا بأس به بعد الصلاة، أما قبل الصلاة وفي الصلاة فلا يشبك» وذلك بتاريخ ١٤١٩/٦/١٠هـ.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب: إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، برقم ٦٧١، ومسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال، برقم ٥٥٨.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب: إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، برقم ٦٧٤، ومسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال، برقم ٥٥٩.

الطعام حاراً لا يستطيع تناوله، والشرع كأن يكون المسلم صائماً ممنوعاً من الطعام شرعاً، فلا كراهة في الصلاة حينئذ^(١).

السبب السادس عشر: عدم مدافعة الأخبثين [البول والغائط] في الصلاة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان»^(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «مَنْ فَقِهَ الْمَرْءُ إِقْبَالُهُ عَلَى حَاجَتِهِ حَتَّى يُقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ وَقَلْبُهُ فَارِغٌ»^(٣).

السبب السابع عشر: عدم بصاق المصلي أمامه أو عن يمينه في الصلاة؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يَنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ إِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَلَا يَزِقَنَّ أَحَدُكُمْ قَبْلَ قِبَلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه ثم رَدَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ: «أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا»^(٤)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه، وفيه: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»^(٥)؛ ولحديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى

(١) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/٣٢٨، ٣٣٠.

(٢) مسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الحدث، برقم ٥٦٠.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب: إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، قبل الحديث رقم ٦٧١، وقال ابن حجر في فتح الباري: «وصله ابن المبارك في كتاب الزهد» [رقم ١١٤٢]، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب قدر الصلاة.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، برقم ٤٠٥، ومسلم، كتاب المساجد: باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، والنهي عن بصاق المصلي بين يديه وعن يمينه، برقم ٥٥١.

(٥) البخاري، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، برقم ٤٠٦.

نخامة في جدار المسجد، فتناول حصاة فحكها، ثم قال: «إذا تنخَّم أحدكم فلا يتنخَّم قبل وجهه، ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه اليسرى»^(١). وفي لفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله مادام في مصلاه، ولا عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه فيدفعها»^(٢).

وقد جزم الإمام النووي - رحمه الله - بالمنع من البزاق قبل القبلة وعن اليمين مطلقاً سواء كان داخل الصلاة أو خارجها، وسواء كان في المسجد أو غيره؛ لأحاديث دلت على العموم^(٣). أما إذا كان المصلي في المسجد فيتعيَّن عليه أن لا يبصق مطلقاً إلا في ثوبه أو في منديل؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»^(٤).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عرضت علي أعمال أمتي: حسنُها، وسيئُها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق،

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب: لا يبصق عن يمينه في الصلاة، برقم ٤١٠، ٤١١،

٤٠٨، ٤٠٩، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد، برقم ٥٤٨.

(٢) البخاري، برقم ٤١٦، تقدم تخريجه في الذي قبله.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٩/٥، والأحاديث التي دلت على العموم في الصلاة وفي غيرها وفي المسجد وغيره. انظرها في صحيح ابن خزيمة، ٦٢/٢، برقم ٩٢٥، ٢٧٨/٢، برقم ١٣١٣، ١٣١٤، ٨٣/٣، برقم ١٦٦٣، وصحيح ابن حبان [الإحسان]، ٧٧/٣، برقم ١٦٣٦، ٧٨/٣، برقم ١٦٣٧، وسنن أبي داود، برقم ٣٨٢٤، والبيهقي، ٧٦/٣. وانظر: سبل السلام للصنعاني، ١٧٠/٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد، برقم ٤١٥، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد، برقم ٥٥٢.

ووجدتُ في مساوئ أعمالها النَّخاعة تكون في المسجد ولا تدفن»^(١).
السبب الثامن عشر: عدم كف الشعر أو الثوب في الصلاة؛ لحديث
ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أمرت أن أسجد على
سبعة أعظم، ولا أكف ثوباً، ولا شعراً»^(٢).

السبب التاسع عشر: عدم عقص الرأس في الصلاة؛ لحديث عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما أنه رأى عبد الله بن الحارث يُصلي ورأسه معقوص^(٣)
من ورائه، فقام فجعل يحلّه، فلما انصرف أقبل إلى ابن عباس
فقال: مالك ورأسي؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثل
هذا مثل الذي يصلي وهو مكتوف»^(٤).

السبب العشرون: عدم تغطية الفم في الصلاة.

السبب الحادي والعشرون: عدم السدل في الصلاة؛ لحديث أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى عن السدل»^(٥) في الصلاة وأن
يغطي الرجل فاه»^(٦).

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد، برقم ٥٥٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، برقم ٨١٢، ومسلم، كتاب
الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة،
برقم ٤٩٠.

(٣) معقوص: المعقوص هو نحو من المضفور، وأصل العقص: اللي وإدخال أطراف الشعر في
أصوله، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٢٧٥/١، والمصباح المنير للفيومي، ٤٢٢/٢.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود، والنهي عن كف الشعر، والثوب، وعقص
الرأس في الصلاة، برقم ٤٩٢.

(٥) السدل: وهو أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل، فيركع ويسجد وهو كذلك، وقيل:
هو أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما
على كتفيه. النهاية لابن الأثير، ٣٥٥/٢، والمصباح المنير، ٢٧١/١.

(٦) أبو داود، كتاب الصلاة، باب السدل في الصلاة، برقم ٦٤٣، بلفظه، وابن ماجه، كتاب

السبب الثاني والعشرون: عدم تخصيص مكان من المسجد للصلاة فيه
دائماً لغير الإمام؛ لحديث عبد الحميد بن سلمة عن أبيه أن رسول الله ﷺ: «نهى عن نقرة الغراب، وعن فرشة السبع، وأن يُوطَّن الرجل مقامه في الصلاة كما يُوطَّن البعير»^(١).

السبب الثالث والعشرون: عدم الاعتماد على اليد في الجلوس في الصلاة؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجلس الرجل في الصلاة وهو معتمد على يده»^(٢).

السبب الرابع والعشرون: عدم التثاؤب في الصلاة؛ لحديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «التثاؤب من الشيطان فإذا تشاءب أحدكم فليكظم ما استطاع»^(٣)؛ ولحديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه؛ فإن الشيطان يدخل»، وفي لفظ: «إذا تشاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع؛ فإن الشيطان يدخل»^(٤)، وسمعت الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - يقول: «والمشروع هنا ثلاثة أمور:

١ - يكظم ما استطاع.

= إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما يكره في الصلاة، برقم ٩٦٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٢٦/١، وصحيح ابن ماجه، ١٥٩/١.

(١) أحمد، ٤٤٦/٥-٤٤٧، والحاكم عن عبد الرحمن بن شبل، وصححه ووافقه الذهبي، ٢٢٩/١، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، ١/٣٦٠، وفي صحيح أبي داود، ١/٢٢٤، وفي صحيح ابن ماجه، برقم ١٤٢٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب كراهية الاعتماد على اليد في الصلاة، برقم ٩٩٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٨٦.

(٣) مسلم، كتاب الزهد، باب تسميت العاطس وكراهة التثاؤب، برقم ٢٩٩٤.

(٤) مسلم، كتاب الزهد، باب تسميت العاطس، وكراهة التثاؤب، برقم ٢٩٩٥.

٢- يضع يده على فيه.

٣- لا يقل: ها حتى لا يضحك منه الشيطان»^(١).

السبب الخامس والعشرون: عدم الركوع قبل أن يصل إلى الصف؛ لحديث أبي بكرة، أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «زادك الله حرصاً ولا تعد»^(٢).

السبب السادس والعشرون: عدم الصلاة في المسجد لمن أكل البصل والثوم أو الكراث؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجداً، وليقعد في بيته». وفي لفظ لمسلم: «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس». وفي لفظ لمسلم: «من أكل البصل والثوم والكراث، فلا يقربن مسجداً؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»^(٣).

السبب السابع والعشرون: عدم صلاة النفل عند مغالبة النوم؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه»^(٤)؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) سمعته من سماحته أثناء شرحه لبلوغ المرام، حديث رقم ٢٦١.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب: إذا ركع دون الصف، برقم ٧٨٣.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث، برقم ٨٥٥، ومسلم، كتاب المساجد، باب نهى من أكل ثوماً أو بصلاً، أو كراثاً، برقم ٥٦٤، ومن رقم ٥٦١-٥٦٧.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم، برقم ٢١٢، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد

يرفعه: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول، فليضطجع»^(١).

السبب الثامن والعشرون: الصلاة إلى سترة والدنو منها:

من الأمور التي تجلب الخشوع في الصلاة: أن يجعل المصلي له سترة يصلي إليها إن كان إماماً أو منفرداً؛ لحديث سبرة بن معبد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «ليستز أحدكم في الصلاة ولو بسهم»^(٢)؛ ولحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل مؤخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرحل فإنه يقطع صلاته: الحمار، والمرأة، والكلب الأسود»^(٣).

ويتأكد الدنو من السترة والصلاة إليها؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة، وليدن منها»^(٤)؛ ولحديث سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم إلى

= أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، برقم ٧٨٦.

(١) مسلم، الكتاب السابق، برقم ٧٨٧.

(٢) أخرجه الحاكم، ٢٥٢/١، بنحوه، والطبراني في الكبير، ١١٤/٧ بلفظه، برقم ٦٥٣٩، وأحمد، ٤٠٤/٣ بلفظ: «إذا صلى أحدكم فليستز لصلاته ولو بسهم»، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ٥٨/٢، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح»، وسمعت سماحة العلامة ابن باز - رحمه الله - يقول في تعليقه على بلوغ المرام، الحديث رقم ٢٤٤: «دل هذا الحديث على تأكد السترة ولو بسهم».

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، برقم ٥١٠.

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يؤمر المصلي أن يدرأ عن الممر بين يديه، برقم ٦٩٨، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٣٥/١: «حسن صحيح»، وسمعت العلامة ابن باز - رحمه الله - يقول في تعليقه على حديث ٢٤٤ من بلوغ المرام: «إسناده جيد، وهو يدل على تأكد السترة والدنو منها».

سُتْرَةٌ فَلْيَدْنُ مِنْهَا؛ لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ»^(١).

ويجعل بينه وبين سترته قدر ممر الشاة، أو قدر مكان السجود، ولا يزيد على قدر ثلاثة أذرع، وكذلك بين الصفوف؛ لحديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «كان بين مُصَلِّي رسول الله ﷺ وبين الجدار ممر الشاة»^(٢). وإذا أراد أحد أن يَمُرَّ بين يديه ردّه، ودافعه؛ فإن لم يمتنع دافعه بقوة؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله؛ فإنما هو شيطان»^(٣). وفي رواية لمسلم: «فإن معه القرين»^(٤). ولا يجوز المرور بين يدي المصلي؛ لحديث أبي جهم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المارء بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمرَّ بين يديه» قال أبو النضر أحد الرواة: لا أدري قال: أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة^(٥).

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدُّنُو من السترة، برقم ٦٩٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٢٠٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة برقم ٤٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب دنو المصلي من السترة، برقم ٥٠٨، وانظر: سبل السلام للصنعاني، ١٤٥/٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب: يردُّ المصلي من مرَّ بين يديه، برقم ٥٠٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، برقم ٥٠٥.

(٤) مسلم في الكتاب والباب السابقين، برقم ٥٠٦، وسمعت سماحة العلامة ابن باز أثناء شرحه لبلوغ المرام، حديث رقم ٢٤٨، يقول: «وهذا يدل على أنه يشرع للمصلي إذا مر أحد بينه وبين سترته أن يردّه، وظاهر النصوص الأخرى أن يردّه مطلقاً سواء كان له سترة أم لا، إلا إذا كان بعيداً، ويردُّ المار بالأسهل فالأسهل كما يردُّ الصائِل».

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب إثم المار بين يدي المصلي، برقم ٥١٠، ومسلم، كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، برقم ٥٠٧.

وسترة الإمام سترة لمن خلفه؛ لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وفيه: أنه أقبل راكباً على حمارٍ أتانٍ، وهو يومئذ قد ناهز الاحتلام، ورسول الله ﷺ قائم بمنى في حجة الوداع يصلي بالناس إلى غير جدار، فسار ابن عباس على حمارة بين يدي بعض الصف الأول، ثم نزل عنه فصّف مع الناس وراء رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك عليه أحد^(١).

وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله يقول: «هذا يدل على أن المأمومين سترتهم سترة إمامهم، فلا يضرهم من مرّ من أمامهم إذا كان لإمامهم سترة»^(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: الحكمة في السترة: كف البصر عما وراءه ومنع من يجتاز بقربه...»^(٣).

السبب التاسع والعشرون: وضع اليد اليمنى على اليسرى على الصدر:

من الأمور التي تجلب الخشوع وضع اليد اليمنى على اليسرى على الصدر أثناء قيامه في الصلاة؛ لأن النبي ﷺ كان يضع يديه على صدره: اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد؛ لحديث وائل بن حُجر قال: «صليت مع النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى على صدره»^(٤)، وفي لفظ: «ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب: سترة الإمام سترة من خلفه، برقم ٤٩٣، وألفاظه من هذا ومن رقم ١٨٥٧، ٤٤١٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، برقم ٥٠٤.

(٢) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري على الحديث رقم ٤٩٣، في جامع سارة بالرياض، بتاريخ ١٠/٦/١٤١٩هـ.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢١٦/٤.

(٤) أخرجه ابن خزيمة، في صحيحه، ٢٤٣/١، برقم ٤٧٩، والحديث جاء من طرق أخرى بمعناه،

والرُسُغ والساعد»^(١)، وهذا يَعْمُ القيام بعد الرفع من الركوع؛ لحديث وائل رضي الله عنه في لفظ آخر، قال: رأيت رسول الله ﷺ «إذا كان قائماً في الصلاة قبض يمينه على شماله»^(٢)، وهذا الحديث فيه صفة القبض، والأحاديث الأخرى فيها صفة وضع اليد اليمنى على اليسرى على الصدر، قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: «إذن هاتان صفتان: الأولى قبض، والثانية وضع»^(٣).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجلُ يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة». قال أبو حازم: لا أعلمه إلا يَنْمِي ذلك إلى النبي ﷺ^(٤)، وسمعت سماحة شيخنا العلامة عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يقول: «وهذا يحتمل أن يكون نوعاً ثانياً، ويحتمل أن يكون المراد مثل حديث وائل»^(٥).

وسئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن المراد بوضع اليدين إحداهما على الأخرى حال القيام، فقال: «هو ذل بين يدي

= ولفظ مسلم، برقم ٤٠١: «وضع يده اليمنى على اليسرى»، وله شواهد. انظر: صحيح ابن خزيمة، ٢٤٣/١، وصفة الصلاة للألباني، ص ٧٩، وسمعت سماحة شيخنا العلامة ابن باز رحمه الله أثناء تقريره على الحديث رقم ٢٩٣ من بلوغ المرام يقول: «وهكذا رواه أحمد عن قبيصة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يضع يديه على صدره، وإسناده حسن».

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الصلاة، برقم ٧٢٧، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب موضع اليمين من الشمال في الصلاة، برقم ٨٨٩، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٦٨/٢-٦٩، وصفة صلاة النبي ﷺ، ص ٧٩.

(٢) النسائي، كتاب الافتتاح، باب وضع اليمنى على الشمال في الصلاة، برقم ٨٨٧، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي، ١٩٣/١.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤٤/٣.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، برقم ٧٤٠.

(٥) سمعته من سماحته أثناء تقريره على الحديث رقم ٢٩٣ من بلوغ المرام.

العزير»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال العلماء: الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل، وهو أَمْنَع من العبث، وأقرب إلى الخشوع»^(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت نبي الله ﷺ يقول: «إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا بِتَعْجِيلِ فِطْرِنَا، وَتَأْخِيرِ سُحُورِنَا، وَوَضْعِ أَيْمَانِنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي الصَّلَاةِ»^(٣).

السبب الثلاثون: الإشارة بالسبابة وتحريكها في الدعاء في التشهد: الإشارة بالسبابة تجلب الخشوع، وفيها إغاطة للشيطان؛ لحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه كان إذا جلس في الصلاة، وضع يديه على ركبتيه، وأشار بإصبعه وأتبعها بصره، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «لَهِيَ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الْحَدِيدِ» يعني السبابة^(٤).

فالإشارة بالسبابة عند التشهد في الصلاة أشدُّ على الشيطان من الضرب بالحديد؛ لأنها تُذكِّر العبد بوحداية الله تعالى، والإخلاص في العبادة، وهذا أعظم شيء يكرهه الشيطان نعوذ بالله منه»^(٥).

(١) الخشوع في الصلاة لابن رجب، ص ٢١.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ٢/٢٢٤.

(٣) الطبراني في الكبير، برقم ١١٤٨٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/١٥٥: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٨٧، وفي صحيح الجامع، برقم ٢٢٨٢، ٢٢٨٦، وصححه في صفة الصلاة، ص ٨٧.

(٤) أحمد في المسند، ٢/١١٩، وحسن إسناده الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٧١.

(٥) انظر: الفتح الرباني للساعاتي، ٤/١٥.

فالمصلي يستحب له في الجلوس في التشهد أن يضع يده اليسرى على فخذه اليسرى أو ركبته اليسرى، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويقبض أصابع اليمنى كلها إلا السبابة فيشير بها إلى التوحيد؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض أصابعه كلها وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام، ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى»^(١).

ويُحَلَّقُ الإبهام والوسطى، ويقبض الخنصر والبنصر، ويشير بالسبابة؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ قد حَلَّقَ الإبهام والوسطى ورفع التي تليها يدعو بها في التشهد»^(٢).

أو يعقد ثلاثاً وخمسين ويشير بالسبابة، وصفتها أن يجعل الإبهام مفتوحة تحت المُسَبِّحة، وهي أن يجعل الإبهام في أصل الوسطى أو يعطف الإبهام إلى أصلها^(٣)؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى، ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى^(٤)، وعقد ثلاثاً

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب صفة الجلوس في الصلاة، وكيفية وضع اليدين على الفخذين، برقم ١١٦- (٥٨٠)، و ١١٤- (٥٨٠).

(٢) ابن ماجه، برقم ٩١٢، وتقدم تخريجه.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٦/٥، وسبل السلام للصنعاني، ٣٠٨/٢، ٣١٠، والتلخيص الحبير لابن حجر، ٢٦٢/١.

(٤) وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يقول: «جاء في هذا عدة روايات:

١- تارة يضع يديه على فخذه.

٢- وتارة يضعهما على ركبتيه.

٣- وتارة يضع يديه على فخذه وأطراف الأصابع على ركبتيه.

وأما ما يتعلق باليمنى فجاء فيها ما في حديث ابن عمر. وجاء فيها ما في حديث وائل، وهو

وخمسين^(١)، وأشار بالسبابة^(٢) فظهر ثلاثة أنواع لليد اليمنى:
النوع الأول: قبض الأصابع كلها، والإشارة بالسبابة.
النوع الثاني: تحليق الإبهام والوسطى وقبض الخنصر والبنصر
والإشارة بالسبابة.

= أنه يعقد الإبهام والوسطى ويشير بالسبابة ويقبض الخنصر والبنصر، وخلاصة ما جاء في ذلك ثلاث صور:

- ١- تارة يقبض الأصابع كلها ويشير بالسبابة.
- ٢- وتارة يحلق الإبهام والوسطى ويقبض الخنصر والبنصر ويشير بالسبابة.
- ٣- وتارة يعقد ثلاثاً وخمسين ويشير بالسبابة، وقيل في هذه الصفة: إنه يجعل طرف الإبهام في أصل الوسطى، والإشارة بالإصبع إشارة إلى التوحيد، والأقرب أنه كان يفعل هذا تارة وهذا تارة، وهذا تارة: أي صفة قبض اليد والإشارة بالسبابة» سمعته من سماحته رحمه الله أثناء تقريره على بلوغ المرام الحديث رقم ٣٣٢.

(١) وقيل في صفة ثلاثة وخمسين أقوال يفسر بعضها بعضاً، فقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير: «وصورتها أن يجعل الإبهام معترضة تحت المسبحة» ٢٦٢/١، وقال الإمام النووي: «واعلم أن قوله: عقد ثلاثاً وخمسين شرطه عند أهل الحساب أن يضع طرف الخنصر على البنصر، وليس ذلك مراداً هاهنا، بل المراد أن يضع الخنصر على الراحة ويكون على الصورة التي يسميها أهل الحساب تسعة وخمسين والله أعلم». شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٦/٥، ومراده «بسط الخنصر إلى أصل الإبهام مما يلي الكف وبسط البنصر فوقها، وبسط الوسطى فوقها، وعطف الإبهام إلى أصلها» انظر: سبل السلام، ٣٠١/٢. وقال الإمام الصنعاني نقلاً عن ابن حجر في التلخيص: «صورتها أن يجعل الإبهام مفتوحة تحت المسبحة» هكذا نقل ولعلها في نسخة فنقلها الصنعاني، وقد تقدم كلام الحافظ آنفاً، انظر: سبل السلام، ٣٠٨/٢، أما ما ذكر الصنعاني، ٣١٠/٢ في طريقة العرب في الحساب لهذه الصورة فهي: عقد الخنصر والبنصر والوسطى وعطف الإبهام إلى أصلها» ٣١٠/٢، وسمعت سماحة الإمام ابن باز يقول أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٣٣٢: «وقيل في هذه الصفة: إنه يجعل طرف الإبهام في أصل الوسطى».

(٢) مسلم، كتاب المساجد، باب صفة الجلوس في الصلاة وكيفية وضع اليدين على الفخذين، برقم ١١٥ - (٥٨٠).

النوع الثالث: عقد ثلاثاً وخمسين والإشارة بالسبابة، وكلها صحيحة، وينظر أثناء جلوسه إلى إشارة سبافته؛ لحديث عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رسول الله ﷺ كان إذا قعد في التشهد وضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى، وأشار بالسبابة، لا يجاوز بصره إشارته»^(١)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «فوضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام في القبلة، ورمى ببصره إليها أو نحوها، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصنع»^(٢).

ويشير بالسبابة عند ذكر الله ﷻ حال الدعاء موجهة إلى القبلة، هذا هو السنة^(٣) يحركها إلى القبلة عند ذكر الله تعالى يدعو بها^(٤)، ولا

(١) النسائي، كتاب السهو، باب موضع البنصر عند الإشارة وتحريك السبابة، برقم ١٢٧٥، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي: «حسن صحيح» ٢٧٢/١.

(٢) النسائي، كتاب الافتتاح، باب موضع البصر في التشهد، برقم ١٦٦٠، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي: حسن صحيح، ٢٥٠/١.

(٣) قال الإمام النووي: «والسنة أن لا يجاوز بصره إشارته، وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود، ويشير بها موجهة إلى القبلة، وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص والله أعلم»، شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٥/٥.

(٤) اختلف العلماء في موضع الإشارة بالسبابة، فقليل:

١- يحركها عند ذكر الله فقط.

٢- وقيل: عند ذكر الله وذكر رسوله ﷺ.

٣- وقيل: يشير بها في جميع التشهد أي يحركها تحريكاً دائماً.

٤- وقيل: يشير عند «إلا الله».

والصواب أنه يشير بها عند الدعاء وذكر الله فقط، وتبقى منصوبة فيما عدا ذلك. انظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٥٣٥-٥٣٦/٣، ونيل الأوطار للشوكاني، ٦٦-٦٨، وسبل السلام، ٣٠٨-٣٠٩/٢، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٨٥/٥، والمغني لابن قدامة، ١١٩/٢، والشرح الكبير لابن قدامة، ٥٣٢/٣، والشرح الممتع لابن

يحركها في غير ذكر الله والدعاء، بل تبقى منصوبة^(١)، ويدل على تحريكها عند الدعاء حديث وائل بن حجر رضي الله عنه وفيه: «ثم قعد وافترش رجله اليسرى، ووضع كفه اليسرى على فخذه وركبته اليسرى، وجعل حدَّ مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى، ثم قبض اثنتين من أصابعه وحلَّق حلقة، ثم رفع إصبعه فرأيته يحركها يدعو بها»^(٢)، ودلَّ على عدم تحريكها دائماً حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عنهما: «أن النبي ﷺ كان يشير بإصبعه إذا دعا ولا يحرِّكها»^(٣)، فالجمع بين الحديثين سهلٌ: فنفي التحريك يراد به التحريك الدائم، وإثبات التحريك يراد به التحريك عند الدعاء^(٤)، وتكون الإشارة بالسبَّاحة من اليد اليمنى، وقد أمر النبي ﷺ بالإشارة بإصبع واحدة، فعن أبي

= عثيمين، ٢٠٠٣-٢٠٠٢.

(١) وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله أثناء تقريره على الروض المربع، ٦٤/٢، في فجر الأحد ١٤١٩/٨/٣هـ يرجح: «أن السبَّابة لا يحركها عند الإشارة وإنما تبقى منصوبة، إلا عند الدعاء فيحركها، ثم قال: والصواب أنها تحرك عند الدعاء، أما غير الدعاء فلا يحركها وإنما يشير بها».

(٢) النسائي، كتاب الافتتاح، باب موضع اليمين من الشمال في الصلاة، برقم ٨٩٠، وكتاب السهو باب قبض الاثنتين من أصابع اليد اليمنى، وعقد الوسطى والإبهام منها وتحريك الأصبع، برقم ١٢٦٨، وصححه الألباني، في صحيح النسائي، ١/١٩٤، و١/٢٧١، وفي صحيح سنن أبي داود، ١/١٤٠، ١٨٠، وقد أخرجه أيضاً أبو داود، برقم ٩٥٧، وأحمد ٣١٨/٤، وتقدم تخريجه.

(٣) النسائي، كتاب السهو، باب بسط اليسرى على الركبة، برقم ١٢٧٠، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الإشارة في التشهد، برقم ٩٨٩، وصححه النووي في المجموع ٣/٤٥٤، وقال الأرئوط في حاشية زاد المعاد، ١/٢٣٨: «وسنده صحيح».

(٤) وبهذا جمع البيهقي في السنن الكبرى، ٢/١٣٢، وانظر: سبل السلام، ٢/٣٠٩، والشرح الممتع للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ٢٠٠٣/٣.

هريرة رضي الله عنه أن رجلاً كان يدعو بإصبعيه فقال رسول الله ﷺ: «أَحْذِ، أَحْذِ» ^(١) وعن سعد قال: مرَّ عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أدعو بأصابعي، فقال: «أَحْذِ، أَحْذِ» وأشار بالسبابة ^(٢).

والحكمة في الإشارة بالسبابة إلى أن المعبود ﷻ واحد، وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص فيه، فيكون جامعاً في التوحيد بين القول، والفعل، والاعتقاد ^(٣)، فعلى ما تقدم يشير بالسبابة عند ذكر الله يدعو بها ^(٤).

السبب الحادي والثلاثون: النظر إلى موضع السجود، وإلى السبابة:

-
- (١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب: حدثنا محمد بن بشار، برقم ٣٥٥٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب» والنسائي، كتاب السهو، باب النهي عن الإشارة بإصبعين وبأي إصبع يشير، برقم ١٢٧٢ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ١/٢٧٢.
- (٢) النسائي، كتاب السهو، باب النهي عن الإشارة بإصبعين وبأي إصبع يشير، برقم ١٢٧٣، وصححه الألباني، في صحيح سنن النسائي، ١/٢٧٢.
- (٣) انظر: نيل الأوطار للشوكاني، ٢/٦٨، وسبل السلام للصنعاني، ٢/٣٠٩.
- (٤) اختلف العلماء في معنى كلمة ذكر الله، فقليل: عند ذكر الجلالة، وعلى هذا فإذا قال: «التحيات لله» يشير «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله» يشير، «السلام علينا وعلى عباد الله» يشير، «أشهد أن لا إله إلا الله» يشير، فهذه أربع مرات في التشهد الأول، «اللهم صلِّ» يشير، «اللهم بارك» يشير، «أعوذ بالله من عذاب جهنم» يشير، وقيل: يشير بها عند الدعاء، فكلما دعوت حركت إشارة إلى علو المدعو ﷻ، وعلى هذا فإذا قال: «السلام عليك أيها النبي» يشير؛ لأن السلام خبر بمعنى الدعاء، «السلام علينا» يشير، «اللهم صلِّ على محمد» يشير، «اللهم بارك على محمد» يشير، «أعوذ بالله من عذاب جهنم» يشير، «ومن عذاب القبر» يشير، «ومن فتنة المحيا والممات» يشير، «ومن فتنة المسيح الدجال» يشير، وكلما دعا يشير. انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/٢٠١-٢٠٢، قلت: والظاهر والله أعلم أنه يشير عند لفظ الجلالة، وعند الضمير الذي يعود عليه، وعند الدعاء إشارة إلى علو المدعو سبحانه.

النظر إلى موضع السجود وإلى السبابة أثناء التشهد يعين على الخشوع في الصلاة؛ فإن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، فالسنة أن ينظر المصلي موضع سجوده، فقد ذكر أن النبي ﷺ: «كَانَ إِذَا صَلَّى طَأْطَأَ رَأْسَهُ وَرَمَى بَبْصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ»^(١).

و«عندما دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَعْبَةَ مَا خَلَفَ بَصَرُهُ مَوْضِعَ سُجُودِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا»^(٢).

وأما في الجلوس في التشهد فينظر إلى سبابة يده اليمنى، ولا يجاز بصره ذلك؛ لحديث عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، واليسرى على فخذه اليسرى، وأشار بالسبابة ولم يجاز بصره إشارته»^(٣)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه وضع يده اليمنى على فخذه، وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام إلى القبلة، ورمى ببصره إليها، أو نحوها، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصنع»^(٤).

(١) البيهقي في السنن الكبرى، ٢/٢٨٣، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٨٠، قال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ ص ٨٠: «وللحديث... شاهد من حديث عشرة من أصحاب النبي ﷺ».

(٢) الحاكم في المستدرک، ١/٤٧٩. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٨٠.

(٣) أحمد بلفظه، ٣/٤، برقم ١٦١٠٠، وابن خزيمة، ١/٣٥٥، برقم ٧١٨، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الإشارة في التشهد، برقم ٩٩٠، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٧٦/١: «حسن صحيح».

(٤) ابن خزيمة، برقم ٧١٩، ١/٣٥٦، وقال المحقق لصحيح ابن خزيمة: محمد مصطفى

السبب الثاني والثلاثون: العلم بأنه يدعو الله ويخاطبه وأن الله يردّ عليه ويُجيبه:

المسلم يخاطب ربه تعالى في صلاته، والله تعالى يجيبه؛ فإذا عَلِمَ ذلك، فإنه يخشع في صلاته، ويُقْبَلُ بقلبه إلى ربه ﷻ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ»، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(١).

وهذا حديث قدسي عظيم جليل، لو استحضره كل مصلٍّ لحصل له الخشوع الكامل في صلاته.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، نَادَى رَجُلًا كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ، أَلَا تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي، إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ»^(٢).

= الأعظمي «إسناده صحيح».

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... برقم ٣٩٥.

(٢) مستدرک الحاكم، ٢٣٦/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٢٠٢.

السبب الثالث والثلاثون: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

الشيطان عدوُّ لنا، ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمُصلي؛ كي يذهب خشوعه، ويُلبس عليه صلاته.

والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو غيره، لا بد له من ذلك، فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر، ويلتزم ما هو فيه من الذكر، والصلاة، ولا يضجر؛ فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

وكلما أراد العبد توجُّهاً إلى الله تعالى بقلبه، جاء من الوسوسة أمور أخرى؛ فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد السير إلى الله تعالى، أراد قطع الطريق عليه؛ ولهذا قيل لبعض السلف: «إن اليهود والنصارى يقولون: لا نوسوس، قال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب»^(٢).

وقد تقدم قول الإمام ابن القيم رحمه الله في أقسام القلوب الثلاثة فقال: «وقد مُثِّلَ ذلك بمثالٍ حسن، وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه، وذخائره، وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد، وذخائره، وجواهره، وليس جواهر الملك، وذخائره، وبيت خالٍ، صفر، لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٢ / ٦٠٨، وسبق تخريج الأثر في المبحث الثامن: حكم الوسواس في الصلاة.

يسرق؟»^(١).

والعبد إذا قام في الصلاة، غار الشيطان منه؛ فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه، وأغبطه للشيطان، وأشدّه عليه، فهو يحرص، ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه؛ بل لا يزال به يَعدُّه، ويمنّيه، وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله، حتى يهوّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها، فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء، والحاجة، وأيس منها، فيذكّره إيّاها في الصلاة؛ ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله ﷻ، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى، وكرامته، وقربه ما يناله المقبل على ربه ﷻ الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته، مثلما دخل فيها بخطاياها، وذنوبه، وأثقاله، لم تُخَفَّف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفّر سيئات من أدّى حقّها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقاله^(٢).

ولمواجهة كيد الشيطان، وإذهاب وسوسته، أرشدنا النبي ﷺ إلى العلاج الآتي: عن أبي العاص ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبَسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِلْ

(١) الوابل الصيب، ص: ٤٣، وتقدم.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم، ص: ٣٦ - ٣٧.

عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا»، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي ^(١).

ومن كيد الشيطان للمُصَلِّي: ما أخبرنا عنه ﷺ، وعن علاجه فقال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ» ^(٢).

ومن كيده كذلك ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ بقوله: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَوَجَدَ حَرَكَةً فِي دُبُرِهِ أَحَدَثَ أَوْ لَمْ يُحْدِثْ فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ فَلَا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا» ^(٣).

بل إن كيده ليلغ مبلغاً عجبياً كما يوضحه هذا الحديث، عن ابن عباس أن النبي ﷺ سُئِلَ عن الرجل يخيل إليه في صلاته أنه أحدث ولم يحدث، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ حَتَّى يَفْتَحَ مَقْعَدَتَهُ، فَيَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ أَحَدَثَ، وَلَمْ يُحْدِثْ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلَا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَ ذَلِكَ بِأُذُنِهِ، أَوْ يَجِدَ رِيحَ ذَلِكَ بِأَنْفِهِ» ^(٤).

(١) مسلم، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، برقم ٢٢٠٣.

(٢) البخاري، كتاب السهو، باب السهو في الفرض والتطوع، برقم ١٢٣٢، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، برقم ٣٨٩.

(٣) البخاري، كتاب الوضوء، باب من لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن، برقم ١٣٧، ومسلم، كتاب الحيض، باب الدليل على أن من يقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، برقم ٣٦١، وأبو داود واللفظ له، كتاب الطهارة، باب إذا شك في الحدث، برقم ١٧٧.

(٤) الطبراني في المعجم الكبير، ١١/ ٢٢٢، برقم ١١٥٥٦، وأخرجه أيضاً البزار، كما في كشف الأستار، ١/ ١٤٧، برقم ٢٨١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ٢٤٢: «رجاله رجال الصحيح».

السبب الرابع والثلاثون: تدبر القرآن في الصلاة يجلب الخشوع:

لا شك أن تدبر القرآن الكريم في الصلاة يجلب الخشوع، ويطرد الغفلة، وهو العلاج الأعظم للقلوب، والحث على التدبر جاء على أنواع كثيرة، منها الأنواع الآتية:

النوع الأول: حض القرآن الكريم على التدبر:

١- قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١)، فقد أمر الله تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديد الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك؛ فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُستنتج كل خير، وتُستخرج كل العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته؛ فإنه يُعرّف بالرب المعبود وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من صفات النقص، ويُعرّف الطريق الموصل إليه، وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب، وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد: علماً، وعملاً، وبصيرة^(٢).

٢- قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلِيَذْكُرَ الْأُولَاءُ الْأَلْبَابَ﴾^(٣)، فهذا الكتاب فيه خيرٌ كثيرٌ، وعلمٌ غزيرٌ، فيه كل

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

هدى من ضلالة، وشفاء من كل داء، ونور يُستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلّفون، وهذا كله من بركته والحكمة من إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته، وفي هذه الآية: الحثُّ على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، ومن فضائل التدبر: أنَّ العبد يصل به إلى درجة اليقين، والعلم بأن القرآن كلام الله تعالى؛ لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً...^(١).

٣- قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢)، فهلاً يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله ويتأملونه حق التأمل؛ فإنهم لو تدبّروه لدلّهم على كل خير ولحذّروهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان؛ ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية... ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي قد أغلق على ما فيها من الشر، وأقفلت فلا يدخلها خير أبداً، هذا هو الواقع...^(٣).

النوع الثاني: حض النبي ﷺ على تدبر القرآن:

ما ثبت عن النبي ﷺ من ترغيب في القرآن، وبيان فضائله، وبيان فضائل حافظ القرآن، يستفاد منه الحث على تدبر القرآن. وقد جاء تدبر القرآن من فعله ﷺ أيضاً في أحاديث كثيرة ومنها:

١- حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى يصلي، فقلت: يصلي

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٩٠ و ص ٧١٢.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٨٨.

بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ...»^(١).

٢- حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقرأ سورة البقرة، لا يَمُرُّ بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ...»^(٢).

٣- عن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: قالوا: يا رسول الله نراك قد شبت قال: «قد شَيَّبَتْنِي هُودُ وَأَخَوَاتُهَا»^(٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت قال: «شَيَّبَتْنِي: هُودُ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»^(٤).

وهذا يدل على كمال تدبره ﷺ للقرآن حق التدبر.

٤- حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٥).

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٣، واللفظ له، والنسائي، كتاب التطبيق، باب نوع آخر من الذكر في الركوع، برقم ١٠٤٨، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٤٧/١، وفي صحيح النسائي، ٣٤٢/١.

(٣) الترمذي، في الشمائل المحمدية، برقم ٤٢، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ٤٠.

(٤) الترمذي، في الشمائل المحمدية، برقم ٤١، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ٤٠.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم ١٤٦٨، والنسائي، كتاب الصلاة، باب تزيين القرآن بالصوت، برقم ١٠١٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٤٠٤/١.

النوع الثالث: حث الصحابة رضي الله عنهم على تدبر القرآن:

- ١- قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: «لو طُهِرَتْ قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم»^(١).
- ٢- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله»^(٢).
- ٣- وقال خبّاب بن الأرت رضي الله عنه: «تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ»^(٣).
- ٤- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ، فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(٤).
- ٥- وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رِسَالًا مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ»^(٥).

النوع الرابع: حث العلماء على تدبر القرآن وتعظيمهم لذلك:

لا شك أن من أحبَّ القرآن تدبَّره، وأقبل على التلذذ بتلاوته، وهذا دليل على محبته للمتكلم به سبحانه؛ ولهذا قال أبو عبيدٍ رحمه الله: «لا يسأل عبدٌ نفسه إلا بالقرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله

(١) رواه الإمام أحمد في زوائد الزهد، ص ١٢٨.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم ٨٦٥٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٦٥/٧: «رجاله ثقات».

(٣) رواه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ٤٤١/٢.

(٤) مصنف بن أبي شيبة، ١٠ / ٤٨٥، والمعجم الكبير للطبراني، ٩ / ١٣٦، وشعب الإيمان للبيهقي، ٢ / ٣٣٢.

(٥) التبيان للنووي، ص ٢٨.

ورسوله»^(١).

وقد تكلم العلماء رحمهم الله تعالى في الحث على تدبر القرآن العظيم، ومن أبرز من حث على ذلك من الأئمة ابن القيم رحمه الله في كتبه، فقد ذكر رحمه الله: أنَّ تدبر القرآن مع الخشوع عند قراءته هو المقصود والمطلوب، فبه تشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال رحمه الله: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته، وسماعه، وألقِ سمعك، واحضُر حضور من يخاطبه به من تكلم به، منه إليه، فتمام التأثير موقوف على: مؤثر مقتضٍ، ومحلٍ قابلٍ، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾»^(٢).

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ها هنا، وهذا هو المؤثر.

وقوله: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ القلب الحي، وهذا هو المحل القابل، كما قال الله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام.

(١) مسند ابن الجعد، برقم ١٩٥٦.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٧٠.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب، واستمع كتاب الله، وشاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساهٍ، وهذا إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عما يقال له، والنظر فيه، وتأمله.

فإذا حصل المؤثر: وهو القرآن، والمحل القابل: وهو القلب الحي، ووجد الشرط: وهو الإصغاء، وانتفى المانع: وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر، وهو: الانتفاع، والتذكر^(١).

فلا بد من تدبر القرآن، وتعقله، والتفكر في معانيه؛ لأن الله ﷻ أمر بذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «القرآن حياة القلوب، وشفاء لما في الصدور... فبا لجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر، والتفكير... وهذا الذي يورث المحبة، والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله.

وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها»؛ فإن العبد إذا قرأه بالتدبر حتى مرَّ

(١) انظر: الفوائد لابن القيم، ص ٥، ص ٦، ص ١٥٦، وانظر: فوائد في تدبر القرآن، في تفسير السعدي، ١١٢/٢ و ٧٠/٧.

بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة الإيمان والقرآن، وهذه كانت عادة السلف يُردّد أحدهم الآية إلى الصباح، وقد تقدم أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يُردّها إلى الصباح وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

وقد أخبر الله تعالى في القرآن: أن أهل العلم هم الذين ينتفعون بالقرآن، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢)، وفي القرآن الكريم بضعة وأربعون مثلاً^(٣)، وقد كان بعض السلف الصالح، وهو عمرو بن مرة: إذا مرَّ بِمَثَلٍ من أمثال القرآن ولم يفهمه يكي ويقول: «لست من العالمين»^(٤)، ولا بد لمن تدبر القرآن أن يجاهد بقلبه وفكره؛ لينال هذا العلم العظيم، وقد قال يحيى بن أبي كثير: «لا يُنال العلم براحة الجسم»^(٥)، ولا ينال العلم إلا بهجر اللذات وتطبيق الراحة، ولا ينال درجة وراثه النبوة مع الراحة^(٦).

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ١/٥٥٣ - ٥٥٤، والآية من سورة المائدة، آية: ١١٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٣) أعلام الموقعين، لابن القيم، ١/١٦٣ - ٢١١، جمع رحمه الله جميع الأمثال في القرآن هناك، وانظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم، ١/٢٢٦.

(٤) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/٢٢٦.

(٥) صحيح مسلم، برقم ١٧٥ - (٦١٢) ..

(٦) ابن القيم، في مفتاح دار السعادة، ١/٤٤٦.

ولا شك أن التأمل في القرآن هو: تحديد ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تبصره، وتَعَقُّله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وينبغي للإنسان أن يتبعد عن مفسدات القلب الخمسة التي تحول بينه وبين التدبر، وتحول بينه وبين كل خير، وهي: التمني، وخلطة الناس، والتعلق بغير الله تعالى، وكثرة الطعام أو المحرمات، وكثرة النوم؛ فإنها مفسدات للقلوب^(٣).

والتدبر للقرآن والعمل به هو المقصود من إنزاله.

ولهذا قيل: ذهاب الإسلام على يدي أربعة أصناف من الناس: صنف لا يعملون بما يعلمون، وصنف يعملون بما لا يعلمون، وصنف لا يعملون ولا يعلمون، وصنف يمنعون الناس من التعلم^(٤).

وليحذر المسلم من هجر القرآن؛ فإن هجره خمسة أنواع:

النوع الأول: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

النوع الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٤٥١/١ - ٤٥٩.

(٤) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ٤٩٠/١.

قرأه وآمن به.

النوع الثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

النوع الرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.
النوع الخامس: هجر الاستشفاء به والتداوي به من جميع أمراض القلوب، والأجساد... وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١)، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض^(٢).

السبب الخامس والثلاثون: تحسين القراءة بالقرآن وترتيله:

مما يجلب الخشوع في الصلاة تحسين القراءة بالقرآن، والترنم بذلك، وترتيله، ومن الأفضل والأكمل أن يستاك عند قراءة القرآن؛ لحديث علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته، فيدنو منه - أو كلمة نحوها - حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن»^(٣).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم، ص ٥، ص ٦، ص ١٥٦، وتفسير السعدي، ١١٢/٢، و ٨٠/٧.

(٣) أخرجه البزار، ص ٦٠ وقال: لا نعلمه عن علي بأصح من هذا الإسناد، قال الألباني: «قلت: وإسناده جيد، رجاله رجال البخاري، وفي الفضل كلام لا يضر، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه البزار بإسناد جيد لا بأس به، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٩١/١، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/٣١٤، برقم ١٢١٣.

وعن علي عليه السلام قال: «إن أفواهكم طرق القرآن فطيّبوها بالسواك»^(١).
والقارئ للقرآن إذا تأدّب بآدابه حصل له الخشوع في صلاته،
وقراءته، ومن هذه الآداب الآداب الآتية:

أولاً: يُحسِّن صوته بقراءة القرآن الكريم، ويترنّم به؛ للأحاديث الآتية:

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما أذن^(٢) الله لشيءٍ ما أذنَ لنبيٍّ أن يتغنّى^(٣) بالقرآن»، ولفظ مسلم: «ما أذنَ الله لشيءٍ ما أذنَ لنبيٍّ حَسَنَ الصوت يتغنّى بالقرآن»، وفي لفظ لمسلم: «ما أذنَ الله لشيءٍ ما أذنَ لنبيٍّ يتغنّى بالقرآن يجهر به»^(٤).

٢ - حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له: «يا أبا موسى لقد أوتيت زمزماً من مزامير^(٥) آل داود»، وفي لفظٍ لمسلم: «لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة؟ لقد أوتيت زمزماً

(١) ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، برقم ٢٩١، وصححه الألباني في صحيح

ابن ماجه، ٥٣/١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٢١٣.

(٢) ما أذنَ الله: ما استمع الله لشيءٍ ما استمع لنبي يتغنّى بالقرآن. [شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٢٥/٦، وجامع الأصول لابن الأثير، ٤٨٥/٢].

(٣) يتغنّى بالقرآن: يحسن صوته به، يجهر به. [شرح النووي، ٣٢٦/٦]. قال الحافظ ابن حجر في الفتوح، ٧١/٧: «والمعروف عند العرب: أن التغنّي الترجيع بالصوت».

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنّ بالقرآن، برقم ٥٠٥٣، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم ٧٩٢.

(٥) زمزار: قال النووي رحمه الله: «المراد بالمزمار هنا: الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء، وآل داود: هو داود نفسه، وآل فلان قد يطلق على نفسه، وكان داود حسن الصوت جداً».

[شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٢٨/٦].

من مزامير آل داود»^(١).

٣- حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال القاضي: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة، وترتيلها، قال أبو عبيد: والأحاديث في ذلك محمولة على التحزين والتشويق»^{(٣) (٤)}.

٤- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»^(٥).

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، برقم ٥٠٤٨، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم ٧٩٣.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم ١٤٦٨، والنسائي، كتاب الصلاة، باب تزيين القرآن بالصوت، برقم ١٠١٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٤٠٤/١.

(٣) قال: «... واختلفوا في القراءة بالألحان: فكرهها مالك والجمهور؛ لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع، والتفهم، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف؛ للأحاديث؛ ولأن ذلك سبب للركة وإثارة الخشية، وإقبال النفوس على استماعه، قلت [القائل النووي] قال الشافعي في موضع: أكره القراءة بالألحان، وقال في موضع: لا أكرهها، قال أصحابنا: ليس له فيها خلاف وإنما هو اختلاف حالين: فحيث كرهها: أراد إذا مطَّط وأخرج الكلام عن موضعه، أو مدَّ غير ممدود، وإدغام ما لا يجوز إدغامه، ونحو ذلك، وحيث أباحها: إذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام، والله أعلم». [شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٢٨/٦] وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٧/٧٢.

(٤) شرح النووي، ٣٢٨/٦.

(٥) أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم ١٤٦٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٤٠٤/١.

٥- حديث أبي لبابة، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، فقليل لابن أبي مُليكة: يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يُحَسِّن ما استطاع^(١).

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله يقول: «والتغني بالقرآن: يجهر به ويُحَسِّن به صوته حتى يستفيد هو ويستفيد الناس، فالمؤمن يجاهد نفسه يخشع ويُخَشِّع من حوله»، «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»، وهذا يدل على الوعيد لمن لم يتغن بالقرآن، وهو مثل قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا» فيه الوعيد الشديد لمن لم يتغنَّ بالقرآن؛ لأن الله أنزل القرآن للتدبر والعمل «ليدبروا آياته»^(٢) ولم يقل: ليقرأوا، فقليل بتدبر خير من كثير بلا تدبر»^(٣).

٦- حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ» في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه، أو قراءةً، وفي لفظ عن عديٍّ، قال: سمعت البراء يُحدِّث عن النبي ﷺ أنه كان في سفر فصلَّى العشاء الآخرة فقرأ في إحدى الركعتين: «وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ»^(٤) ^(٥).

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم ١٤٧١، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٤٠٥/١: «حسن صحيح».

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٣) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٥٠٢٣.

(٤) سورة التين، الآية: ١.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء، برقم ٧٦٧، وفي باب القراءة في العشاء، برقم ٧٦٩، وفي كتاب التفسير، باب حدثنا حجاج، برقم ٤٩٥٢، وفي كتاب

ثانياً: يُرْتَلُّ الْقُرْآنُ تَرْتِيلاً؛ لقول الله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(١).

والترتيل مصدر رتل الكلام: أحسن تأليفه.

وهو في الاصطلاح: قراءة القرآن على مُكْثٍ، وتفهم من غير عجلة، وهو الذي نزل به القرآن.

فيقرأ القرآن: بِتَلَبُّثٍ في قراءته، وتمهل فيها، ويفصل الحرف عن الحرف الذي بعده، وفي ذلك عون على تدبر القرآن وتفهمه، ومرتبة الترتيل أفضل مراتب القراءة.

وعن أنس رضي الله عنه، قال قتادة: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمدُّ مداً: ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمدّ «بسم الله»، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم^{(٢)(٣)}.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها ذكرت قراءة رسول الله ﷺ «بِسْمِ اللَّهِ

= التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، وزينوا لقرآن بأصواتكم»، برقم ٧٥٤٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء برقم ٤٦٤.

(١) سورة المزمل، الآية ٤.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري، ٩/٩١: «المدّ عند القراءة على ضربين: أصلي وهو إشباع الحرف الذي بعده: ألف، أو واو، أو ياء، وغير أصلي، وهو ما إذا أعقب الحرف الذي هذه صفته همزة: وهو متصل ومنفصل، فالمتصل ما كان من نفس الكلمة، والمنفصل ما كان بكلمة أخرى، فالأول يؤتى فيه: بالألف، والواو، والياء ممكنات من غير زيادة، والثاني يزداد في تمكين الألف والواو، والياء، زيادة على المد الذي لا يمكن النطق بها إلا به من غير إسراف، والمذهب الأعدل أنه يمدّ كل حرف منها ضعفي ما كان يمد أولاً، وقد يزداد على ذلك قليلاً، وما فرط فيه فهو غير محمود، والمراد من الترجمة الضرب الأول». قلت: الضرب الأول: المد الطبيعي الأصلي ضابطه في المد يمد حركتين كل حركة بمقدار قبض الإصبع أو بسطها، والضرب الثاني المد غير الأصلي وهو نوعان: متصل يمد أربع حركات ومنفصل: يمد أربع حركات كذلك ويجوز قصره فيمد حركتين.

(٣) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة، برقم ٥٠٤٥، ٥٠٤٦.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ. يُقَطَّعُ قراءته آية آية. قال أبو داود: «سمعت أحمد
 يقول: «القراءة القديمة مالك يوم الدين»، ولفظ الترمذي: «الْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ»، ثم يقف «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ثم يقف...»^(١).

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة
 على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرْجِعُ^(٢)، وقال: لولا أن يجتمع

(١) أبو داود، كتاب الحروف والقراءات، برقم ٤٠٠١، والترمذي، كتاب القراءة عن رسول الله
ﷺ، باب في فاتحة الكتاب، برقم ٢٩٢٧، وأحمد، ٣٠٢/٦، وصححه الألباني في صحيح
 سنن أبي داود، ٤٩٣/١، وصحيح سنن الترمذي، ١٦٩/٣.

(٢) الترجيع: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله التردد، وترجيع الصوت
 ترديده في الحلق، وقد فسره، لفظ معاوية بن قرة (أ أ أ) قال الحافظ في الفتح: «بهمزة
 مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم همزة أخرى»، وقيل: يحتمل أن هذا حصل من هز الناقه،
 وقيل: يحتمل أنه أشبع المد في موضعه فحدث ذلك. قال الحافظ ابن حجر: «وقد ثبت
 الترجيع في غير هذا الموضع فأخرج الترمذي في الشمائل، والنسائي، وابن ماجه، وابن
 أبي داود واللفظ له من حديث أم هانئ قالت: كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ وأنا
 نائمة على فراشي يرجع القرآن»، والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل، فعند
 ابن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال: «بُتُّ مع عبد الله بن مسعود، فنام ثم
 قام، فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حيه لا يرفع صوته ويسمع من حوله ويرتل ولا
 يرجع»، وقيل: «معنى الترجيع تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء
 تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة» [فتح الباري لابن حجر، ٩٢/٩].

ولكن رأى شيخنا ابن باز في قول معاوية بن قرة (أ أ أ) أن هذا الظاهر فيه أنه وهم من
 بعض الرواة في تفسير الترجيع؛ لأن هذه الأحرف لا تدل على معنى، والمقصود من
 ترديد القراءة الفائدة والخشوع، فالترجيع: هو ترديد القراءة، وقال رحمه الله: «معنى
 ترجيع القراءة: أي ترديد القراءة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. إِنَّا
 فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ للخشوع والتدبر وهذا هو معنى الترجيع في القراءة، وكان ﷺ يسرد
 القراءة إلا في بعض الأحوال، وقد قام ليلة بآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ
 فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة، الآية: ١١٨] فالترجيع سنة عند الحاجة فقط». [سمعته

الناس حولي لرجعت كما رجعت»، وفي لفظ للبخاري: «رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جملته، وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجع»، وفي رواية: «... ثم قرأ معاوية [بن قرة] يحكي قراءة ابن مغفل، وقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم، لرجعت كما رجعت ابن مغفل يحكي النبي ﷺ، فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه؟ قال: آ آ آ ثلاث مرات»^(١)، وفي الحديث ملازمة النبي ﷺ للعبادة؛ لأنه حالة ركوبه الناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة، وفي جهره بذلك إرشاد إلى أن الجهر بالعبادة قد يكون في بعض المواضع أفضل من الإسرار، وهو عند التعليم، وإيقاظ الغافل، ونحو ذلك^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً قرأ المفصل في ركعة، فقال له: «هذا كهذا الشعر؟ لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما، فذكر عشرين سورة من المفصل: سورتين من آل حم في كل ركعة»^(٣)، وفي لفظ: «كان النبي ﷺ يقرأهن اثنتين اثنتين في كل ركعة»، وقال: «عشرون سورة من أول المفصل على تأليف

= أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٢٨١.

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب المغازي، باب ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، برقم ٤٢٨١، وكتاب فضائل القرآن، باب الترجيع، برقم ٥٠٤٧، ورقم ٧٥٤٠، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة، برقم ٧٩٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ٩/٩٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة والقراءة بالخواتيم، وبسورة قبل سورة، وبأول سورة، برقم ٧٧٥، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القرآن واجتناب الهذ، برقم ٢٧٥ - (٧٢٢).

ابن مسعود آخرهن من الحواميم «حم» الدخان، و«عم يتساءلون»^(١)، وفي لفظ لمسلم: «عشرون سورة في عشر ركعات من المفصل في تأليف عبد الله»^(٢)، وفي لفظ لمسلم: «... هذا كهذ الشعر، إن أقواماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع، وإن أفضل الصلاة: الركوع والسجود، إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما»^(٣).

فيستحب للقارئ التالي لكتاب الله تعالى أن يرتل، وهذا هو الأفضل أن يُرتل، ولا بأس بالسرعة التي ليس فيها إخلال باللفظ: بإسقاط بعض الحروف، أو إدغام ما لا يصح إدغامه، وهذه قراءة الحذر: وهو إدراج القراءة وسرعتها، ولا بد فيه من مراعاة أحكام التجويد: من المد، والتشديد، والقطع، والوصل؛ وليحذر فيه من بتر حرف المد، وذهاب الغنة.

فإن حصل إخلال باللفظ في هذه القراءة فهي حرام؛ لأنها تغيير للقرآن^(٤).

ثالثاً: إذا مرَّ بآية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مرَّ بآية عذاب استعاذ بالله تعالى، وإذا مرَّ بآية فيها سؤال سأل، وهذا في النوافل لا في الفرائض؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه، قال صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى يُصلي، فقلت: يصلي

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، برقم ٤٩٩٦، ورقم ٥٠٥٣.

(٢) مسلم، برقم ٢٧٦ - (٧٢٢)، وتقدم.

(٣) مسلم، برقم ٢٧٥ - (٧٢٢) وتقدم.

(٤) انظر: مجالس شهر رمضان، للعثيمين، ص ١٥٣.

بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ...»^(١).

رابعاً: يجهر بالقرآن ما لم يتأذَّ أحد بصوته:

دلت الأحاديث في تحسين الصوت بالقرآن، وفي الترتيل والترنيم بالقرآن، والتغنّي به على استحباب رفع الصوت والجهر بالقرآن، كما دلت أحاديث أخرى على الحث على الإسرار بالقرآن؛ فكانت الأحاديث في ذلك على نوعين:

النوع الأول: استحباب الجهر برفع الصوت بالقرآن:

جاء في هذا النوع من الأحاديث المذكورة آنفاً في الأمر بتزيين الصوت بالقرآن وتحسينه، كقوله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به»^(٢)، وقول النبي ﷺ لأبي موسى: «لقد رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة؟ لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود»^(٣)، وقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٤). وغير ذلك مما تقدم في الترغيب في تحسين الصوت بالقراءة، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة

(١) مسلم، برقم ٧٧٢، وتقدم تخريجه في التدبر للقرآن.

(٢) متفق عليه: البخاري، برقم ٥٠٥٣، ومسلم، برقم ٧٩٢، وتقدم في الأدب الثامن: تحسين الصوت بالقرآن.

(٣) متفق عليه: البخاري برقم ٥٠٤٨، ومسلم، برقم ٧٩٣. وتقدم في الأدب الثامن.

(٤) أبو داود، برقم ٤٦٨، والنسائي، برقم ١٠١٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٤٠٤/١، وتقدم في الأدب الثامن.

الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار...»^(١). وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: «كان لهم أصوات حسنة بالقرآن ﷻ»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أبطأتُ على عهد رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئتُ فقال: «أين كنتِ؟»، قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحدٍ، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليّ فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا»^(٣).

وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»^(٤). وفي إثبات الجهر بالقرآن أحاديث كثيرة.

النوع الثاني: الجهر بالقراءة وإخفاؤها:

جاء في ذلك أحاديث منها حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسِرُّ

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم ٤٢٣٢، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعرين ﷺ، برقم ٢٤٩٩.

(٢) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٢٣٢.

(٣) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب في حسن الصوت بالقرآن، برقم ١٣٣٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٩٨/١.

(٤) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن، برقم ١٣٣٩، وصححه الألباني، في صحيح ابن ماجه، ٣٩٨/١.

بالقرآن كالمسر بالصدقة^(١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: «ألا إن كلَّكم مناج ربّه فلا يؤذِنُ بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة»، أو قال: «في الصلاة»^(٢).

فعلى هذا دلت الأحاديث على النوعين: فجاءت الأحاديث في النوع الأول باستحباب رفع الصوت بالقراءة، والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين: من أقوالهم، وأفعالهم أكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تُذكر^(٣).

وجاء في النوع الثاني أحاديث وآثار تدل على استحباب الإسرار وخفض الصوت بالقراءة.

والجمع بين هذين النوعين: أن القارئ إذا خاف الرياء، أو السمعة، أو يتأذى مصلون، أو نيام بجهره، أو خاف إعجاباً، أو يُكبَّس على من يقرأ أو غير ذلك من أنواع القبائح، فالإسرار بالقراءة والإخفاء بها أفضل.

أما من لم يخف شيئاً من ذلك فالجهر بالقراءة له أفضل، ويستحب له ذلك؛ لأن العمل في الجهر أكثر؛ ولأن فائدته تتعدى

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، برقم ١٣٣٣، والترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب حدثنا محمود بن غيلان، برقم ٢٩١٩، والنسائي، كتاب الزكاة، باب المسر بالصدقة، برقم ٢٥٦١، وصححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود، ٣٦٥/١، وفي صحيح سنن الترمذي، ١٦٦/٣، وفي غيرهما.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، برقم ١٣٣٢.

(٣) انظر: التبيان للإمام النووي، ص ٨٦.

للسامعين؛ ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إلى التدبر، ويطرد النوم ويزيد في النشاط، ويطرد الشيطان، فإن كانت القراءة بحضور من يستمع إليه، تأكد استحباب الجهر^(١).

قلت: ويدل على هذا الجمع حديث عبد الله بن أبي قيس رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أنه سألها في حديث طويل، وفيه أنه سألها عن قراءة النبي ﷺ، فقال: ... فقلت: كيف كانت قراءته: أكان يسر بالقراءة أم يجهر؟ قالت: «كل ذلك قد كان يفعل: قد كان ربما أسر، وربما جهر»، قال: فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة...»^(٢).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك؟»، قال: قد أسمعت من ناجيتُ يا رسول الله!، قال: «ارفع قليلاً»، وقال لعمر: «مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك؟»، قال: يا رسول الله أوقظ الوسنان^(٣)، وأطرد الشيطان! قال:

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ص ٢-٨٧، وآداب تلاوة القرآن وتأليفه للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ، المطبوع مع أخلاق حملة القرآن لمحمد بن الحسين الأجرى، المتوفى، ٣٦٠هـ، ص ١١٠.

(٢) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في قراءة الليل، برقم ٤٤٩، وفي كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ، برقم ٢٩٢٤، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في وتر النبي ﷺ، برقم ١٤٣٧، والنسائي، صلاة الليل، باب كيف القراءة بالليل، برقم ١٦٦٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣٩٥/١، وفي صحيح سنن الترمذي، ١٦٨/٣، وفي غيرهما. وانظر: أحاديث في الباب: صحيح سنن أبي داود، برقم ١٣٢٧-١٣٣٣.

(٣) الوسنان: النائم الذي ليس بمستغرق في نومه. [النهاية، ١٨٦/٥].

«اخفض قليلاً»^(١).

السبب السادس والثلاثون: سجود التلاوة في الصلاة:

مما يجلب الخشوع في الصلاة سجود التلاوة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله [وفي رواية يا ويلي] أمر ابن آدم بالسجود، فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»^(٢)، وهذا الحديث فيه الحث على سجود التلاوة والترغيب فيه.

وسجود التلاوة سنة مؤكدة على الصحيح للتالي والمستمع^(٣)؛ لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في الصلاة، برقم ١٣٢٩، والترمذي كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة بالليل، برقم ٤٤٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢٥٤/١، وفي صحيح سنن أبي داود، ٣٦٤/١.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم ٨١.

(٣) اختلف العلماء رحمهم الله في حكم سجود التلاوة: فذهب أبو حنيفة وأصحابه ومن وافقهم إلى أن سجود التلاوة واجب؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [سورة الانشقاق، الآيتان: ٢٠، ٢١]، وقالوا: هذا ذم، ولا يذم إلا على ترك واجب؛ ولأنه سجود يفعل في الصلاة، فكان واجباً كسجود الصلاة، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى، ١٥٢/٢٣-١٦٢، وقيل: هو رواية عن الإمام أحمد، انظر: الإنصاف مع المقنع والشرح الكبير، ٢١٠/٤.

وذهب الإمام أحمد، والإمام مالك، والإمام الشافعي، وهو قول عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما إلى أن سجود التلاوة ليس بواجب بل سنة مؤكدة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٣١/٢، و٧٨/٥، والمغني لابن قدامة، ٣٦٤/٣. وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز أثناء تقريره على بلوغ المرام، على الحديث رقم ٣٦٢، يقول: «... وهو سنة مؤكدة لفعله ﷺ».

بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، غير شيخ أخذ كفاً من حصي أو تراب ورفعته إلى جبهته [فسجد عليه]، وقال: يكفيني هذا، فرأيته بعد ذلك قُتِلَ كافراً [وهو أمية بن خلف]، وفي رواية: «أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾، فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه...» الحديث^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سجد النبي ﷺ [بالنجم]، وسجد معه المسلمون، والمشركون، والجن، والإنس»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة، فيسجد ونسجد معه، فنزدحم حتى ما يجد أحداً لجبهته موضعاً يسجد عليه»، ولفظ مسلم: «أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن، فيقرأ سورة فيها سجدة، ونسجد معه...» الحديث^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ

(١) متفق عليه: البخاري واللفظ له. كتاب سجود القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن وستنتها، برقم ١٠٦٧، وبرقم ١٠٧٠، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، برقم ٣٨٥٣، والمغازي، باب قتل أبي جهل، برقم ٣٩٧٢، وكتاب التفسير سورة والنجم، باب ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، برقم ٤٨٦٣، والألفاظ جمعت بينها من بعض هذه الروايات. وأخرجه مسلم، في كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، برقم ٥٧٦.

(٢) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن وستنتها، برقم ١٠٧١، وكتاب التفسير، سورة النجم، باب ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، برقم ٤٨٦٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من سجد لسجود القارئ، برقم ١٠٧٥، وباب ازدحام الناس إذا قرأ الإمام السجدة، برقم ١٠٧٦، وباب من لم يجد موضعاً للسجود مع الإمام مع الزحام، برقم ١٠٧٩، ومسلم، كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، برقم ٥٧٥.

انْشَقَّتْ»، و «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ»^(١).

وهذه الأحاديث تدل على أهمية سجود التلاوة ومشروعيتها المؤكدة وعناية النبي ﷺ به، ولكن دلت الأدلة الأخرى على عدم الوجوب، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة، قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: «يا أيها الناس إنما نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه» ولم يسجد عمر رضي الله عنه، وفي لفظ: «إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء»^(٢).

ومن أوضح الأدلة على أن سجود التلاوة سنة مؤكدة وليس بواجب حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «قرأت على النبي ﷺ ﴿وَالنَّجْم﴾ فلم يسجد فيها»^(٣).

ورجح الإمام النووي والحافظ ابن حجر، وابن قدامة - رحمهم الله - أن حديث زيد بن ثابت ثابت هذا محمول على بيان جواز عدم السجود، وأنه سنة مؤكدة وليس بواجب؛ لأنه لو كان واجباً لأمره بالسجود ولو بعد ذلك^(٤)، وقال الحافظ ابن حجر: «وأقوى الأدلة

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، برقم ١٠٨ - (٥٧٨).

(٢) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من رأى أن الله ﷻ لم يوجب السجود، برقم ١٠٧٧.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من قرأ السجدة ولم يسجد، برقم ١٠٧٢.

١٠٧٣ ومسلم، كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، برقم ٥٧٧.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨١/٥، والمغني لابن قدامة، ٣٦٥/٢، وفتح

الباري لابن حجر، ٥٥٥/٢.

على نفي الوجوب حديث عمر المذكور في هذا الباب»^(١)، وتعبه الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - فبين «أن أقوى منه وأوضح في الدلالة على عدم وجوب سجود التلاوة: قراءة زيد بن ثابت على النبي ﷺ سورة النجم، فلم يسجد فيها، ولم يأمره النبي ﷺ بالسجود، ولو كان واجباً لأمره به»^(٢).

وسجود المستمع إذا سجد القارئ، وإذا لم يسجد لم يسجد؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة، فيسجد، ونسجد معه فنزدحم حتى ما يجد أحداً لجبهته موضعاً يسجد عليه»^(٣)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه لتميم بن حذلم - وهو غلام - فقرأ عليه سجدة فقال: «اسجد فأنت إمامنا فيها»^(٤)، فالمستمع الذي ينصت للقارئ ويتابعه في الاستماع يسجد مع القارئ إذا سجد، وإذا لم يسجد فلا^(٥).

أما السامع الذي لا يقصد سماع القرآن وإنما مرّ فسمع القراءة وسجد القارئ، فإنه لا يلزمه السجود، قيل لعمران بن حصين رضي الله عنه: الرجل يسمع السجدة ولم يجلس لها، قال: «أرأيت لو قعد لها»

(١) فتح الباري، ٥٥٨/٢.

(٢) حاشية الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز على فتح الباري لابن حجر، ٥٥٨/٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ١٠٧٥، ومسلم، برقم ٥٧٥، وتقدم تخريجه.

(٤) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من سجد لسجود القارئ، رقم الباب ٨، قبل الحديث رقم ١٠٧٥، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٥٥٦/٢: «وصله سعيد بن منصور».

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٥٥٨/٢، والمغني لابن قدامة، ٣٦٦/٢، والشرح الممتع لابن عثيمين، ١٣١/٤.

كأنه لا يوجهه عليه^(١). وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «ما لهذا غدونا»^(٢)، وقال عثمان رضي الله عنه: «إنما السجدة على من استمعها»^(٣)، وأما المستمع بقصد فقال ابن بطال: «وأجمعوا على أن القارئ إذا سجد لزم المستمع أن يسجد»^(٤).

فقد فرّق بعض العلماء بين السامع والمستمع بما دلت عليه هذه الآثار^(٥).

وعدد سجّدات القرآن ومواضعها، خمس عشرة سجدة^(٦) في

(١) البخاري معلقاً، كتاب سجود القرآن، باب من رأى أن الله تعالى لم يوجب السجود، قبل الحديث رقم ١٠٨٧، وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري أنه وصله ابن أبي شيبة بمعناه، ثم صحح إسناده ابن حجر في الفتح، ٥٥٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في الكتاب والباب السابقين، وذكر ابن حجر أنه طرف من أثر وصله عبد الرزاق قال: مرّ سلمان على قوم قعود فقرؤوا السجدة فسجدوا، ف قيل له فقال: «ليس لهذا غدونا»، قال الحافظ في الفتح، ٥٥٨/٢: «وإسناده صحيح».

(٣) البخاري معلقاً في الكتاب والباب السابقين، وذكر الحافظ في الفتح، ٥٥٨/٢ أن عبد الرزاق وصله، وابن أبي شيبة قال: والطريقان صحيحان.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٥٥٦/٢، وانظر: نيل الأوطار للشوكاني، ٣٠٩/٢.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٥٥٨/٢، وقال الإمام النووي - رحمه الله - في حكم سجود التلاوة للسامع: «وهو سنة للقارئ والمستمع له، ويستحب أيضاً للسامع الذي لا يسمع لكن لا يتأكد في حقه تأكده في حق المستمع المصغي»، شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٨/٥.

(٦) اختلف العلماء في عدد سجّدات التلاوة: ف قيل: خمس عشرة سجدة، وهو رواية عن الإمام أحمد وبعض أصحاب الشافعي وهو الصواب.

وقيل: أربع عشرة سجدة وهو المشهور في مذهب الإمام أحمد، وهو رواية عن الشافعي وأبي حنيفة، لكن الحنابلة أسقطوا سجدة ص، والأحناف أسقطوا السجدة الثانية من الحج، وقيل: إحدى عشرة سجدة، وهو رواية عن الإمام مالك ومن تبعه.

المواضع الآتية:

- الموضع الأول: آخر سورة الأعراف، عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(١).
- الموضع الثاني: في الرعد عند قوله تعالى: ﴿وَضَلَّاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٢).
- الموضع الثالث: في النحل عند قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٣).
- الموضع الرابع: في الإسراء عند قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^(٤).
- الموضع الخامس: في سورة مريم عند قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(٥).
- الموضع السادس: في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٦).
- الموضع السابع: في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٧).
- الموضع الثامن: في سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾^(٨).

= انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨١/٥، والمغني لابن قدامة، ٣٥٢/٢، والمقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف، ٢٢٠/٤، والشرح الممتع، لابن عثيمين، ١٣٤/٤.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٦) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٧) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٨) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.

الموضع التاسع: في سورة النمل، عند قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١).

الموضع العاشر: في سورة ﴿الم﴾ السجدة، عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

الموضع الحادي عشر: في سورة ص، عند قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾^(٣).

الموضع الثاني عشر: في سورة فصلت، عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾^(٤).

وهذا قول الجمهور من العلماء، وقال الإمام مالك - رحمه الله - وطائفة من السلف، بل عند قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٥).

(١) سورة النمل، الآية: ٢٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٥.

(٣) سورة ص الآية: ٢٤، وسجدة ص ثبت بها الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ليس (ص) من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها»، [صحيح البخاري، كتاب سجود القرآن، باب سجدة ص، برقم ١٠٦١، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، برقم ٣٤٢٢] ومعنى ص ليس من عزائم السجود: «أي ما وردت العزيمة على فعله كصيغة الأمر مثلاً، بناء على أن بعض المندوبات أكد من بعض عند من لا يقول بالوجوب»، فتح الباري لابن حجر، ٥٥٢/٢. وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٣٦٣ يقول: «هذا الحديث يدل على ثبوت سجدة «ص»، والصواب أنه يسجد بها في الصلاة وخارجها، أما ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فهو من اجتهاده، وقد دل على سجدة «ص» فعل النبي ﷺ وكفى».

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٨.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

الموضع الثالث عشر: في آخر سورة النجم، عند قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾^(١).

الموضع الرابع عشر: في سورة الانشقاق عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾^(٢).

الموضع الخامس عشر: في آخر سورة العلق عند قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٣). وسجدتا سورة الحج جاء فيهما خبر خالد بن معدان رضي الله عنه قال: «فضلت سورة الحج بسجديتين»^(٤)، وجاء في خبر عقبة بن عامر، وزاد: «فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما»^(٥).
وسجود التلاوة في الصلاة الجهرية ثابت؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) سورة النجم، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٢١.

(٣) سورة العلق، الآية: ١٩.

(٤) ذكره الحافظ في بلوغ المرام، برقم ٣٦٦، وعزاه إلى أبي داود في المراسيل، وسمعت سماحة العلامة ابن باز - رحمه الله - يقول أثناء تقريره على هذا الخبر: «لا بأس بإسناده عند أبي داود، وأيد ذلك ما بعده».

(٥) الترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء في السجدة في الحج، برقم ٥٧٨، قال الترمذي: ليس إسناده بذلك القوي. وأخرجه أبو داود، كتاب سجود القرآن، باب تفريع أبواب السجود، برقم ١٤٠٢، والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٣٨٨، وفي صحيح الترمذي، ١/ ٣١٩ وضعف الحافظ ابن حجر إسناده في البلوغ، وسمعت الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - يقول: «يُعضد بالمرسل قبله، وابن كثير أنكر تضعيفه؛ لأن ابن لهيعة صرح بالسماع، والمعروف عند العلماء ضعف ابن لهيعة مطلقاً، لكن يعضد حديثه مرسل أبي داود، فيرفع الحديث إلى درجة الحسن المقبول الذي يحتج به». وقال: «عدد السجديات خمس عشرة سجدة: ثلاث في المفصل: النجم والانشقاق، والعلق، وسجدتان في الحج، وعشر مجمع عليها، والصواب سنية الجميع» سمعت ذلك من سماحته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٣٦٦، ٣٦٧.

أنه صلى بأصحابه صلاة العشاء فقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد، ف قيل له: ما هذه؟ قال: «سجدت فيها خلف أبي القاسم ؓ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه»^(١).

وصفة سجود التلاوة: أن من قرأ آية سجدة أو كان يستمع لها، فإنه يستحب له أن يستقبل القبلة ويكبر، ويسجد ثم يقول دعاء السجود، ثم يرفع من السجود بدون تكبير، ولا تشهد، ولا سلام^(٢)؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن، فإذا مرَّ بالسجدة كَبَّرَ وسجد وسجدنا معه»^(٣). وإذا كان سجود

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء، برقم ٧٦٦، وباب القراءة في العشاء بالسجدة، برقم ٦٧٨، ومسلم، كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، برقم ٥٧٨.

(٢) اختلف أهل العلم هل يشترط لسجود التلاوة ما يشترط لصلاة النفل: من الطهارة من الحدث والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة أم لا يشترط ذلك؟ رجع الإمام النووي أنه يشترط ذلك، ورجح الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية أن ذلك لا يشترط كما كان ابن عمر يفعل، [صحيح البخاري في كتاب سجود القرآن، باب سجود المشركين مع المسلمين رقم الباب ٥]، لكن قال: «هي بشروط الصلاة أفضل، ولا ينبغي أن يخل بذلك إلا بعذر»، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٢/٥، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٦٥/٢٣-١٧٠ ورجح عدم الاشتراط ابن القيم في تهذيب السنن، ١/٥٣-٥٦، وسمعت سماحة الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - يرجح أن الطهارة لسجود التلاوة لا تجب وإن كان ذلك خلاف ما عليه الجمهور، لأنها مستحبة لأسباب تقع في القراءة، والقراءة لا تجب لها الطهارة، فما كان من توابع القراءة فكذلك، وقول الجمهور ليس بحجة فلا تلزم موافقتهم بغير دليل. سمعته من سماحته - رحمه الله - أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٣٦٩ عندما سئل هل تشترط الطهارة لسجود التلاوة؟ وانظر للفائدة في معرفة الخلاف: المغني لابن قدامة، ٣٥٨/٢، ونيل الأوطار للشوكاني، ٣١٣/٢، وقال: «أما ستر العورة والاستقبال فليل إنه معتبر اتفاقاً»، وفح البارى لابن حجر، ٥٥٣/٢-٥٥٤، وسبل السلام للصنعاني، ٣٧٩/٢، والشرح الممتع لابن عثيمين، ١٢٦/٤، وفتاوى ابن باز، ٤٠٦/١١-٤١٥.

(٣) أبو داود، كتاب سجود القرآن، باب في الرجل يسمع السجدة وهو راكب أو في غير

التلاوة في الصلاة، فإنه يكبر حين يسجد وحين ينهض من السجود؛ لأن النبي ﷺ كان يكبر في الصلاة في كل خفض ورفع^(١)، وقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(٢)، وإذا قرأ السجدة في الصلاة في آخر السورة، فإن شاء ركع، وإن شاء سجد ثم قام فقرأ شيئاً من القرآن ثم ركع، وإن شاء سجد ثم قام فركع من غير قراءة»^(٣).

والدعاء في سجود التلاوة، يدعو بمثل دعائه في سجود الصلاة، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل [يقول في السجدة مراراً]^(٤): «سجد وجهي للذي خلقه [وصوره]^(٥) وشق سمعه وبصره، بحوله وقوته [فتبارك الله أحسن الخالقين]^(٦)»^(١).

= صلاة، برقم ١٤١٣، وقال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام: «إسناده لين»، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٤٧٢، وأخرجه الحاكم في المستدرک عن غيبه الله، ٢٢٢/١، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ولكن الحاكم لم يذكر التكبير في النسخة الموجودة عندي، وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يقول: «يتقوى الحديث برواية الحاكم، فتكون التكبير عند السجود فقط إلا إذا كان في الصلاة فإنه يكبر مع كل خفض ورفع»، سمعته أثناء تقريره - رحمه الله - على بلوغ المرام، الحديث رقم ٣٦٩، وهكذا الشوكاني في نيل الأوطار، رأى ثبوته عن عبيد الله المصغر، ٣١١/٢، والصنعاني في سبل السلام، ٣٨٦/٢.

(١) رجح هذا كله الإمام ابن باز في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ٤٠٦/١١-٤١٠، وانظر: المختارات الجليلة من المسائل الفقهية للسعدي، ص ٤٩.

(٢) البخاري، برقم ٥٩٥، وتقدم تخريجه.

(٣) نقله ابن قدامة في المغني، ٣٦٩/٢.

(٤) من سنن أبي داود، برقم ١٤١٤.

(٥) من سنن البيهقي، ٣٢٥/٢.

(٦) أبو داود، كتاب سجود القرآن، باب ما يقول إذا سجد، برقم ١٤١٤، والترمذي، كتاب

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنني رأيت البارحة فيما يرى النائم كأني أصلي إلى أصل شجرة، فقرأت السجدة فسجدتُ، فسجدتِ الشجرةُ لسجودي، فسمعتها تقول: «اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، [وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود]». قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فرايت النبي ﷺ قرأ سجدة ثم سجد، فسمعتة يقول في سجوده مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة»^(٢).

ويشرع في سجود التلاوة ما يشرع في سجود الصلاة^(٣).

والصواب أن سجود التلاوة يجوز في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها؛ لأنه من ذوات الأسباب^(٤).

= الجمعة، باب ما جاء ما يقول في سجود القرآن، برقم ٥٨٠، والنسائي، كتاب التطبيق، باب نوع آخر، برقم ١١٢٩، وأحمد، ٢١٧/٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٦٥/١.

(١) من المستدرك للحاكم، ١/ ٢٢٠.

(٢) الترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء ما يقول في سجود القرآن، برقم ٥٧٩، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب سجود القرآن، برقم ١٠٥٣، وعنده (اللهم احطط) بدلاً من «اللهم اكتب»، ما بين المعقوفين من سنن الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١/ ١٨٠، وصحيح سنن ابن ماجه، ١/ ١٧٣.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للإمام عبد العزيز بن باز، ١١/ ٤٠٧، وانظر: الشرح الممتع، ١٤٤/٤.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٨٢، ونيل الأوطار للشوكاني، ٢/ ٣١٣، ومجموع فتاوى ابن باز، ١١/ ٢٩١.

السبب السابع والثلاثون: المحافظة على سنن الصلاة: القولية والفعلية:

لا شك أن العمل بسنن الصلاة القولية والفعلية يجلب الخشوع في الصلاة، ويزيد ثوابها، ويرفع درجات صاحبها في الدنيا والآخرة، وهي سنن أقوال وأفعال، ولا تبطل الصلاة بترك شيء منها عمداً ولا سهواً، وسنن الصلاة، هي ما عدا الشروط، والأركان، والواجبات، وهي على النحو الآتي^(١):

١- رفع اليدين حذو المنكبين أو الأذنين، مع تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من التشهد الأول؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٢)؛ ولحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه^(٣).

٢- وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى على الصدر؛ لحديث وائل رضي الله عنه^(٤)؛ ولحديث سهل رضي الله عنه^(٥).

٣- النظر إلى موضع السجود في الصلاة؛ لحديث عشرة من أصحاب النبي ﷺ^(٦).

(١) من السنن قبل الدخول في الصلاة: السواك عند كل صلاة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» متفق عليه: البخاري، برقم ٨٨٧، ومسلم، برقم ٢٥٢. ومن السنن قبل الصلاة اتخاذ سترة للإمام والمنفرد؛ لحديث أبي ذر رضي الله عنه يرفعه: «إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستتره إذا كان بين يديه مثل مؤخرة الرحل» مسلم، برقم ٥١٠، وتقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٣٥، ومسلم، برقم ٣٩٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٣٧، ومسلم، برقم ٣٩١.

(٤) أخرجه ابن خزيمة، برقم ٤٧٩.

(٥) البخاري، برقم ٧٤٠.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي، ٢/٢٨٣، ٥/٢٥٨، والحاكم، ١/٤٧٩، وتقدم تخريجه.

- ٤- دعاء الاستفتاح؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(١).
- ٥- التعوذ بالله من الشيطان؛ للآية؛ ولحديث أبي سعيد رضي الله عنه ^(٢).
- ٦- البسملة؛ لحديث أنس رضي الله عنه ^(٣).
- ٧- قول آمين بعد قراءة الفاتحة، يجهر بها في الجهرية ويُسرُّ في السرية؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(٤).
- ٨- قراءة سورة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين، أو ما تيسَّر من القرآن؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه ^(٥).
- ٩- الجهر بالقراءة في الصلاة الجهرية؛ لحديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ^(٦)؛ ولغيره من الأحاديث ^(٧).
- ١٠- الإسرار في الصلاة السرية؛ لحديث خباب رضي الله عنه وأنهم كانوا يعرفون قراءة النبي ﷺ في صلاة الظهر والعصر، باضطراب لحيته ^(٨).
- ١١- السكته اللطيفة بعد الفراغ من القراءة كلها؛ لحديث الحسن

(١) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٤٣، ومسلم، برقم ٥٩٨.

(٢) أبو داود، برقم ٧٧٥، والترمذي، برقم ٢٤٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣ / ٣٦١.

(٣) أحمد، ٣ / ٢٦٤، والنسائي، برقم ٩٠٧.

(٤) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٨٠، ومسلم، برقم ٤١٠.

(٥) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٥٩، ومسلم، برقم ٤٥١.

(٦) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٦٥، ومسلم، برقم ٤٦٣.

(٧) جاءت الأخبار الكثيرة بالجهر في صلاة الفجر والعشاء والمغرب، انظر: صحيح

البخاري، من حديث رقم ٧٧٤-٧٦٣.

(٨) البخاري، كتاب الأذان، باب القراءة في العصر، برقم ٧٦١.

عن سمرة رضي الله عنه^(١).

١٢- وضع اليدين مفرجتي الأصابع على الركبتين كأنه قابض عليهما؛ لحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه^(٢).

١٣- مدّ الظهر في الركوع حتى لو صب عليه الماء لاستقر، وجعل الرأس حيال الظهر؛ لحديث رفاعه بن رافع رضي الله عنه^(٣)؛ ولحديث وابصة بن معبد رضي الله عنه^(٤).

١٤- مجافاة اليدين عن الجنين في الركوع؛ لحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه^(٥).

١٥- ما زاد على التسيحة الواحدة في الركوع والسجود؛ لحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه^(٦).

١٦- ما زاد على المرة الواحدة في سؤال الله المغفرة بين السجدين؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه^(٧).

١٧- قول «ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء

(١) أبو داود، برقم ٧٧٨، والترمذي، برقم ٢٥١، قال الشوكاني في نيل الأوطار، ٢/ ٢٦٤: «حسنه الترمذي... فكان هذا الحديث على مقتضى تصرفه جديراً بالتصحيح، وقد قال الدارقطني: رواة الحديث كلهم ثقات».

(٢) البخاري، برقم ٨٢٨، وأبو داود، برقم ٧٣١، ٧٣٤.

(٣) أبو داود، برقم ٨٥٩.

(٤) ابن ماجه، برقم ٨٧٢.

(٥) أبو داود، برقم ٧٣٤.

(٦) مسلم، برقم ٧٧٢، وابن ماجه، برقم ٨٨٨.

(٧) أبو داود، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، برقم ٨٩٧.

- بعد» بعد قول: ربنا لك الحمد؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(١).
- ١٨- وضع الركبتين قبل اليدين في السجود، ورفع اليدين قبل الركبتين في القيام؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه ^(٢).
- ١٩- ضم أصابع اليدين في السجود؛ لحديث وائل رضي الله عنه ^(٣).
- ٢٠- تفريج أصابع الرجلين في السجود؛ لحديث أبي حميد رضي الله عنه ^(٤).
- ٢١- استقبال القبلة بأطراف أصابع اليدين والرجلين في السجود؛ لحديث أبي حميد الساعدي ^(٥).
- ٢٢- مجافاة العضدين عن الجنين في السجود؛ لحديث عبد الله بن مالك بن بحنة رضي الله عنه ^(٦).
- ٢٣- مجافاة البطن عن الفخذين، والفخذين عن الساقين، والتفريج بين الفخذين؛ لحديث أبي حميد رضي الله عنه ^(٧).
- ٢٤- وضع اليدين حذو المنكبين أو الأذنين في السجود، والسجود بينهما؛ لحديث أبي حميد رضي الله عنه ^(٨)، وحديث وائل رضي الله عنه ^(٩)؛ والبراء رضي الله عنه ^(١٠).

(١) مسلم، برقم ٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) أبو داود، برقم ٨٣٨، ٨٣٩، والترمذي، برقم ٢٦٨.

(٣) الحاكم، ٢٢٤/١.

(٤) أبو داود، برقم ٧٣٠، وابن خزيمة في صحيحه، برقم ٦٥١.

(٥) البخاري، برقم ٨٢٨، وصحيح ابن خزيمة، برقم ٦٤٣.

(٦) متفق عليه: البخاري برقم ٨٠٧، ومسلم، برقم ٤٩٥، ٤٩٦.

(٧) أبو داود، برقم ٧٣٥.

(٨) أبو داود، برقم ٧٣٤، والترمذي، برقم ٢٧٠.

(٩) النسائي، برقم ٨٨٩، وتقدم تخريجه.

(١٠) متفق عليه: البخاري، برقم ٨٢٢، ومسلم، برقم ٤٩٣.

- ٢٥- ضم القدمين والعقبين ونصبهما في السجود؛ لحديث عائشة رضي الله عنها^(١).
- ٢٦- الإكثار من الدعاء في السجود؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٢)؛ ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٣).
- ٢٧- افتراش الرجل اليسرى ونصب اليمنى في الجلوس بين السجدين وفي التشهد الأول؛ لحديث عائشة رضي الله عنها^(٤).
- ٢٨- وضع اليد اليمنى على الفخذ اليمنى واليسرى على اليسرى إذا جلس في الصلاة، أو وضع الكفين على الركبتين، أو وضع الكف اليمنى على الفخذ اليمنى واليسرى على اليسرى ويلقُم كَفَّهُ اليسرى ركبته؛ لحديث عبد الله بن الزبير عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٥)؛ وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٦).
- ٢٩- وضع الذراعين على الفخذين في التشهد، وفي الجلوس بين السجدين؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه^(٧).
- ٣٠- قبض خنصر وبنصر اليد اليمنى في التشهد، والتَّحْلِيْق بين الإبهام والوسطى، والإشارة بالسبابة وتحريكها إلى القبلة عند ذكر الله، وعند الدعاء؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه^(٨).
- ٣١- جلسة الاستراحة قبل القيام إلى الركعة الثانية، والركعة الرابعة؛ لحديث

(١) مسلم، برقم ٤٨٦، وصحيح ابن خزيمة، برقم ٦٥٤.

(٢) مسلم، برقم ٤٨٢.

(٣) مسلم، برقم ٤٧٩.

(٤) مسلم، برقم ٤٩٨.

(٥) مسلم، برقم ٥٧٩.

(٦) مسلم، برقم ٥٨٠.

(٧) النسائي، برقم ١٢٦٤.

(٨) ابن ماجه، برقم ٩١٢.

مالك بن الحويرث رضي الله عنه^(١)؛ ولحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه^(٢)، وأبي هريرة رضي الله عنه^(٣).

٣٢- التورُّك في التشهد الثاني؛ لحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه^(٤).

٣٣- النظر إلى السبابة عند الإشارة بها في الجلوس؛ لحديث عبد الله بن الزبير^(٥)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه^(٦).

٣٤- الصلاة والتبريك على محمد وآل محمد، وعلى إبراهيم وآل إبراهيم في التشهد الأول؛ لعموم الأدلة^(٧).

٣٥- الدعاء والتعوُّذ من أربع بعد التشهد الثاني؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٨).

٣٦- الالتفات يميناً وشمالاً في التسليمتين؛ لحديث عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه^(٩).

٣٧- نيته في سلامه: الخروج من الصلاة، والسلام على الملائكة والحاضرين؛ لأدلة كثيرة^(١٠)، منها حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه وفيه: «عَلَامَ تَوْمُؤُنَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ، إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ

(١) البخاري، برقم ٨٢٣.

(٢) أبو داود، برقم ٧٣٠.

(٣) البخاري، برقم ٦٢٥١.

(٤) البخاري، برقم ٨٢٨.

(٥) النسائي، برقم ١٢٧٥.

(٦) النسائي، برقم ١٦٦٠.

(٧) انظر: الدروس المهمة للإمام ابن باز، الدرس العاشر.

(٨) متفق عليه: البخاري، برقم ١٣٧٧، ومسلم، برقم ٥٨٨.

(٩) مسلم، برقم ٥٨٢.

(١٠) انظر: حاشية ابن قاسم على الروض المربع، ٧٩/٢، والشرح الممتع، ٢٨٩/٣.

يضع يده على فخذه ثم يسلم على أخيه: من على يمينه وشماله»^(١).
والمحافظة على هذه السنن يزيد الخشوع في الصلاة، ويزيد في الثواب عند الله تعالى.

السبب الثامن والثلاثون: ذكر الموت في الصلاة:

لا شك أن من دخل في صلاته وهو يذكر الموت، ويخشى أن تكون هذه الصلاة هي آخر صلاة يُصليها، فإنه سيخشع في صلاته؛ ولهذا أوصى النبي ﷺ بذلك؛ فعن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: عِظْنِي وَأَوْجِزْ؟ فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ، وَلَا تَكَلِّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»، وهذا لفظ أحمد، ولفظ ابن ماجه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ، وَلَا تَكَلِّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُصَلِّي صَلَاةً غَيْرَهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ»^(٣).

(١) مسلم، برقم ٤٣١.

(٢) أحمد، ٤١٢/٥، وفي المحقق، ٤٨٤/٣٨، برقم ٢٣٤٩٨، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحكمة، برقم ٤١٧١، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣/٣٦٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٤٠١.

(٣) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، ٢/٢٦١، كما قاله الألباني، وحسنه الألباني في

السبب التاسع والثلاثون: الحذر من الغفلة:

لا شك أن من أسباب الخشوع في الصلاة الحذر من الغفلة؛ فإن الغفلة من أسباب الخذلان والهلاك في الدنيا والآخرة؛ والغفلة: تركٌ باختيار الغافل، وأما النسيان فهو: تركٌ بغير اختيار الإنسان، والسلامة منهما بالذكر، وهو التخلص من الغفلة والنسيان^(١)؛ ولعظم خطر الغفلة نهى الله تعالى رسوله عنها فقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢)، والغافلون هم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ فإنهم حُرِّموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عَمَّنْ كُلِّ السَّعَادَةِ والفوز بذكره، وعبوديته، وأقبلوا على من كلِّ الشقاوة والخيبة في الاشتغال به^(٣).

ومن أعظم خطر الغفلة أن من غفل عن الله عاقبه بأن يُغفله عن ذكره، ويجعله يتبع هواه، ويكون أمره ضائعاً معطلاً^(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٥)، وأكثر الناس يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، ويغفلون عن الله والدار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ *

= سلسلة الأحاديث الصحيحة في المجلد السادس، القسم الثاني، ٨٢٠/٦، برقم ٢٨٣٩،

وفي المجلد الثالث، ص ٤٠٨، برقم ١٤٢١.

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٤٣٤/٢، وكتاب الغفلة للمؤلف، ص ٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٣١٤.

(٤) انظر: كتاب الغفلة للمؤلف، ص ١٥.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ^(١).

السبب الأربعون: الاستجابة لله ولرسوله مع العلم أن الله يحول بين المرء وقلبه:

لا شك أن من أسباب الخشوع في الصلاة الاستجابة لله ورسوله ﷺ مع الخوف من أن يحول الله بين العبد وقلبه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢)، فالله تعالى يأمر عباده المؤمنين بالاستجابة له ولرسوله، والانقياد والمبادرة إلى ذلك، والاجتناب لما نهى عنه الله ورسوله، والدعوة إلى ذلك؛ لأن حياة القلب والروح بعبوديته تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله ﷺ؛ ولهذا حذر عن عدم الاستجابة لله ولرسوله فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فإياكم أن تردُّوا أمر الله أول ما يأتاكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء، ويصرفها كيف شاء^(٣).

فينبغي للعبد أن يسأل الله أن يصرف قلبه على طاعته؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ

(١) سورة الروم، الآيتان: ٦-٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٣١٨.

الْقُلُوبِ صَرَّفَ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(١).

وفي حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حينما يكون عندها-
كَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قَالَتْ:
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَأَكْثَرَ دُعَائِكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي
عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «يَا أُمُّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ
مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَرَاغَ»، فَتَلَا مُعَاذُ: «رَبَّنَا لَا
تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا»^(٢).

السبب الحادي والأربعون: سؤال الله تعالى الخشوع في الصلاة:

من الأسباب العظيمة التي تجلب الخشوع في الصلاة أن يسأل
العبد ربه، ويتضرع إليه بسؤاله التوفيق للخشوع الذي يحبه الله
سبحانه في الصلاة، قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»^(٣)، وقال ﷺ: «وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»^(٤).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ
بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى

(١) مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، برقم ٢٦٥٤.

(٢) الترمذي بلفظه، كتاب الدعوات، باب دعاء يا مقلب القلوب، برقم ٣٥٢٢، وحسنه،

وأحمد، ١٨٢/٤، والحاكم، ٥٢٥/١، ٥٢٨، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في

صحيح الجامع، ٣٠٩/٦، وفي صحيح الترمذي، ١٧١/٣. والآية: ٨ من سورة آل عمران.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

ثَلَاثٌ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوءِ مِثْلَهَا»، قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(٢).

السبب الثاني والأربعون: العلم بأن العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل منها: من الأسباب التي تُعينُ على الخشوع في الصلاة: أن يعلم العبد المسلم أنه ليس له من صلاته إلا ما أقبل عليه بقلبه؛ لحديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ، تَسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»^(٣).

وعن كعب بن عمرو السلمي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ، وَالثُّلُثَ، وَالرُّبْعَ، حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ»^(٤).

(١) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٧١٠، والحاكم، ٤٩٣/١، وأحمد، ١٨/٣، والترمذي، بنحوه، في كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج، برقم ٣٥٧٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٤٦٧/٣.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب رقم ٢، برقم ٣٣٧٣، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣٨٤/٣.

(٣) أبو داود، برقم ٧٩٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/٢٢٦، وتقدم تخريجه في التحذير من ترك الخشوع في الصلاة.

(٤) أحمد، ٢٨٠/٢٤، برقم ١٥٥٢٢، والنسائي في الكبرى، برقم ٦١٦، ١/٣١٦، وحسنه الألباني لغيره، في صحيح الترغيب والترهيب، ٣٥٢/١.

وقال ابن عباس: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها»^(١).

السبب الثالث والأربعون: معرفة خشوع النبي ﷺ في صلاته:

مما يُعين على الخشوع في الصلاة ويجلبه معرفة ما كان عليه النبي ﷺ من الخشوع في الصلاة؛ وقد كانت الصلاة قرّة عينه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ النِّسَاءُ، وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

وقال النبي ﷺ لبلال: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»، وفي لفظ: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»^(٣).

وقد كان النبي ﷺ إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه، ورمى ببصره نحو الأرض موضع السجود، وكان في التشهد لا يجاوز بصره إشارته، هكذا ذكّر عنه ﷺ^(٤) ^(٥).

السبب الرابع والأربعون: معرفة خشوع الصحابة والتابعين وأتباعهم رحمهم الله:

المتأمل بتفكير في خشوع السلف الصالح في صلاتهم يزيده ذلك خشوعاً؛ لما يرى ويعلم من خشوعهم العظيم الذي يدل على إحسانهم في صلاتهم، وأنهم يعبدون الله كأنهم يرونه، وهذه هي

(١) تقدم تخريجه، في حكم الخشوع في الصلاة.

(٢) النسائي، برقم ٣٩٤٠، وأحمد، برقم ١٢٢٩٣، ١٣٠٥٧، وتقدم تخريجه في المبحث العاشر «الصلاة بخشوع قرة للعين وراحة للقلب».

(٣) أبو داود، برقم ٤٩٨٥، ٤٩٨٦، وأحمد في المسند، برقم ٢٣١٥٤، وتقدم تخريجه في المبحث العاشر.

(٤) تقدم تخريجه في النظر إلى موضع السجود، وإلى السبابة في التشهد، في السبب الثالث والثلاثين.

(٥) وانظر: المبحث الرابع عشر: خشوع النبي ﷺ في صلاته من هذا الكتاب.

الدرجة العظمى من الإحسان في العبادة.

فهذا أبو بكر رضي الله عنه يبكي في صلاته كما ذكرت عائشة رضي الله عنها^(١). وهذا عمر الفاروق يُقتل وهو يُصلي، ثم أغمي عليه، وعندما أفاق قال: «هل صلى الناس؟»، فسأل: عن الصلاة قبل أن يسأل عمن قتله؟^(٢).

وذاك سعد بن معاذ إذا صلى لا يحدث نفسه بغير ما هو فيه من صلاته^(٣).

وهذا التابعي الجليل عروة بن الزبير يأمر الأطباء بقطع رجله في الصلاة؛ لأنه لا يشعر بذلك؛ لتعلق قلبه بالله ومناجاته^(٤).

وهذا الإمام البخاري يلسعه الزنبور في سبعة عشر موضعاً من جسده تحت ثوبه ولم ينصرف من صلاته، ولم ينظر حتى سلم من صلاته^(٥)، وغير ذلك كثير^(٦).

فمن نظر في خشوع السلف الصالح في صلاتهم جلب له ذلك الخشوع إن كان قلبه سليماً.

(١) انظر: صحيح البخاري، برقم ٧١٣، ٦٧٩، ومسلم، برقم ٤١٨، وتقدم تخريجه في المبحث الخامس عشر.

(٢) انظر: كتاب الصلاة لابن القيم، ص ٢٦ وتقدم تخريجه في المبحث الخامس عشر.

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٢ / ٦٠٥، وتقدم في المبحث الخامس عشر.

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٩ / ١٠٢ - ١٠٣، وتقدم في المبحث الخامس عشر.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٢ / ٤٤٢، ومقدمة فتح الباري لابن حجر، ص ٤٨٠.

(٦) وقد ذكرت نماذج كثيرة من خشوع السلف الصالح في المبحث الخامس عشر من هذا الكتاب، والله الموفق.

السبب الخامس والأربعون: العلم بما ثبت في التحذير من ترك الخشوع، وما ثبت من الترغيب في الخشوع:

مما يُعين على الخشوع معرفة ما جاء عن النبي ﷺ من التحذير من ترك الخشوع في الصلاة وسرقتها، والعلم بما ثبت من فضائل الخشوع وفوائده، ومن ذلك على سبيل الإيجاز والاختصار ما يأتي:

أولاً: ثبت عن النبي ﷺ: إخباره بأن أشد الناس سرقة الذي يسرق صلاته، فلا يتم ركوعها ولا سجودها^(١)، وأن الله لا ينظر إلى صلاة عبدٍ لا يُقيم فيها صلبه بين ركوعه وسجوده^(٢)، وإن مات وهو لا يتم ركوعه، وينقر في سجوده مات على غير ملة محمد ﷺ^(٣)، وقد يُصلي المرء ستين سنة، وما قبلَ الله منه صلاة واحدة؛ لعله يتم الركوع ولا يتم السجود، ويتم السجود ولا يتم الركوع^(٤).

ثانياً: الخشوع في الصلاة له فضائل عظيمة، فقد ثبت عن النبي ﷺ: أن من صلى ركعتين لا يُحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه^(٥)، وأن من أحسن الوضوء ثم صلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة^(٦)، وجاء في القرآن الكريم أن الفوز

(١) أحمد، برقم ٢٢٦٤٢، وابن خزيمة، برقم ٦٦٣ وتقدم تخريجه في المبحث العاشر: التحذير من ترك الخشوع في الصلاة.

(٢) أحمد، برقم ١٦٢٨٣، وغيره، وتقدم تخريجه في المبحث العاشر: التحذير من ترك الخشوع في الصلاة.

(٣) الطبراني في الكبير، برقم ٣٨٤٠، وابن خزيمة، برقم ٦٦٥، وتقدم تخريجه في المبحث العاشر: التحذير من ترك الخشوع في الصلاة.

(٤) الأصبهاني في الترغيب والترهيب، برقم ١٨٩٥، وتقدم تخريجه في المبحث العاشر.

(٥) البخاري، برقم ١٣٦، ومسلم، برقم ٢٤٦، وتقدم تخريجه في المبحث الرابع.

(٦) مسلم، برقم ٢٣٤، وتقدم تخريجه في المبحث الرابع.

والفلاح، والسعادة في الدنيا والآخرة للخاصعين في صلاتهم^(١)، وغير ذلك من الفضائل والفوائد العظيمة^(٢).

السبب السادس والأربعون: فهم وتدبر معاني أفعال الصلاة يجلب الخشوع فيها: لا شك أن من تدبر معاني أفعال الصلاة خشع في صلاته، ومن ذلك تدبر الأفعال الآتية:

أولاً: فهم وتدبر معنى القيام في الصلاة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٣)، فإذا انتصب العبد قائماً لله في صلاته بين يديه سبحانه فليشاهد بقلبه قِيُومِيته تعالى^(٤)، ويذكر أنه إذا أحسن هذا الوقوف في الصلاة في الدنيا سهل عليه الوقوف أمام الله يوم القيامة، وإذا استهان بهذا الوقوف، ولم يُوفِّه حقه شُدَّ عليه الوقوف يوم القيامة^(٥)، ومن مقتضى هذا القيام أن يقبل على الله بقلبه وجسده، فلا يلتفت: لا بقلبه، ولا ببصره، ولا جسده^(٦).

ثانياً: فهم وتدبر معنى رفع الأيدي في الصلاة حذو المنكبين أو حذو الأذنين في أربعة مواضع: إذا كبر تكبيرة الإحرام، وإذا كبر للركوع، وإذا رفع من الركوع، وإذا قام من الركعتين - أي من التشهد الأول - يرفعهما كما صنع عند الافتتاح، وهذا هو السنة.

(١) انظر: سورة المؤمنون: ١-٢.

(٢) انظر: المبحث الرابع: فضائل الخشوع في الصلاة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٤) انظر: كتاب الصلاة لابن القيم، ص ١١٧.

(٥) الفوائد لابن القيم، ص ٤٣٥.

(٦) انظر: الخشوع في الصلاة، لابن رجب، ص ٢٢.

والحكمة في ذلك: اتباع النبي ﷺ، ويضاف إلى ذلك من الحكم: أن رفع اليدين في تكبيرة الإحرام فيه الإشارة إلى رفع حجاب الغفلة بينك وبين الله، وفي غير تكبيرة الإحرام إعظماً لله. وقال بعضهم: إنها استسلام لله وانقياد له تعالى، كالأسير المستسلم.

وقال بعضهم: نفي الكبرياء عن غير الله.

وقال بعضهم: زينة للصلاة، وعلى كل حال: فهو اتباع للسنة الثابتة عن النبي ﷺ^(١)؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة، وإذا كبر للركوع، وإذا رفع رأسه من الركوع، ولا يفعل له حين يرفع رأسه من السجود. وفي لفظ: «وإذا قام من الركعتين رفع يديه»^(٢)، وفي حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا كبر رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه، وإذا ركع رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه، وإذا رفع رأسه من الركوع فقال: «سمع الله لمن حمده»، فعل مثل ذلك، وفي لفظ لمسلم: «حتى يحاذي بهما فروع أذنيه»^(٣).

(١) انظر: كتاب الصلاة لابن القيم، وزاد المعاد، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام، للبسام، ٢٨ / ٢، والشرح الممتع لابن عثيمين، ٣ / ٣٤، وحاشية الروض المربع، لابن قاسم، ١١ / ٢.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين في التكبيرة الأولى مع الافتتاح سواء، برقم ٧٣٥، ورقم ٧٣٩، ومسلم، كتاب الصلاة، برقم ٣٩٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين إذا كبر وإذا ركع، وإذا رفع، برقم ٧٣٧، ومسلم واللفظ له، في كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام والركوع، وفي الرفع من الركوع، وأنه لا يفعل إذا رفع من السجود، برقم ٣٩١.

والأحاديث الواردة في ابتداء رفع اليدين جاءت على وجوه ثلاثة:
 الوجه الأول: جاء ما يدل على أنه ﷺ رفع يديه ثم كبر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام للصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه، ثم كبر»^(١)؛ ولحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه يُحدث به في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيه: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يُحاذي بهما منكبيه، ثم يُكبر»^(٢).

الوجه الثاني: جاء ما يدل على أنه ﷺ كبر ثم رفع يديه، فعن أبي قلابة أنه «رأى مالك بن الحويرث إذا صلى كبر ثم رفع يديه... وحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل هكذا»^(٣).

الوجه الثالث: جاء ما يدل على أنه ﷺ رفع يديه مع التكبير، وانتهى منه مع انتهائه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «رأيت رسول الله ﷺ افتتح التكبير في الصلاة، فرفع يديه حين كبر حتى جعلهما حذو منكبيه»^(٤). فمن فعل صفة من هذه الصفات فقد

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين، برقم ٣٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد برقم ٨٢٨، واللفظ لأبي داود، برقم ٧٣٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين إذا كبر، برقم ٧٣٧، ومسلم واللفظ له، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين، برقم ٣٩١.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب إلى أين يرفع يديه، برقم ٧٣٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام، برقم ٣٩٠.

أصاب السنة^(١).

وإن نوع بين هذه الصفات الثلاث، فتارة يفعل هذا، وتارة هذا، وتارة هذا، فلا بأس، وهذا يعين على الخشوع في الصلاة، والعلم عند الله تعالى.

ثالثاً: فهم وتدبر معنى وضع اليدين على الصدر في حال القيام في الصلاة: اليد اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرأس على الساعد، وهذا فيه إظهار الذل، والانكسار، والخشوع لله تعالى، وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن المراد بذلك فقال: «هو ذل بين يدي عزيز»^(٢).

رابعاً: فهم وتدبر معنى الركوع؛ فإنه يدل على الذل بظاهر الجسد؛ ولهذا كانت العرب تأنف منه ولا تفعله، وقد قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَزَكُّوْنَ﴾^(٣)، وتمام الخضوع في الركوع أن يخضع القلب لله، ويذل له، فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله ﷻ^(٤).

قال العلامة الأصفهاني رحمه الله: «الركوع: الانحناء، فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي، وتارة في التواضع والتذلل: إما في العبادة، وإما في غيرها»^(٥).

خامساً: فهم وتدبر معنى السجود؛ فإنه أعظم ما يظهر فيه ذل العبد

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٢/٢١٨، وسبل السلام للصنعاني، ٢/٢١٧، والشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/٣٩.

(٢) الخشوع في الصلاة لابن رجب، ص ٢١.

(٣) سورة المرسلات، الآية: ٤٨.

(٤) انظر: الخشوع في الصلاة لابن رجب ص ٢٥.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٦٤.

لربه تعالى، حيث جعل العبد أشرف أعضائه وأعزّها عليه، وأعلاها عليه، حقيقة أوضع ما يمكنه، فيضعه في التراب مُتَعَفِّراً، ويتبع ذلك انكسار القلب، وتواضعه، وخشوعه لله ﷻ؛ ولهذا كان جزاء المؤمن إذا فعل ذلك أن يقربه الله ﷻ إليه؛ فإن «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء»^(١)، كما صح عن النبي ﷺ.

والسجود أيضاً مما كان يأنفه المشركون المستكبرون عن عبادة الله ﷻ، وكان بعضهم يقول: أكره أن أسجد فتعلوني استي، وبعضهم يأخذ كفاً من حصي فيرفعه إلى جبهته، ويكتفي بذلك عن السجود، وإبليس إنما طرده الله لما استكبر عن السجود، لمن أمره الله بالسجود له^(٢).

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «السجود: أصله التطامن والتذلّل، وجُعِلَ ذلك عبارة عن التذلّل لله وعبادته.

وهو عام في الإنسان، والحيوان، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب.

وسجود تسخير وهو: للإنسان، والحيوان، والنبات»^(٣).

وسجود التسخير يعم كل شيء ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٤).

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع أو السجود، برقم ٤٨٢.

(٢) انظر: الخشوع في الصلاة لابن رجب، ص ٢٦.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٣٩٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٩.

وغير ذلك من فهم وتدبر معاني أفعال الصلاة: كالجلوس بين السجدين، والجلوس في التشهد واضعاً يديه على ركبتيه، كل ذلك يدل على الخضوع والتذلل لله تعالى.

السبب السابع والأربعون: فهم وتدبر معاني أقوال الصلاة:

لا شك أن من تدبر معاني أقوال الصلاة خشع قلبه في صلاته، ومن ذلك على سبيل الاختصار تدبر المعاني الآتية:

أولاً: فهم وتدبر معنى تكبيرة الإحرام: الله أكبر:

«الله أكبر» أي: الله تعالى أكبر من كل شيء: في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وحُذِفَ المفضل عليه ليتناول اللفظ كل شيء، فتكبيره سبحانه جامع لإثبات كل كمال له، وتنزيهه عن كل نقص وعيب، وإفراده وتخصيصه بذلك، وتعظيمه وإجلاله.

وأكبر من أن يُذكر بغير المدح والتمجيد والثناء الحسن.

وحكمة الاستفتاح بها: ليستحضر المصلّي عظمة من يقف بين يديه، فيخشع له، ويستحيي أن يشتغل بغيره؛ ولهذا أجمع العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها و حضر قلبه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١)، والخشوع إنما يحصل لمن استحضر عظمة ملك الملوك، وأنه يناجيه، ويخشى أن يردّها عليه، فيفرّغ قلبه لها، و يشتغل بها عمّا عداها، ويؤثرها على ما سواها، فتكون راحته وقرّة عينه، قال النبي

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١).

فإذا استشعر العبد بقلبه أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال استحيا منه أن يُشغل قلبه في الصلاة بغيره، فلا يكون موفياً لمعنى «الله أكبر»، ولا مؤدياً لحق هذا اللفظ، فقبيح بالمُصلي أن يقول بلسانه: «الله أكبر»، وقد امتلأ قلبه بغير الله، فلو قضى حق هذا اللفظ لدخل و انصرف بأنواع التحف والخيرات^(٢).

ثانياً: فهم وتدبر معاني دعاء الاستفتاح في الصلاة

١- «سبحانك اللهم وبحمدك»^(٣)، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»^(٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣/ ٢٨٥، برقم ١٤٠٣٧، والنسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ٧/ ٦١، برقم ٣٩٤٠، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: حاشية الروض المربع، ١١/ ٢.

(٣) سبحانك اللهم وبحمدك: أي سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك، والجد هنا: العظمة، شرح النووي، ٤/ ٣٥٥، وقيل: أسبحك حال كوني متلبساً بحمدك. انظر: سبل السلام للصنعاني، ٢/ ٢٢٤، وسمعت شيخنا ابن باز يقول أثناء تقريره على الروض المربع، ٢/ ٢٢٢: «يعني بحمدي لك، وثنائي عليك سبحتك: أي نَزَّهْتُكَ».

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: لا يجهر بالبسملة، برقم ٣٩٩، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف، برقم ٢٥٥٥-٢٥٥٧، وابن أبي شيبة، ١/ ٢٣٠، وابن خزيمة، برقم ٥٣٦/٢، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٢٣٥. قال ابن تيمية: «وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجهر بـ «سبحانك اللهم وبحمدك..» ويعلمه الناس، فلولا أن هذا من السنن المشروعة لم يكن يفعله.. ويقره المسلمون عليه». انظر: قاعدة في أنواع الاستفتاح، ص ٣١، وزاد المعاد لابن القيم، ١/ ٢٠٢-٢٠٦. واختار الإمام أحمد الاستفتاح بحديث عمر؛ لعشرة أوجه ذكرها ابن القيم في زاد المعاد، ١/ ٢٠٥. وسمعت سماحة الإمام عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله أثناء تقريره على الروض المربع، ٢/ ٢٣ يقول: «وهو حديث ثابت من طرق عن جماعة من الصحابة» قلت: جاءت روايات أن أبا بكر،

قوله: «سبحانك اللهم» تنزيهه، «وبحمدك» إثبات؛ فهذه الجملة تتضمن التنزيه، والإثبات، ومعناها: تنزيهاً لك يا رب عن النقص في صفات الكمال: كالعلم، والحياة، وعن صفات النقص المجردة عن الكمال: كالعجز، والظلم، وعن مماثلة المخلوقات

و«اللهم» أصله يا الله، لكن حُذفت ياء النداء، وعُوِّض عنها الميم، وبقيت «الله»، وإنما حُذفت الـ«يا» لكثرة الاستعمال، وعوض عنها الميم للدلالة عليها، وأخرت بعد لفظ الجلالة تيمناً، وتبركاً بالابتداء باسم الله، واختير حرف الميم دون غيره من الحروف للدلالة على الجمع، كأن الداعي يجمع قلبه على ربه ﷻ، وعلى ما يريد أن يدعوه به^(١).

والحمد: هو وصف المحمود بالكمال مع محبته وتعظيمه: الكمال الذاتي، والكمال الفعلي، فالله ﷻ، كامل في ذاته، ومن لازم ذلك أن يكون كاملاً في صفاته، وكذلك في فعله، ففعله جل وعلا دائر بين العدل والإحسان، لا يمكن أن يظلم، إما أن يعامل عباده بالعدل، وإما أن يعاملهم بالإحسان، فالمسيء يعامله بالعدل ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٢)، والمحسن يعامله بالفضل: ﴿مَنْ جَاءَ

= وعمر، وعثمان، وعائشة، وأنساً، وأبا سعيد، وعبد الله بن مسعود روه، واستفتح به عمر وأبو بكر وعثمان. انظر: المتقى لأبي البركات عبد السلام بن تيمية مع نيل الأوطار، ١/٧٥٦.

(١) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/ ٢٢٧.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»^(١)، ومن كان فعله دائراً بين هذين الأمرين: العدل و الفضل، فلا شك أنه محمود على أفعاله، كما هو محمود على صفاته.

والواو هنا «وبحمدك» تفيد معنى المعية، يعني: نزعتك تنزيهاً مقروناً بالحمد.

قوله: «وتبارك اسمك» أي: كَمَلْ، وَتَعَظَّمْ، وَتَقَدَّسْ، وكثرت بركته في السموات والأرض، وإذا كان اسم المسمّى بركة، فالمسمّى أعظم بركة وأولى، وجاء بناؤها على السعة والمبالغة، فدل على كمال بركتها وعظمتها وسعتها، ولا يقال إلا له ﷻ؛ فإن «تبارك» من باب «مَجَدَّ»، والمجد كثرة صفات الجلال والكمال والسعة، والفضل، فاسم الله نفسه كله بركة، ومثاله: إذا سَمِّيت على الطعام لم يشاركك الشيطان فيه، وإن لم تسمّ شاركك، ولو ذبحت ذبيحة بدون تسمية لكانت ميتة نجسة حراماً، ولو سَمِّيت الله عليها لكانت ذكية طيبة حلالاً، وكل أمر لا يُبدأ ببسم الله فهو أبتَر.

قوله: «وتعالى جددك» تعالى: أي: ارتفع ارتفاعاً معنوياً، والجَدُّ: العظمة، والمعنى: علت عظمتك وارتفعت بحيث لا يساويها أي عظمة من عظمة المخلوق.

«ولا إله غيرك» هذه كلمة التوحيد التي أرسل بها جميع الرسل عليهم السلام، ومعناها: لا معبود حق إلا الله، فيكون توحيده سبحانه بالألوهية مبنياً على كماله، فالسابق كالسبب الذي بُني عليه اللاحق، يعني أنه لكمال

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

صفاتك لا معبود حق إلا أنت^(١).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ، إذا كبر في الصلاة سكت هنيئة^(٢) قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! رأيته سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: «أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد»^(٣).

قوله: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»: المباعدة بين المشرق والمغرب هي غاية ما يبالغ فيه الناس، والغرض من هذا التشبيه امتناع الاقتراب من الذنوب كامتناع اقتراب المشرق من المغرب، والمعنى: باعد بيني وبين فعل الخطايا بحيث لا أفعلها، وباعد بيني وبين عقوبتها إن فعلتها.

قوله: «اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس» المراد الخطايا والذنوب التي فعلها فينقى منها، وهذا التشبيه لقوة التنقية، أي: اللهم طهرني من خطاياي طهارة كاملة، وأزلها عني كما يطهر الثوب الأبيض من الوسخ، ووقع التشبيه بالثوب الأبيض؛ لأن ظهور النقاء فيه أشد وأكمل لصفائه، بخلاف

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ٥٤-٦٠، والمنهل العذب المورود وشرح سنن أبي داود، ٥/ ١٨٧.

(٢) هنيئة: أي وقت لطيف قصير، أو ساعة لطيفة. فتح الباري لابن حجر، مقدمة فتح الباري، ص ٢٠٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، برقم ٧٤٣، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٥٩٨.

غيره من الألوان، وبعد التنقية قال: «اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»، وفي لفظ: «اللهم اغسلني من خطاياي: بالثلج، والماء، والبرد» أي طهرني من خطاياي بأنواع مغفرتك التي هي تمحيص الذنوب بمثابة هذه الأنواع الثلاثة في إزالة الأوساخ، وذكر أنواع المطهّرات المُنزّلة من السماء التي لا يمكن حصول الطهارة الكاملة إلا بأحدها تبياناً لأنواع المغفرة التي لا يتخلص من الذنوب إلا بها، فبان أن المراد بالمباعدة أي: أن لا أفعل الخطايا، ثم إن فعلتها فنقني منها، ثم أزل آثارها بزيادة التطهير بالماء والثلج والبرد، وكأنه جعل الخطايا بمنزلة جهنم لكونها مسببة عنها، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل، و بالغ فيه باستعمال المبردات، ترقياً عن الماء إلى أبرد منه^(١).

٣- «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه»^(٢).

«الحمد» هو الوصف بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم، والألف واللام في «الحمد» لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى.

«طيباً» أي: خالصاً لوجهه تعالى. «مباركاً فيه» أي: كثير الخير،

(١) انظر: المنهل العذب، ٥ / ١٩٤، ١٩٥.

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٦٠٠، ولفظه: عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس، فقال: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» فقال رسول الله ﷺ: «... لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها» مسلم، برقم ٦٠٠..

يعني كثيراً غاية الكثرة^(١).

٤- «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً»^(٢).

قوله: «الله أكبر كبيراً» أي: الله تعالى أكبر من كل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته، و«كبيراً» أي: أكبر كبيراً، أو تكبيراً كبيراً.
قوله: «والحمد لله كثيراً» أي حمداً كثيراً.

قوله: «وسبحان الله بكرة وأصيلاً» أي أوّل النهار وآخره، وخص هذين الوقتين بالذكر لاجتماع ملائكة الليل والنهار فيهما، أو لتنزيه الله تعالى عن التغير في أوقات تغير الكون^(٣).

٥- «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٤).

قوله: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل» خصّ هؤلاء الثلاثة من الملائكة بالذكر تشريفاً لهم وتعظيماً، إذ بهم تنظم أمور

(١) انظر: المنهل العذب، ٥/ ١٧٣.

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٦٠١. ولفظه: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلّي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً» فقال رسول الله ﷺ: «... عجبت لها فتحت لها أبواب السماء» مسلم، برقم ٦٠١.

(٣) انظر: المنهل العذب، ٥/ ١٧٤.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧٠.

العباد، فجبرائيل عليه السلام كان موكلاً بالوحي وإنزال الكتب السماوية على الأنبياء عليهم السلام، وتعليم الشرائع، وأحكام الدين، وميكائيل عليه السلام موكلاً بجميع القطر والنبات وأرزاق بني آدم وغيرهم، وإسرافيل عليه السلام موكلاً باللوح المحفوظ، وهو الذي ينفخ في الصور.

قوله: «عالم الغيب والشهادة» أي: ما غاب عن العباد، وما شاهدوه وظهر لهم.

قوله: «فيما كانوا فيه يختلفون»: في الدنيا من أمر دينهم، فتعذب العاصي إن شئت، وتثيب الطائعين.

قوله: «اهدني لما اختلف فيه من الحق» أي: دلني على الحق الذي اختلفوا فيه، ولم يقبلوه.

قوله: «بإذنك» أي: بإرادتك وتوفيقك .

قوله: «إنك تهدي من تشاء»: هنا إشارة إلى أن الهداية والإضلال ليسا من فعل الإنسان، بل بخلق الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(١).

قوله: «إلى صراط مستقيم»: أي طريق الحق، وسمي صراطاً؛ لأنه موصل للمقصود، كما أن الطريق الحسي كذلك^(٢).

٦- عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) انظر: المنهل العذب، ٥/ ١٧٨.

إلى الصلاة^(١) قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسُكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك، وسعديك، والخير كله بيدك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»^(٢). وإن شاء قال ما ثبت عن النبي ﷺ من الأنواع الأخرى في الاستفتاح^(٣).

(١) وفي رواية ابن خزيمة، ٢٣٦/١، برقم ٤٦٤ بلفظ: «كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ويقول...» وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لزاد المعاد، ٢٠٣/١: «وإسناده صحيح». وزاد ابن حبان هذه الزيادة أيضاً، ٧٠/٥، برقم ١٧٧٢، ولفظه: «كان إذا ابتدأ الصلاة المكتوبة قال: وجهت وجهي». وقال الحافظ ابن حجر في الفتح، ٢٣٠/٢: «وهو عند مسلم من حديث علي لكنه قيده بصلاة الليل، وأخرجه الشافعي [في المسند ٧٢/١-٧٣]، وابن خزيمة، وغيرهما بلفظ: «إذا صلى المكتوبة واعتمده الشافعي في الأم»^١. هـ. وتعقب الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله كلام ابن حجر في نقله أن مسلماً قيده بصلاة الليل فقال: «هذا وهم من الشارح رحمه الله، وليس في رواية مسلم تقييده بصلاة الليل فتنبه، والله أعلم» الفتح، ٢٣٠/٢. وقال الصنعاني رحمه الله في سبل السلام، ٢٢٣/٢ على كلام ابن حجر رحمه الله: «لم نجد في مسلم هذا الذي ذكره المصنف من أنه كان يقوله في صلاة الليل، وإنما ساق حديث علي عليه السلام هذا في قيام الليل».

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، برقم ٧٧١.

(٣) وذكر ابن تيمية رحمه الله في كتاب: «قاعدة في أنواع الاستفتاح» ص ٣١: «أن الاستفتاح لا يختص بـ «سبحانك اللهم»، و «وجهت وجهي» وغيرهما؛ بل يستفتح بكل ما روي، لكن فضل بعض الأنواع على بعض يكون بدليل آخر». وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد

قوله: «وجهت وجهي» أي توجَّهْتُ بذاتي، وأخلصت عبادتي لله تعالى، فالمراد بالوجه هنا الذات، ويحتمل أن يراد بوجه الإنسان هنا القلب: أي وجهت قلبي لعبادة الله تعالى، ويؤخذ منه أنه ينبغي للمصلي عند قراءة هذا الدعاء أن يكون على غاية من الحضور والإخلاص، وإلا كان كاذباً، وأقبح الكذب ما يكون والإنسان واقف بين يدي من لا تخفى عليه خافية.

قوله: «للذي فطر السموات والأرض» أي خلقهما وأوجدتهما على غير مثال سابق، والمراد بالسموات ما علا فيشمل العرش، وبالأرض ما سفلى، فيشمل ما تحتها، والعلم عند الله تعالى، وقدم السموات؛ لأنها أشرف من الأرض؛ لكونها مسكن الملائكة المطهرين لا غير، والأرض وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتوت على المفسدين، وجمع السموات لاختلاف أجناسها، وأفرد الأرض وهي سبع أرضين؛ لأنها من جنس واحد.

قوله: «حنيفاً مسلماً...» أي وجهت وجهي حال كوني مائلاً عن كل دين باطل إلى دين الحق ثابتاً عليه، منقاداً مطيعاً لأمره تعالى ومجتنباً لنهيهِ، وما أنا من المشركين: أي الكافرين، فيشمل عبداً لوثن وغيره.

قوله: «إن صلاتي ونسكي» أي عباداتي من حج وغيره، فعطف

= الله ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه لبلوغ المرام لابن حجر على الحديث رقم ٢٨٧ يقول: «وواحد من أدعية الاستفتاح يكفي، ولا يجمع بين دعاءين، وما صح في صلاة النافلة يصح في الفريضة، لكن ما كان فيه طول فالأولى أن يكون في صلاة الليل».

النسك على الصلاة من عطف العام على الخاص [ويدخل في النسك: الذبح].

قوله: «ومحيائي ومماتي...» أي حياتي، وموتي وما آتبه في حياتي، وأحوز عليه من الإيمان والعمل الصالح، «لله رب العالمين» خالصاً لوجهه ﷻ.

قوله: «لا شريك له» أي: في ذاته، وصفاته، وأسمائه، وربوبيته وألوهيته.

قوله: «وبذلك أمرت وأنا من المسلمين» أي بالتوحيد الكامل، والطاعات الخالصة، أمرت وأنا من المنقادين المستسلمين، المطيعين لله تعالى، ولا فرق بين الرجل والمرأة في هذا الدعاء، وكل ما ورد من الأذكار والأدعية.

قوله: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت» أي المتصرف في جميع المخلوقات بدون معارض، وأنت مربيني على موائد كرمك، وهو تخصيص بعد تعميم.

قوله: «ظلمت نفسي» اعتراف بالتقصير، وبما يوجب نقص حظ النفس من ملابس المعاصي، أما بالنسبة لنا فظاهر، وأما بالنسبة للنبي ﷺ فهو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو قال ذلك تواضعاً وتعليماً للأمة، وقدمه على سؤال المغفرة تأدباً كما وقع لآدم وحواء في قوله: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا

وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(١).

قوله: «إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» وهذا بمنزلة التعليل لطلب المغفرة، فكأنه قال: اغفر لي ذنوبي؛ لأن مغفرة الذنوب بيدك لا يتولاها غيرك، ولا يقدر عليها أحد إلا أنت.

قوله: «وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ...» أي أرشدني لأكمل الأخلاق، ووفقني للتحلي بها.

قوله: «وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا» أي: أبعد عني قبيح الأخلاق.

قوله: «لَبِّيكَ وَسَعْدِيكَ» أي: أجيبك إجابة بعد إجابة، وأسعد بإقامتي على طاعتك، وإجابتي لدعوتك سعادة بعد سعادة.

قوله: «وَالْخَيْرَ كُلَّهُ بِيَدِكَ» أي: جميع الخير حسياً ومعنوياً بيدي الله تعالى.

قوله: «وَالشَّرَّ لَيْسَ إِلَيْكَ» أي: لا يتقرب به إليك، ولا يضاف إليك، وهذا تأدُّباً، بل يضاف إلى من فعله، والله تعالى هو خالق كل شيء، ولكن لا يأتي منه إلا الخير؛ لأن الشر يضاف إلى المفعولات، وخلق الله تعالى ذلك لا يأتي إلا بخير.

قوله: «أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ» أي: أستعين بك، وألتجئ إليك، أو بك وُجِدْتُ، وإليك ينتهي أمري.

وقوله: «تَبَارَكَ وَتَعَالَيْتَ» أي: تكاثر خيرك، وتزايد برُّك، وتنزَّهت عن النقائص، واتصفت بالكمالات المطلقة.

(١) سورة الأعراف الآية ٢٣.

قوله: «أستغفرك وأتوب إليك» أي أطلب منك المغفرة لما مضى، وأرجع عن فعل الذنب فيما بقي متوجّهاً إليك بالتوفيق والثبات إلى الممات^(١).

٧- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ^(٢) أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ]، [وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] [وَلَكَ الْحَمْدُ] [أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ] [اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ] [أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ] [أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ]^(٣).^(٤)

(١) انظر: المنهل العذب المورود، شرح سنن أبي داود، للسبكي، ٥/ ١٦٨ - ١٧٠. والعلم الهيب، للعيني، ص ٢٦٥ - ٢٦٨، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ٨٨ - ٩٠.

(٢) كان النبي ﷺ يقول إذا قام من الليل يتهجد.

(٣) البخاري مع الفتح، أبواب التهجد، باب التهجد من الليل، ٣/ ٣، و١١٦/ ١١، و٣٧١/ ١٣، ٤٢٣، ٤٦٥، برقم ١١٢٠، ومسلم، مختصراً بنحوه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١/ ٥٣٢، برقم ٧٦٩.

(٤) وهناك نوع آخر من أنواع الاستفتاح، ولفظه: عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة رضي الله عنها بم كان رسول الله ﷺ يستفتح قيام الليل؟ قالت: لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، كان إذا قام: «كبر عشراً، وحمد عشراً، وسبح عشراً، وهلل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني، أعوذ بالله من ضيق المقام يوم

قوله: «أنت نور السموات والأرض» أي: أن كل شيء استنار منها واستضاء فبقدرتك، وأضاف النور إلى السموات والأرض للدلالة على سعة إشراقه، وفشو ضيائه، وعلى هذا فسر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

وقد ثبت أن الله تعالى سمي نفسه: «نور السموات والأرض» بالكتاب والسنة، وقد ورد في الكتاب على صيغة الإضافة، وفي الحديث الصحيح^(٢) الذي جاء عن أبي ذر رضي الله عنه من غير إضافة، وذلك قوله عليه السلام: «نور أنى أراه» حين سأله أبو ذر رضي الله عنه: «هل رأيت ربك؟».

قوله عليه السلام: «نور أنى أراه» معناه: حجاب نور، فكيف أراه، وقد فسر ذلك الحديث الآخر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور»، وفي رواية: «النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٣). فاسم النور بدون إضافة يحتاج إلى دليل، أما القرآن فقد جاء مضافاً ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

= القيامة». أبو داود، برقم ٧٦٦، والنسائي، برقم ١٦١٧، وأحمد، ١٤٣/٦، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٨٩، وصحيح سنن أبي داود، ١٤٦/١.

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله صلى الله عليه وسلم: نور أنى أراه، وفي قوله: رأيت نوراً، برقم ١٧٨.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله صلى الله عليه وسلم: نور أنى أراه، وفي قوله: رأيت نوراً، برقم ١٧٩.

وسألت شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى: هل من أسماء الله النور؟ فقال: ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قوله: «أنت قيم السموات والأرض» أي: الذي يقوم بحفظها ومراعاتها، وحفظ من أحاطت به، واشتملت عليه، يؤتي كل شيء ما به قوامه، ويقوم على كل شيء من خلقه مما يراه من تدبيره.

قوله: «أنت رب السموات والأرض» أي: أنت مالك السموات والأرض «ومن فيهن» والرب يأتي بمعنى المالك والسيد والمطاع والمصلح.

قوله: «أنت الحق» الحق اسم من أسماء الله - تعالى -؛ ومعناه: الموجود حقيقة، المتحقق وجوده وإلاهيته.

قوله: «ووعدك الحق» أي: الثابت غير الباطل؛ قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١).

قوله: «وقولك الحق» أي: غير كذب، بل هو صدق حقاً وجزماً.

قوله: «ولقاؤك الحق» أي: واقع كائن لا محالة.

ولقاء الله تعالى حق لا شك فيه، على الوجه اللائق بالله تعالى، من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أما اللقاء فقد فسرهُ طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وقال: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى... كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(١) فذكر أنه يكدح إلى الله فيلاقيه، والكدح إليه: يتضمن السلوك والسير إليه، واللقاء يعقبهما...»^(٢).

قوله: «والجنة حق» أي: موجودة مُعدّة للمؤمنين.

قوله: «والنار حق» موجودة مُعدّة للكافرين.

قوله: «والنبيون حق» أي: حق في أنهم من عند الله - تعالى - وأنهم أنبياء الله تعالى وعبيده.

قوله: «ومحمد حق» أي: حق نبوته ورسالته، وأنه عبدالله ورسوله إلى العرب والعجم [والإنس والجن، ولا نبي بعده]، وإنما أفرد نفسه بالذكر، وإن كان داخلاً في النبيين، تنبيهاً على شرفه وفضله.

قوله: «والساعة حق» أي: واقعة كائنة لا محالة، والمراد من الساعة هو الحشر والنشر.

قوله: «اللهم لك أسلمت» أي: انقدت وأطعت.

قوله: «وبك آمنت» أي: صدقت بك وبكل ما أخبرت وأمرت ونهيت.

فيه إشارة إلى الفرق بين الإيمان والإسلام.

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ٦/٤٦١ - ٤٧٥.

قوله: «وعليك توكلت» أي: فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، واعتمدتُ في كل شأني عليك.

قوله: «وإليك أنبت» أي: رجعت وأقبلت بهمتي وطاعتي إليك، وأعرضت عما سواك.

قوله: «وبك خاصمت» أي: بك أحتج وأدافع، وأقاتل من عاند فيك، وكفر بك، وأقمعه بالحجة وبالسيف.

قوله: «وإليك حاكمت» أي: رفعت محاكمتي إليك في كل من جحد الحق، وجعلتك الحكم بيني وبينه، لا غيرك مما كانت تحاكم إليه الجاهلية وغيرهم، من صنم وكاهن ونار وشيطان.. وغيرها، فلا أرضى إلا بحكمك، ولا أعتد على غيرك.

قوله: «فاغفر لي ما قدمت وما أخرت» أي: من الذنوب.

قوله: «وما أسررت» بها، «وما أعلنت» منها؛ أي: من المعاصي والذنوب^(١).

ثالثاً: فهم وتدبر معاني الاستعاذة:

١ - «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»

قوله: «أعوذ بالله» أي: ألتجئ وأعتصم به، فالله سبحانه هو الملاذ، وهو المعاذ، فاللياذ: لطلب الخير، والعياذ: للفرار من الشر.

قال الشاعر:

(١) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للعيني، ص ٢٧١ - ٢٧٦، وشرح حصن المسلم

بتصحيح المؤلف، ص ٨٧ - ٩٠.

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به ممن أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره^(١)

قوله: «(من الشيطان)»: اسم: جنس يشمل الشيطان الأول الذي أمر بالسجود لأبينا آدم عليه السلام فلم يسجد، ويشمل ذريته أيضاً، وهو من «شطن» إذا بُعد، لبُعده من رحمة الله؛ فإن الله لعنه أي: طرده وأبعده عن رحمته.

قوله: «(الرجيم)» فعيل بمعنى: راجم، وبمعنى: مرجوم. فهو راجم، أي: يرجم غيره بالإغواء، فهو يؤز أهل المعاصي إلى المعاصي أزاً، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا﴾^(٢). وهو مرجوم: بلعنه الله، وطرده، وإبعاده عن رحمته، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٣).

وفائدة الاستعاذة هنا: ليكون الشيطان بعيداً عن قلب المرء، وهو يتلو كتاب الله عز وجل حتى يحصل له بذلك تدبر القرآن، وتفهم معانيه، والانتفاع به^(٤).

ومن لطائف الاستعاذة: أنها طهارة للضم، مما كان يتعاطاه: من اللغو، والرفث، وتطيب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة

(١) تفسير القرآن العظيم، ص ٢١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ٢١، والشرح الممتع، ٣/ ٧١-٧٣.

بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف، والعجز عن مقاومة العدو المبين، الباطني، الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، الذي يراه وهو لا يراه، فهو في مقابل ذلك يستعين بالذي يرى الشيطان، ولا يراه الشيطان، فالمسلم يلجأ إلى الله من الشيطان أن يضره في دينه أو دنياه، بصدّه عن فعل ما أمر به، أو بحثّه على فعل ما نُهي عنه^(١).

٢- «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»^(٢).

قوله: «من همزه»: فسّره بعض الرواة بالمؤتة، بضم الميم، وفتح التاء: نوع من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه عقله.

قوله: «ونفخه»: فسّره الراوي بالكبر، وكان الكبر من نفخ الشيطان؛ لأنه ينفخ في الشخص بالوسوسة، فيعتقد عظم نفسه، وحقارة غيره.

قوله: «ونفثه»: فسّره الراوي بالشعر، والمراد: الشعر المذموم كالهجاء^(٣)؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن من الشعر حِكْمًا»^(٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ص ٢١، طبعة دار السلام، وطبعة دار عالم الكتب المحققة، ١/ ١٧٤.
(٢) أحمد في مسنده، ٣/ ٥٠، برقم ١١٣٧٤، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك، ١/ ٤٩٠، برقم ٧٧٥، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، ٩/ ٢، برقم ٢٤٢، وحسن إسناده الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٩٦.
(٣) انظر: سبل السلام، كتاب الصلاة، باب التعوذ قبل القراءة، ١/ ٢٧٨، الحديث رقم ٢٥٦.
(٤) الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء أن من الشعر حكمة، ٥/ ١٢٦، برقم ٢٨٤٥، وقال:

رابعاً: فهم وتدبر معنى البسملة:

«بسم الله الرحمن الرحيم» أي: أقرأ باسم الله، ويأتي معنى «الرحمن الرحيم» في تفسير الفاتحة الآتي:

خامساً: فهم وتدبر معاني الفاتحة أم القرآن:

قوله ﷻ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» الحمد: هو الوصف بصفات الكمال، مع كمال المحبة والتعظيم، والألف واللام في «الْحَمْدُ»: لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى.

قوله ﷻ: «رَبِّ الْعَالَمِينَ»: الربّ: هو الخالق، المالك، المتصرف، ولا يستعمل لغير الله إلا بالإضافة؛ كقولك: رب الدار، و«الْعَالَمِينَ»: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله ﷻ من أصناف المخلوقات: في السموات، والبر، والبحر، والعالم مشتق من العلامة؛ لأنه علم دالّ على وجود خالقه سبحانه.

قوله ﷻ: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»: اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والأول أبلغ لعمومه في الدارين لجميع خلقه، أما الثاني فخاص بالمؤمنين.

قوله ﷻ: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»: لا يملك مع الله سبحانه أحد في هذا اليوم حكماً كملكهم في الدنيا، وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه سبحانه؛ قال

= حديث حسن صحيح. من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٢١٥، وهو في صحيح البخاري، برقم ٦١٤٥ بلفظ: «إن من الشعر حكمة» عن أبي بن كعب ؓ.

تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١)، وقال النبي ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»^(٢). و«الدين»: الجزاء والحساب لله •

قوله ﷺ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»: هذان مرجع الدين، وقُدِّم المفعول للاهتمام والحرص، والمعنى: لا نعبد إلا إِيَّاكَ، ولا نستعين، ونتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة؛ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، وتحوّل الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب؛ لأن القارئ كأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال: «إِيَّاكَ»، وهذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة، وإرشاده لعباده أن يشنوا عليه بذلك.

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ» أي: نُوحِّدُ ونُخَافُ ونُرجو، «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» على طاعتك، وعلى أمورنا كُلِّهَا، وقُدِّم العبادة له؛ لأنها هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، وللاهتمام والحزم يقدم الأهم فالأهم.

قوله ﷺ: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»: بعد تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يُعَقَّبَ بالسؤال وهو الهداية، والهداية هاهنا هي هداية الإرشاد، أي: العلم، وهداية التوفيق، أي العمل، والصراط أي الطريق الواضح المستقيم الذي لا اعوجاج

(١) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٢) مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، برقم ٢٧٨٧.

فيه، الذي نصبه الله لأهل نعمته، وهو العبادة، فالصراط ها هنا: المتابعة لله تعالى وللرسول ﷺ، والمؤمن يسأل الله تعالى في كل صلاة الهداية؛ وذلك لأن العبد مفتقر كل ساعة، وحالة إلى الله تعالى، في تثبته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره، وازدياده منها، واستمراره عليها، فمعنى «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أي. استمر بنا عليه، ولا تعدل بنا إلى غيره.

قوله ﷻ: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ»: المنعم عليهم هم المذكورون في قوله تعالى: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا»^(١)، أي أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك، وأنبيائك، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

قوله ﷻ: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»: هم اليهود، وكل من علم الحق ولم يعمل به. و«الضَّالِّينَ»: هم النصارى، وكل من جهل الحق، وقُدِّم اليهود على النصارى في الذكر؛ لأنهم كانوا هم الذين يلون النبي ﷺ، حيث كانوا جيرانه في المدينة بخلاف النصارى فإن ديارهم كانت نائية؛ ولذا نجد خطاب اليهود والكلام معهم في القرآن أكثر من خطاب النصارى^(٢).

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٩ - ٧٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ص ٢٥ - ٣٢، وبدائع الفوائد، لابن القيم، ١ / ٩ - ٤١، وهذا الموضع مهم.

* «آمين»: بتخفيف الميم، أي: اللهم استجب لنا ما سألناك، قال الفقهاء: من شدد الميم بطلت صلاته؛ لأنَّ معناها حينئذ: قاصدين، وهذا من جنس كلام المخلوقين^(١).

وفي التأمين فضل عظيم، فمع كونه قولاً يسيراً لا كلفة فيه، يترتب عليه المغفرة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٣).

سادساً: فهِمُ وتدبر معاني أذكار الركوع:

١ - «سبحان ربي العظيم»^(٤) [ثلاث مرات]^(٥).

(١) انظر: الشرح الممتع، ٩٦ / ٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأمين، برقم ٧٨١، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤١٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب جهر المأمومين بالتأمين، برقم ٧٨٢، وكتاب التفسير، برقم ٤٤٧٥، واللفظ له، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤١٠.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢ من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٥) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، برقم ٨٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١ / ١٤٧، وإرواء الغليل، ٢ / ٣٩.

التسبيح: يعنى تنزيه الله عن مطلق النقص: كالجهل، والعجز، وعن النقص في كماله؛ فينزّه مثلاً: عن التعب والإعياء فيما يخلقه ويفعله، وينزّه عن مشابهة المخلوقين.

و«العظيم»: أي في ذاته وصفاته؛ فإنه سبحانه في ذاته أعظم من كل شيء^(١).

٢- «سُبُوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٢).

قوله: «سُبُوحٌ»: صيغة مبالغة من سبحان، وهو تنزيه الله ﷻ عن كل نقص.

و«قُدُّوسٌ»: أي الطاهر من كل عيبٍ ونقصٍ: أي أنزهه تنزيهاً عن كل نقص، و«القدوس»: صيغة مبالغة من التقديس: وهو التطهير من العيوب.

قوله: «والروح»: قيل: مَلَكٌ عظيم، وقيل: يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام، وقيل: خلق لا تراهم الملائكة، كما لا نرى نحن الملائكة، والله ﷻ أعلم^(٣).

٣- «سَبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٤).

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٢٨، ١٢٩، والمنهل العذب، ٥/ ٣١٥.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٧.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٤، ٢٠٥، والمنهل العذب، ٨/ ٦٨، والعلم الهيب في شرح الكلم الطيب، للعيني، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع، برقم ٧٩٤، ٨١٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٤ من حديث عائشة رضي الله عنها.

التسبيح: التنزيه، أي: براءة وتنزيهاً لله جل وعلا من كل نقص.

قوله: «وبحمدك»: أي: وبحمدك سبحتك، ومعناه: بتوفيقك لي، وهدايتك، وفضلك عليّ سبحتك، لا بحولي، ولا بقوتي، ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى^(١).

٤- «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَخُحِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي، [وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي]»^(٢).

قوله: «خشع لك سمعي وبصري»: أي: خضع لك، فلا يسمع إلا ما أذنت في سماعه، وخضع بصري، فلا يُبصر إلا ما أذنت في إبصاره، وخضع السمع والبصر بالذكر من بين الحواس؛ لأن أكثر الآفات منهما، فإذا خشعا قلت الوسواس؛ ولأن تحصيل العلم النقلي والعقلي بهما.

قوله: «مخي، وعظمي، وعصبي»: المراد خضع لك جسمي باطناً، كما خضع لك ظاهراً، وكنتى بهذه الثلاثة عن الجسم؛ لأن مدار قوامه عليها، والغرض من هذا كله المبالغة في الانقياد والخضوع لله جل وعلا^(٣).

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١، ٢٠٢، والمنهل العذب، ٥/ ٣٢٥.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١. وما بين المعقوفين عند ابن حبان في صحيحه، برقم ١٩٠١، وابن خزيمة في صحيحه، برقم ٦٠٧.

(٣) انظر: المنهل العذب، ٥/ ١٧٠، والعلم الهيب في شرح الكلم الطيب للعيني، ص ٢٨٠، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ٢٠١-٢٠٢.

٥- «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكَبرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»^(١).

قوله: «ذِي الْجَبَرُوتِ»: فَعَلُوت: من الجبر، وهو القهر، وهو صفة من صفات الله تعالى، ومنه الجَبَّار، ومعناه: الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي، وكل شيء يريد.

قوله: «وَالْمَلَكُوتِ»: من الملك، ومعنى ذِي الْمَلَكُوتِ: مالك كل شيء، وصيغة الفعلوت للمبالغة: كالرحموت، والرهوت.

قوله: «وَالْكَبرِيَاءِ»: أي: سبحان ذِي الْكبرياء: أي العظمة، والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات، وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله ﷻ^(٢).

سابعاً: فَهْمٌ وَتَدَبُّرٌ معاني أذكار الرفع من الركوع:

١- «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»^(٣).

قوله: «سَمِعَ»: أي: استجاب، والمعنى: استجاب الله دعاء من حمده، يقال: اسمع دعائي، أي: أجب؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول، فمن حمد الله فإنه يكون قد دعا ربه بلسان الحال؛ لأن

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٣، والنسائي، كتاب الإمامة، باب نوع آخر من الذكر في الركوع، برقم ١٠٤٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٢٤٧.

(٢) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٢٨٦، ٢٨٧، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ٢٠٣.

(٣) البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب التكبير إذا قام من السجود، ١/ ٣١٢، برقم ١٧٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع، ١/ ٢٩٣، برقم ٣٩٢، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الذي يحمد الله يرجو الثواب، فإذا كان يرجو الثواب فإن الشاء على الله بالحمد والذكر والتكبير متضمن للدعاء^(١).

٢- «ربنا لك الحمد»^(٢). أو «اللهم ربنا لك الحمد»^(٣)، أو «اللهم ربنا ولك الحمد»^(٤)، أو «ربنا ولك الحمد»^(٥) [حمداً، كثيراً، طيباً، مباركاً فيه]^(٦).

قوله: «ربنا»: أي: أنت الرب الملك القيوم، الذي بيده الأمور، ثم عطف على هذا المعنى قوله: «ولك الحمد» فجمع بين الدعاء والاعتراف، أي: ربنا تقبل منا، ولك الحمد على هدايتك إيانا لما يرضيك عنا، والحمد: وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم، ثم أخبر عن شأن هذا الحمد بقوله: «ملء السموات» إلخ، كما سيأتي في نص آخر^(٧).
قوله: «طيباً»: أي: خالصاً.

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٣٩، والشرح الممتع، ٣/ ١٣٦، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٠٥.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة...، برقم ٣٩٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد، برقم ٧٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤٠٩.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٧٩٥.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٧٩٥، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤٠٩.

(٦) البخاري، كتاب الأذان، باب حدثنا معاذ بن فضالة، برقم ٧٩٩.

(٧) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم، ٢/ ٩٢، ٩٣، والشرح الممتع، ٣/ ١٣٩.

قوله: «مباركاً» أي: متزايداً كثير الخير^(١).

٣- «ملء السموات، وملء الأرض، وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»^(٢).

قوله: «ملء السموات، وملء الأرض»: الله سبحانه محمود على كل شيء؛ على كل مخلوق يخلقه، وعلى كل فعل يفعله؛ ولأن المخلوقات تملأ السموات والأرض، فيكون الحمد حينئذ مالئاً للسموات والأرض، فالمُصلي يستحضر بهذا الذكر أن الله محمود على كل فعل فعله، وعلى كل خلق خلقه.

وقوله: «وَمِلء ما شئت من شيء بعد» أي: بعد السموات والأرضين: كالكرسي، والعرش، وما تحت الأرضين مما لا يعلمه إلا الله، ولا يحيط به سواه، والمراد الاعتناء في تكثير الحمد، وفي هذا اللفظ إشارة إلى الاعتراف بالعجز عن أداء حق الحمد بعد استفراغ المجهود فيه، وأنه ﷺ حَمَدَهُ مِلء السموات والأرض، وملء ما بينهما، ثم ارتفع فأحال الأمر فيه على المشيئة، وليس وراء ذلك الحمد منتهى^(٣).

(١) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٢٩١، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٠٦.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٤٧٧.

(٣) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٤١ - ١٤٣، والمنهل العذب، ٥/ ١٧٠، والعلوم الهيب، ص ٢٨٨، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٠٧.

قوله: «أهل الثناء والمجد»: أهل الثناء: منصوب على النداء، والثناء هو الوصف الجميل والمدح.

قوله: «والمجد»: أي: العظمة، ونهاية الشرف، يقال: رجل ماجدٌ مفضل كثير الخير شريف، والمجيد فعيل للمبالغة، ومنه سُمِّي الله مجيداً^(١).

قوله: «الجَدَّ»: المشهور فيه فتح الجيم، وهو: الحظ، والغنى، والعظمة، والسلطان، والمعنى: لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه، أي: لا ينجيه حظه منك، وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٢)، فبيّن النبي ﷺ أنه من كان له في الدنيا رئاسة ومال لم ينجه ذلك، ولم يخلصه من الله؛ وإنما ينجيه من عذابه إيمانه وتقواه، فها هنا أصلان عظيمان: أحدهما: توحيد الربوبية، وهو أن لا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ اللهُ، ولا مانع لما أعطاه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يُسأل إلا هو. والثاني: توحيد الألوهية، وهو بيان ما ينفع، وما لا ينفع، وأنه ليس كل من أُعْطِيَ مالاً أو دنياً أو رئاسة كان ذلك نافعاً له عند الله، منجياً له من عذابه؛ فإن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب^(٣).

(١) انظر: العلم الهيب، ص ٢٨٩، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٠٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٩٤، وفتاوى شيخ الإسلام، ٢٢ / ٤٤٧.

قوله: «أحق ما قال العبد» تقديره: أحق قول العبد: لا مانع لما أعطيت... إلخ، واعترض بينهما: «وكلنا لك عبد» للاهتمام به، وارتباطه بالكلام السابق، وتقديره: أحق قول العبد: لا مانع لما أعطيت، وكلنا لك عبد، فينبغي لنا أن نقوله.

وفي هذا الكلام دليل ظاهر على فضيلة هذا اللفظ؛ فقد أخبر النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أن هذا أحق ما قاله العبد، فينبغي أن نحافظ عليه، ولا نهمله؛ لأن كلنا عبد، وإنما كان أحق ما قاله العبد؛ لما فيه من التفويض إلى الله تعالى، والإذعان له، والاعتراف بوحدانيته، والتصريح بأنه لا حول ولا قوة إلا به، وأن الخير والشر منه، والحث على الزهادة في الدنيا، والإقبال على الأعمال الصالحة.

قوله: «لا مانع لما أعطيت» أي: لا مانع لما أردت إعطائه، وهذا نظير قوله تعالى: «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»^(١).

قوله: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد»: أي لا ينفع صاحب الغنى من عذابك غناه، ويحتمل أن تكون «منك» بمعنى عندك، أي: لا ينفع صاحب الغنى عندك غناه، وإنما ينفعه العمل بطاعتك^(٢).

٤- «اللهم طهرني بالثلج، والبرد، والماء البارد، اللهم طهرني

(١) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٤/٤-١٩٦، والمنهل العذب، ٢٨٨/٥-٢٨٩، والعلم الهيب، ص ٢٨٩.

من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الوسخ»^(١).

قوله: «اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد»: استعارة للمبالغة في الطهارة من الذنوب وغيرها.

قوله: «اللهم طهرني من الذنوب والخطايا» الذنب: الإثم بين العبد وبين آدمي، والخطيئة: المعصية بين العبد وبين الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾^(٢).

قوله: «كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ» معناه: نقني نقاء كاملاً، كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس^(٣).

ثامناً: فهمٌ وتدبرٌ معاني أذكار السجود:

١ - «سبحان ربي الأعلى»^(٤) [ثلاث مرات]^(٥).

أي: تنزيهاً لك يا رب عن كل نقص في الكمال، وعن مماثلة المخلوقين، و«الأعلى»: ثناء على الله سبحانه بالعلو، فالمُصليّ نزل للسجود، والنزول نقص، فكان الثناء على الله بالعلو أولى؛ لتنزيهه تعالى عن النقص الذي حصل للساجد، والمراد بالعلو: علو المكان، وعلو الصفة، فهو سبحانه عليّ في ذاته، وعليّ في صفاته،

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، ٣٤٦/١، برقم ٤٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٣/٤، ١٩٤.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٥) ابن ماجه، برقم ٨٨٨، وتقدم تخريجه في أذكار الركوع.

بل هو أعلى من كل شيء ﷺ^(١)، وله سبحانه الكمال المطلق: في علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

٢- «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٢).

٣- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٣).

٤- «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^(٤).

قوله: «وَشَقَّ سَمْعَهُ» أي: طريق سمعه؛ إذ السمع ليس في الأذنين، بل في مقعد الصماخ، «أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» أي: أحسن المصورين والموجدين؛ فإنه سبحانه الخالق الحقيقي، المنفرد بالإيجاد والإعدام^(٥).

٥- «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْكِبَرِيَاءِ، وَالْعِظَمَةِ»^(٦).

٦- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّةً وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ،

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٧١، ١٧٢.

(٢) مسلم، برقم ٤٨٧، وتقدم تخريجه وشرحه في أذكار الركوع.

(٣) البخاري، برقم ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤، وتقدم تخريجه وشرحه في أذكار الركوع.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١، من حديث علي رضي الله عنه.

(٥) انظر: المنهل العذب، ٥/ ١٧٠.

(٦) أبو داود، برقم ٨٨٣، وتقدم تخريجه وشرحه في أذكار الركوع.

وَعَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ»^(١).

قوله: «دَقَّه وَجَلَّه»: أي صغيره وكبيره [قليله وكثيره]، وقدم الصغير على الكبير؛ لأن الكبائر تنشأ غالباً من عدم المبالاة بالصغائر والإصرار عليها، فكأنها وسيلة، ومن حق الوسائل أن تقدم في الذكر؛ ولأن السائل يترقى في سؤاله من الأدنى إلى الأعلى.

قوله: «دَقَّه وَجَلَّه» تفصيل بعد إجمال؛ لأنه لما قال: «اغفر لي ذنبي كله» تناول جميع ذنوبه مجملاً، ثم فصّله بقوله: «دَقَّه وَجَلَّه»، وفائدته: أن التفصيل بعد الإجمال أوقع، وفيه علمان، والعلمان خير من علم واحد، وهو أعظم بالاعتراف والإقرار بما اقترف من الذنب.

قوله: «وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ»: المراد ما تقدم من ذنبه، وما تأخر منه. قوله: «عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ»: أي ظاهره وخفيه، وهو بالنسبة لغير الله تعالى؛ لأنهما عند الله سواء، والغرض من هذا كمال التواضع والإذعان من النبي ﷺ؛ لامتنال أمر الله ﷻ، والتشريع للأمة، وإلا فهو معصوم من الذنوب.

وفي هذا اللفظ تأكيد الدعاء، وتكثير ألفاظه، وإن أغنى بعضه عن بعض، إلا أن إطالة الدعاء تدل على محبة الداعي؛ لأن الإنسان إذا أحب شيئاً أحب طول مناجاته، فأنت متصل بالله في الدعاء، فتطويلك الدعاء، وبسطك له دليل على محبتك لمناجاة الله ﷻ، ثم

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٣.

إن تكثير ألفاظ الدعاء يظهر فيه من التفصيل ما يدل على شدة افتقار الإنسان إلى ربه في كل حال، فالله الغني ونحن الفقراء، واستحضار الإنسان لذنوبه؛ لأن للذنوب أنواعاً، فإذا زيد في الدعاء استحضرت^(١).

٧- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢).

قوله: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك» أي: أتحصن بفعلٍ يوجب رضاك من فعلٍ يوجب سخطك، وهذا من باب التوسل برضاء الله أن يعيذك من سخطه، فأنت الآن استجرت من الشيء بضده، فجعلت الرضاء وسيلة تتخلص به من السخط، والمراد: أسألك التوفيق لفعل الطاعات الموجبة لرضاك، وأسألك الحفاظ من المعاصي الموجبة لسخطك.

قوله: «وبمعافاتك من عقوبتك» المعافاة هي: أن يعافيك الله من كل بليّة في الدين، أو في الدنيا، وضد المعافاة: العقوبة، والعقوبة لا تكون إلا بذنب، وإذا استعذت بمعافاة الله من عقوبته، فإنك تستعيز من ذنوبك حتى يعفو الله عنك، إما بمجرد فضله، وإما بالهداية إلى أسباب التوبة.

(١) انظر: المنهل العذب، ٣٢٦/٥، الشرح الممتع، ١٨٣/٣، ٤٠٤/٥، والعلم الهيب،

ص ٢٩٤، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١١٠.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٦.

قوله: «وأعوذ بك منك»: لا يمكن أن تستعيز من الله إلا بالله إذ لا أحد يعيذك من الله إلا الله، فهو الذي يعيذك مما أراد بي من سوء، ومعلوم أن الله ﷻ قد يريد بك سوءاً، ولكن إذا استعذت به منه أعاذك، وفي هذا غاية اللجوء إلى الله وأن الإنسان يقر بقلبه ولسانه أنه لا مرجع له إلا ربه ﷻ، قال الخطابي رحمه الله: «في هذا الكلام معنى لطيف، وهو أنه قد استعاذ بالله تعالى، وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والمؤاخذه بالعقوبة، فلمّا صار إلى ذكر ما لا ضد له - وهو الله سبحانه - أعاذ به منه لا غير، ومعنى ذلك الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه»^(١).

قوله: «لا أحصي ثناء عليك» أي: لا أطيعه، ولا أبلغه، ولا أصل إليه، وقيل: لا أحيط به، وقال مالك رحمه الله: معناه: لا أحصي: نعمتك، وإحسانك، والثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء عليك.

والثناء هو: تكرار الوصف بالكمال، ففي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ: «حَمِدَنِي عَبْدِي»، وَإِذَا قَالَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَتْنَى عَلَيَّ

عَبْدِي...»^(١).

فلا يمكن أن تُحصي الثناء على الله أبداً ولو بقيت أبد الآبدين؛ وذلك؛ لأن أفعال الله غير محصورة، وكل فعل من أفعاله فهو كمال، وأقواله غير محصورة، وكل قول من أقواله فهو كمال، وما يدفع عن عباده أيضاً غير محصور، فالثناء على الله لا يمكن أن يصل الإنسان منه إلى غاية ما يجب لله من الثناء مهما بلغ من الثناء على الله، وغاية الإنسان أن يعترف بالنقص والتقصير، فيقول: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» أي: أنت يا ربنا كما أثنيت على نفسك، أما نحن فلا نستطيع أن نُحصي الثناء عليك، وفي هذا من الإقرار بكمال صفات الله ما هو ظاهر معلوم.

وفي قوله: «أنت كما أثنيت على نفسك»: اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء على الله تعالى، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته وإحصائه إلا هو تعالى؛ ولهذا عدل النبي ﷺ عن التفصيل والإحصاء والتعيين، ووَكَّل ذلك إلى الله ﷻ المحيط بكل شيء جملةً وتفصيلاً، وكما أنه لا نهاية لصفاته كذلك لا نهاية للثناء عليه؛ لأن الثناء تابع للمثنى عليه، وكل ثناء أُثني به عليه - وإن كثر وطال وبولغ فيه - فقدّر الله أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ^(٢).

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم ٣٩٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٤، والشرح الممتع، ٤/ ٤٩ - ٥١، والمنهل العذب، ٥/ ٣٢٧، ومعالم السنن للخطابي، ١/ ٤٢١.

تاسعاً: فَهَمْ وتَدْبُرُ معاني الأذكار في الجلسة بين السجدين:

١ - «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»^(١).

٢ - «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني»،
ولفظ ابن ماجه: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وارحمني، واجبرني، وارزقني،
وارفعني»^(٢).

أي: يا الله امح ذنوبي، وتقصيري، وأحسن إليّ بقبول عبادتي،
وعافني من البلاء ومضلات الفتن في الدارين، واهدني لصالح
الأعمال، وثبتني على الدين الحق، وارزقني رزقاً حسناً، ودرجة
عالية في الآخرة، واجبر نقصي في كل شيء^(٣).

قوله: «رَبِّ اغْفِرْ لِي»: سؤال الله ﷻ أن يغفر لك الذنوب كلها:
الصغائر والكبائر، والمغفرة هي: ستر الذنب، والعفو عنه، مأخوذة
من المغفر - وهو لباس للرأس عند الحرب يتقى به السهام -، وفي
المغفر ستر ووقاية، وليس سترًا فقط، فالمعنى: اغفر لي، أي: استر
ذنوبي، وتجاوز عني حتى أسلم من عقوبتها، ومن الفضيحة بها.

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٤، وابن ماجه،
كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقول بين السجدين، برقم ٨٩٧، وصححه
الألباني في إرواء الغليل، برقم ٣٣٥، وفي صحيح سنن ابن ماجه، ١ / ١٤٨.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بين السجدين، برقم ٨٥٠، والترمذي، كتاب الصلاة،
باب ما يقول بين السجدين، برقم ٢٨٤، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب
ما يقول بين السجدين، برقم ٨٩٨، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١ / ٢٣٩،
وانظر شرح السندي على سنن ابن ماجه، ١ / ٤٨٤.

(٣) المنهل العذب المورود، ٥ / ٢٩٢، وانظر: شرح السندي على سنن ابن ماجه، ١ / ٤٨٤.

قوله: «وارحمني»: طلب رحمة الله ﷻ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، هذا إذا جمع بينهما؛ فإن الرحمة إذا قرنت بالمغفرة: فالمغفرة لما مضى، والرحمة سؤال الله تعالى السلامة من ضرر الذنوب وشرّها في المستقبل، وأما إذا أُفرد الدعاء بالرحمة: فهو طلب المغفرة لما مضى، والتوفيق والعصمة فيما يستقبل^(١).

قوله: «وعافني»: المعافاة: المراد بها المعافاة في الدين والدنيا، فتشمل الأمرين: أن يعافيك الله من أسقام الدّين: وهي أمراض القلوب: كالغلّ، والحسد، وسوء الظن، ومدار أمراض القلوب على: أمراض الشهوات، والشبهات، وأن يعافيك من أمراض الأبدان، وهي اعتلال صحة البدن.

والإنسان محتاج إلى هذا وإلى هذا، وحاجته إلى المعافاة من مرض القلب أعظم من حاجته إلى المعافاة من مرض البدن، فإذا كنت تنظّف قلبك دائماً في معاملتك مع الله، وفي معاملتك مع الخلق حصّلت خيراً كثيراً، وإلا فإنك سوف تغفل، وتفقد الصلة بالله، وحينئذ يصعب عليك التراجع، فحافظ على أن تُفَتِّش قلبك دائماً، فقد يكون فيه مرض شبهة، أو مرض شهوة، وكل شيء - والله الحمد - له دواء، فالقرآن والسنة الصحيحة دواء للشبهات، والشهوات، فالترغيب في الجنة، والتحذير من النار دواء للشهوات، وأيضاً إذا خفت أن تميل إلى الشهوات في الدنيا التي فيها المتعة،

(١) حاشية ابن قاسم على ثلاثة الأصول.

فتذكر متعة الآخرة .

ولهذا قال النبي ﷺ عندما كان يحفر الخندق مع المهاجرين والأنصار: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»^(١)، فيقول: «اللَّهُمَّ» من أجل أن يكبح جماح النفس حتى لا تغترّ بما شاهدت من متع الدنيا، فيقبل على الله، ثم يوطن النفس ويقول: «لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»، لا عيش الدنيا، وصدق رسول الله ﷺ، والله إن العيش عيش الآخرة؛ فإنه عيش دائم، ونعيم لا تنغيص فيه، بخلاف عيش الدنيا فإنه ناقص منغص زائل.

وأما دواء القلوب من أمراض الشبهات، فالقرآن كله مملوء بالعلم والبيان الذي يزول به داء الشبهات، ومملوء بالترغيب، والترهيب الذي يزول به داء الشهوات، ولكننا في غفلة عن هذا الكتاب العزيز الذي كلّه خير، وكذلك السنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

أما عافية الأبدان فطبّها نوعان:

النوع الأول: طب جاءت به الشريعة، فهو أكمل الطب وأوثقه؛ لأنه من عند الله الذي خلق الأبدان، وعلم أمراضها وأدويتها، وهو ضربان: **الضرب الأول:** طبّ مادي: كالتداوي بالعسل، والحبة السوداء. **الضرب الثاني:** معنوي روحي، وذلك بالقراءة على المرضى، وهذا قد يكون أقوى وأسرع تأثيراً^(٢).

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب دعاء النبي ﷺ أصلح الأنصار والمهاجرة، برقم

٣٧٦٩، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، برقم ١٨٠٥.

(٢) انظر صحيح مسلم، برقم ٣٧٠١.

النوع الثاني: طِبُّ مَادِيٍّ يُعْرَفُ بِالتَّجَارِبِ، وهو: ما يكون على أيدي الأطباء، سواء درسوا في المدارس الرَّاقِيَةِ وعرفوا، أو أخذوه بالتَّجَارِبِ.

قوله: «واهدني»: يعني هداية الإرشاد، وهداية التوفيق، فهداية الإرشاد: التي ضدها الضلال، وهداية التوفيق: التي ضدها الغي، فأنت إذا قلت: «واهدني» تسأل الله سبحانه الهديتين: هداية الإرشاد، وذلك بالعلم النافع، وهداية التوفيق، وذلك بالعمل الصالح، فينبغي للإنسان أن يستحضر أنه يسأل ربه العلم النافع، والعمل الصالح، وذلك لأن الهداية التامة النافعة هي التي يجمع الله فيها للعبد بين العلم والعمل؛ لأن الهداية بدون عمل لا تنفع، بل هي ضرر؛ لأن الإنسان إذا لم يعمل بما علم صار علمه وبالاً عليه، ومثال الهداية العلمية بدون عمل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(١)، معنى «هَدَيْنَاهُمْ» أي: بَيَّنَّا لَهُمُ الطريق، وأبلغناهم العلم، ولكنهم - والعياذ بالله - ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾.

قوله: «وارزقني» طلب الرزق مما يقوم به البدن: من طعام، وشراب، ولباس، وسكن، وما يقوم به الدين: من علم، وإيمان، وعمل صالح، والإنسان ينبغي أن يُعوِّدَ نفسه على استحضار هذه المعاني العظيمة حتى يخرج منتفعاً، فإذا قال: «ارزقني» يعني: ارزقني ما به قوام الدين، وما به قوام البدن.

قوله: «واجبرني» الجبرُ يكون من النقص، فالإنسان يحتاج إلى جبرٍ حتى يعود سليماً بعد كسره من كسر العظام البدنية، كما أن الإنسان الناقص المفرط المُسرف على نفسه بتجاوز الحدِّ أو القصور عنه، يحتاج إلى جبر ليعود سليماً من الكسور المعنوية؛ فالحاصل أن الإنسان يحتاج إلى جبرٍ يجبرُ له النقص الذي يكون فيه^(١).

قوله: «وارفعني»: أي ارفعني في الدارين: بالعلم النافع، والعمل الصالح، وارزقني درجة عالية في الجنة^(٢).

عاشراً: فهم وتدبر أذكار سجود التلاوة:

١- «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾»^(٣).

قوله: «للذي خلقه وشق سمعه وبصره» تخصيص بعد تعميم؛ أي: فتحهما وأعطاهما الإدراك.

قوله: «بحوله» أي: بتحويله وصرفه الآفات عنها.

قوله: «وقوّته» أي: قدرته بالثبات والإعانة عليهما.

٢- «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْراً، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْراً، وَاجْعَلْهَا

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٨١-١٨٣، و ٤/ ٣١-٣٦، والعلم الهيب، ص ٢٩٦-٢٩٧، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١١٢.

(٢) انظر: المنهل العذب المورود، ٥/ ٢٩٢، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١١٢.

(٣) الترمذي، ٢/ ٤٧٤، أبواب الوتر، باب ما يقول في سجود القرآن، برقم ٥٨٠، أحمد، ٣٠/ ٦، برقم ٢٥٨٢١، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٢٢٠، والزيادة له. [والآية

رقم ١٤ من سورة المؤمنون].

لي عندك ذخراً، وَتَقَبَّلَهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»^(١).

قوله: «وَزَرًا» أي: ذنباً.

قوله: «ذخراً» أي: كنزاً، وقيل: أجراً؛ وكرر لأن مقام الدعاء يناسب الإطناب، وقيل: الأول طلب كتابة الأجر، وهذا طلب بقاءه سالماً من محبط أو مبطل.

قوله: «كما تقبلتها من عبدك داود» حين «خَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ»^(٢).

والصواب: أن السجدة في القرآن خمس عشرة سجدة؛ لأن سورة الحج فيها سجدتان؛ لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، فُضِّلَت سورة الحج بسجدتين؟ قال: «نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»^(٣).

والصواب: أن سجود التلاوة لا يشترط له ما يشترط لصلاة النفل: من الطهارة عن الحدث والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة، ولكن يُستحب ذلك وهو الأفضل، كما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلميذه ابن القيم، والشيخ ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله تعالى، أما الجنب فلا يقرأ شيئاً من القرآن حتى يتطهر^(٤)؛ ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما، مع شدة اتباعه للسنة «ينزل

(١) الترمذي، أبواب الوتر، باب ما يقول في سجود القرآن، ٢/ ٤٧٣، برقم ٥٧٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٢١٩.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٤.

(٣) أبو داود، برقم ١٤٠٢، والترمذي، برقم ٥٧٨، تقدم تخريجه في السبب السادس والثلاثين.

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٢٣/ ١٦٥ - ١٧٠، وتهذيب السنن لابن القيم، ١٤/ ٥٣ -

عن راحلته فيهرق الماء ثم يركب فيقرأ السجدة فيسجد»^(١).

الحادي عشر: فهم وتدبر معاني التشهد:

١ - «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ] وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٢).

قوله: «التحيات لله»: جمع تحية، والتحية هي التعظيم، فكل لفظ يدل على التعظيم فهو تحية، والمعنى: أن كل نوع من أنواع التحيات على سبيل العموم والكمال لا يكون إلا لله ﷻ، فنحن نُعَظِّمُ الله سبحانه ليس لأنه بحاجة إلى ذلك، ولكن هو أهل للتعظيم، فنعظمه لحاجتنا لذلك.

قوله: «والصلوات» أي: والصلوات لله، أي: كل الصلوات: فرضها، ونفلها لله سبحانه، وجميع العبادات، وكل الأدعية التي يراد بها تعظيم الله تعالى هو مستحقها، لا أحد يستحقها، وليست حقاً لأحد سوى الله ﷻ.

= ٥٦، ومجموع فتاوى ابن باز، ٤٠٦/١١ - ٤١٥، والشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين، ١٢٦/٤، وتمام المنة في التعليق على فقه السنة للألباني، ص ٢٧٠.

(١) البخاري بصيغة الجزم، في كتاب سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٦٤٥/٢: «وأخرجه ابن أبي شيبه بسند صحيح».

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة، برقم ٨٣١، ورقم ٨٣٥، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٢، وما بين المعقوفين للنسائي في السنن، برقم ١١٦٨.

قوله: «والطيبات»: منها: ما يتعلق بالله، ومنها ما يتعلق بأعمال العباد، فما يتعلق بالله فله من الأوصاف أطيها، ومن الأعمال أطيها، ومن الأقوال أطيها، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ ...»^(١)، يعني: لا يقول إلا الطيب، ولا يفعل إلا الطيب، ولا يَتَّصِفُ إلا بالطيب، فالله سبحانه طيب في كل شيء: في ذاته، وصفاته، وأفعاله. وما يتعلق بأعمال العباد: القولية والفعلية، فله سبحانه منها الطيب، قال النبي ﷺ: «... لا يقبل إلا طيباً»^(٢)، فإن الطيب لا يليق به إلا الطيب، ولا يقدم له إلا الطيب، «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ»^(٣)، وما ليس بطيب فهو إلى الأرض، لا يصعد إلى السماء، وهو تعالى: لا يقبل إلا الطيب: من أقوال العباد، وأفعالهم، واعتقاداتهم.

قوله: «السلام عليك» المراد بالسلام: اسم الله ﷻ؛ لأن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»^(٤)، وقال الله تعالى: «الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ»^(٥)، ومعنى سلام الله على الرسول، أي بالحفظ، والكلاءة، والعناية، فكأننا نقول: الله عليك، أي: رقيب حافظ معتنٍ بك، حافظ لك من الآفات، وما أشبه ذلك.

(١) يأتي تخريجه في الذي بعده.

(٢) مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم ١٠١٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة، برقم ٨٣١، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٢، من حديث ابن مسعود ؓ.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

وقيل: السلام بمعنى التسليم، أي: ندعو له بالسلامة من كل آفة، وإن قال قائل يكون هذا الدعاء في حياته عليه الصلاة والسلام واضحاً، لكن بعد مماته، كيف يناسب أن ندعو له بالسلامة؟ والجواب ليس الدعاء بالسلامة مقصوراً في حال الحياة، فهناك أهوال يوم القيامة؛ ولهذا كان دعاء الرسل أثناء عبور الناس الصراط: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(١)، فالمرء لا ينتهي من المخاوف والآفات بمجرد موته.

كما قد يكون السلام بمعنى أعم؛ وهو السلام على شرعه وسنته وسلامتها من أن تنالها أيدي العابثين.

قوله: «أيُّها النبي»: منادى حُذفت منه «يا» النداء، والأصل: يا أيُّها النبي، وقيل في حكمة وصفه ﷺ هنا بالنبوة؛ ليجتمع له الوصفان؛ فإنه وُصف بالرسالة في آخر التشهد، وإن كانت الرسالة تستلزم النبوة، فالتصريح بها أبلغ.

قوله: «ورحمة الله» أي: ورحمة الله عليك، والرحمة إذا قُرنت بالمغفرة، أو بالسلام، صار المراد بها: ما يحصل به المطلوب، والمغفرة والسلام: ما يزول به المرهوب، وإن أفردت شملت الأمرين جميعاً، فأنت بعد أن دعوت لرسول الله ﷺ بالسلام، دعوت له بالرحمة؛ ليزول المرهوب، ويحصل له المطلوب.

قوله: «وبركاته»: جمع بركة: وهي الخير الكثير الثابت، فندعو

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، برقم ٨٠٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب

معرفة طريق الرؤية، برقم ١٨٢، من حديث أبي هريرة ؓ.

لرسول الله ﷺ أن يبارك فيه بكثرة أتباعه، وكثرة عمل أتباعه؛ لأن كل عمل صالح يفعله أتباع الرسول ﷺ فله مثل أجورهم إلى يوم القيامة، وبهذا يُردُّ على من يهدون ثواب القرب إلى رسول الله ﷺ؛ فإن هذا بدعة ضلالة.

قوله: «السلام علينا»: السلام هنا بنفس ما مضى في «السلام عليك»، ونون الجماعة في «علينا» يراد بها الشخص نفسه، وجميع الأمة المحمدية، واستدل به على استحباب البداءة بالنفس في الدعاء، ومنه قول نوح وإبراهيم عليهما السلام في القرآن.

قوله: «وعلى عباد الله الصالحين»: هذا تعميم بعد تخصيص؛ لأن عباد الله الصالحين هم: كل عبد صالح في السماء والأرض، حي أو ميت، من آدميين والملائكة، والجن، وعباد الله هم الذين تعبّدوا لله: أي تذللوا له بالطاعة امتثالاً للأمر، واجتناباً للنهي، فالعبادة مبنية على أمرين: الحب، والتعظيم.

فبالحب يكون طلب الوصول إلى مرضاة المعبود، وبالتعظيم يكون الهرب من الوقوع في معصيته؛ لأنك تحبه فتطلبه، وتعظمه فتخافه. وأما شرطاً قبول العبادة فهما: الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١).

وعباد الله الصالحون هم الذين صلحت سرائرهم وظواهرهم بأمرين:

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

الأول: بإخلاص العبادة لله، والثاني: بمتابعة رسول الله ﷺ.

و ضد ذلك عباد الله الفاسدون، إما بالسرائر، وإما بالظواهر، فالمشرك فاسد بالسريرة، والمبتدع فاسد الظاهر؛ لأن بعض المبتدعة يريد الخير، لكنه فاسد الظاهر لم يمش على الطريق الذي رسمه رسول الله ﷺ، والمشرك فاسد الباطن، ولو عمل عملاً ظاهره الصحة والصلاح مثل المرائي.

قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»: أشهد، أبلغ من قول: أخبر؛ لأن الخبر قد يكون عن سماع، والشهادة لا تكون إلا عن قطع، كأنما يشاهد الإنسان بعينه.

وهذه كلمة التوحيد التي أرسل بها جميع الرسل، ومعناها: لا معبود حق إلا الله.

قوله: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»: شهادة بأن المصطفى ﷺ عبد لله، لا شريك، فهو بشر مثلنا تميّز عنا بالوحي، وبما جبله الله عليه من العبادة والأخلاق، وبأنه رسول أرسله الله جلّ وعلا، وجعله واسطة بينه وبين الخلق في تبليغ شرعه فقط^(١).

٢- «التَّحِيَّاتُ، الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ، الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(٢).

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ٢٠٣-٢١٩، والمنهل العذب، ٦/ ٧١-٧٣، وحاشية الروض المربع، ٢/ ٦٦-٦٩.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٣ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله» تقديره: التحيات، والمباركات، والصلوات، والطيبات لله، ولكن حُذفت الواو اختصاراً، وهو جائز معروف في اللغة، ومعنى الحديث: إن التحيات وما بعدها مستحقة لله تعالى، ولا تصلح حقيقتها لغيره^(١).

٣- «التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٢).

الثاني عشر: فهم وتدبر معاني الصلاة على النبي ﷺ:

١- «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٣).

قوله: «اللهم» معناها: يا الله، لكن حُذفت «يا» النداء، وعُوِّض عنها بالميم، وجُعِلت في الآخر تيمناً بالبداة باسم الله ﷻ، وكانت ميماً، ولم تكن جيماً، ولا حاء مثلاً؛ لأن الميم أدل على الجمع؛ ولهذا

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٩٨.

(٢) مسلم، في الموضع الذي قبل السابق، برقم ٤٠٤، وما بين المعقوفين عند النسائي، برقم ١١٧٣، وأبو داود، برقم ٩٧١.

(٣) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧٠ من حديث كعب بن عجرة، وهذا أكمل لفظ في الصلاة على النبي ﷺ، وقد جاء حديث كعب هذا مختصراً في البخاري، برقم ٤٧٩٧، ورقم ٦٣٥٧، وفي مسلم، برقم ٤٠٦.

تجتمع الشفتان فيها، فكأن الداعي جمع قلبه على ربه ودعا.
 و«اللهم» «الله» منادى مبني على الضم في محل نصب، ومعنى
 الله: أي: ذو الألوهية الذي يألؤه كل من تعبد له ﷺ.

«صل على محمد» وأحسن ما قيل في معناها ما ذكره أبو العالية
 رحمه الله: أن صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه في الملاء الأعلى، أي:
 عند ملائكتك المقربين، وقيل: معناه عظّمه في الدنيا بإعلاء ذكره
 وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته،
 وتضعيف أجره ومثوبته، وما ورد بصيغة الأمر موجّهاً من المخلوق
 إلى الخالق، فهو دعاء؛ لأن المخلوق لا يأمر الخالق سبحانه.

قوله: «وعلى آل محمد» أي: وصل على آل محمد، وهم أتباعه
 على دينه، لكن لو قيل: وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه، صار المراد
 بآله: قرابته المؤمنون، وبأصحابه: من رآه مؤمناً به ومات على ذلك،
 وبأتباعه: أتباعه على دينه إلى يوم القيامة.

قوله: «كما صليت على إبراهيم»: الكاف هنا للتعليل، وهنا
 توسل بفعل الله السابق لتحقيق الفعل اللاحق؛ يعني: كما أنك
 سبحانه سبق الفضل منك إلى إبراهيم عليه السلام وأتباعه، فألحق الفضل
 منك على محمد ﷺ وأتباعه، فأتباع إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس
 في أتباع محمد مثلهم، فإذا طُلب للنبي ﷺ ولأتباعه من الصلاة
 عليه مثل ما لإبراهيم وأتباعه، وفيهم الأنبياء حصل لأتباع محمد من
 ذلك ما يليق بهم؛ فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة
 التي للأنبياء - وفيهم إبراهيم - لمحمد ﷺ، فيحصل له من المزية

ما لا يحصل لغيره^(١).

وقد اشتهر الخلاف والتساؤل بين العلماء عن وجه التشبيه في قوله: «كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم»؛ لأن المقرر أن المشبه دون المشبه به، والواقع هنا عكسه؛ إذ أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ، وقضية كونه أفضل؛ أن تكون الصلاة المطلوبة أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل.

واستحسن كثير من العلماء قول من قال: «إن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طُلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة عليه مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء؛ حصل لآل محمد من ذلك ما يليق بهم؛ فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء - وفيهم إبراهيم - لمحمد ﷺ، فيحصل له من المزية ما لا يحصل لغيره».

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - مُعلقاً على هذا القول: «وهذا أحسن ما قيل، وأحسن منه أن يقال: محمد ﷺ هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم، كما روى علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢)؛ قال ابن عباس: «محمد من آل

(١) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين، ٣/ ٢٣٠ - ٢٣٢، وقد ذكر الخلاف عند العلماء: هل الكاف في قوله: «كما صليت على آل إبراهيم» للتشبيه أو للتعليل، فراجع هذا المسألة هناك تفصيلاً.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

إبراهيم»، وهذا نص [فإنه] إذا دخل^(١) غيره من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله؛ فدخل رسول الله ﷺ أولى؛ فيكون قولنا: «كما صليت على آل إبراهيم» متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، ثم قد أمرنا الله تعالى أن نُصلي عليه وعلى آله خصوصاً؛ بقدر ما صلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً وهو فيهم، ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم، ويبقى الباقي كله له ﷺ.

قال: «ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ورسول الله ﷺ معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم، فيطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً، ويظهر حينئذ فائدة التشبيه وجريه على أصله، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب له بغيره؛ فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشبه به، وله أوفر نصيب منه؛ صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم وغيره، وانضاف إلى ذلك مما له من المشبه به من الحصة التي لم تحصل لغيره، فظهر بهذا من فضله وشرفه على إبراهيم، وعلى كلٍّ من آله - وفيهم النبيون - ما هو اللائق به، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له، وهي من موجباته ومقتضياته»^(٢).

قوله: «إنك حميد مجيد»: حميد بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول،

(١) [انظر: جلاء الأفهام، لابن القيم، ص ٢٩٠، وانظر التفصيل في ذلك هذا المرجع من ص ٢٨٧ - ٢٩١، وهو الفصل السادس من جلاء الأفهام.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٩٠، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٢٣ - ١٢٤.

فهو حامد ومحمود، حامد لعباده وأوليائه الذين قاموا بأمره، ومحمود يُحمد ﷺ على ما له من صفات الكمال في ذاته، وصفاته، وأفعاله بالسنّة خلقه.

وأما «مجيد» فهي: فعيل بمعنى فاعل، أي: ذو المجد، والمجد هو: العظمة وكمال السلطان، وهو كالتعليل لما قبله؛ لأن المطلوب تكريم الله لنبيه، وثناؤه عليه في الملاء الأعلى، والتنويه به، وزيادة تقريبه، وذلك مما يستلزم طلب الحمد والمجد.

قوله: «اللهم بارك على محمد» أي: أنزل البركة على محمد ﷺ، والبركة مأخوذة من البركة، وهو مجتمع الماء، ولا يكون إلا على وجه الكثرة، والقرار، والثبوت، وعليه: فالبركة هي كثرة الخيرات، ودوامها، واستمرارها في العمل، وفي الأثر: أما البركة في العمل: فبأن يوفق الله الإنسان لعمل لا يوفق له من نُزعت منه البركة.

وأما البركة في الأثر: فبأن يكون لعمله آثارٌ جليلة نافعة ينتفع بها الناس، ولا شك أن بركة النبي ﷺ لا نظير لها؛ وذلك لأن الله جعل أمته أكثر الأمم؛ ولأن اجتهادهم في الخير أكثر من اجتهاد غيرهم، فبورك له ﷺ فيمن اتبعه، وبورك له في عمل من اتبعه.

قوله: «وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم» توسّل بفعل الله السابق إلى فعله اللاحق، كأنك تقول: كما أنك يا رب قد تفضّلت على أتباع إبراهيم، وباركت عليهم، فبارك على محمد ﷺ وأتباعه^(١).

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ٢٣٤، والمنهل العذب، ٦/ ٨٥ - ٨٧.

٢- «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

٣- «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»^(٢).

فائدة: لا يُشرع تلفيق صيغة صلاة واحدة من مجموع هذه الصيغ، وكذلك يقال في صيغ التشهد المتقدمة، وكذلك صيغ الاستفتاحات، لا يجمع بين ذلك، بل ذلك بدعة في الدين، وإنما السنة أن يقال هذا تارة، وهذا تارة، وهذا تارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَطَرِدُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَذْكَرَ التَّشَهُّدَ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمَأْثُورَةِ، وَأَنْ يُقَالَ الْإِسْتِفْتَاخُ بِجَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمَأْثُورَةِ، وَهَذَا مَعَ أَنَّهُ خِلَافُ عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَسْتَحِبُّهُ أَحَدٌ مِنْ أَيْمَنَتِهِمْ، بَلْ عَمِلُوا بِخِلَافِهِ، فَهُوَ بَدْعَةٌ فِي الشَّرْعِ، فَاسِدٌ فِي الْعَقْلِ»^(٣).

٤- «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا

(١) النسائي، كتاب السهو، باب الصلاة على النبي ﷺ، ٤٨/٣، برقم ١٢٩٠، من حديث طلحة رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٦٦.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٥٨/٢٢.

بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

الثالث عشر: فهم وتدبر معاني الاستعاذة والدعاء قبل السلام من الصلاة:

١ - «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ» أي: من العذاب الحاصل منها، وقد ورد في صفات جهنم، وصفات العذاب فيها في الكتاب والسنة ما تقشعر منه الجلود، نسأل الله السلامة منها، والاستعاذة هنا تشمل عذاب جهنم، ومن فعل الأسباب المؤدية إلى عذاب جهنم؛ لأن الإنسان بين أمرين: إما عصمة من الذنوب، فهنا إعاذة الله من فعل السبب، وإما عفو عن الذنوب، وهنا إعاذة الله من أثر السبب.

قوله: «عذاب القبر»: أي: من عذاب البرزخ الذي بين موت الداعي، وبين قيام الساعة، فليس المراد بالقبر هنا مدفن الميت؛ لأن الإنسان حقيقة لا يدري هل يموت ويدفن؟ أو يموت وتأكله السباع، أو يحترق ويكون رماداً، فالداعي يستحضر بهذا القول: العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام الساعة.

(١) البخاري مع الفتح، ٤٠٧/٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٦٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، ٣٠٦/١، برقم ٤٠٧، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، برقم ١٣٧٧، ومسلم، بلفظه في كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٨.

قوله: «ومن فتنة المحيا والممات»: أي: اختبار المرء في دينه في حياته، وفي مماته، وأصل الفتنة: الامتحان والاختبار، وفتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها، والجهالات، أو الابتلاء مع زوال الصبر ونحو ذلك، وهي فتنة عظيمة وشديدة، وقلّ من يتخلّص منها إلا من شاء الله، وهي تدور على شيئين: شبهات، وشهوات.

أما الشبهات - ومنشؤها الجهل - فتعرض للإنسان يلتبس عليه الحق بالباطل، فيرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، وإذا رأى الحق باطلاً تجنبه، وإذا رأى الباطل حقاً فعله، وهذه فتنة عظيمة؛ فما أكثر الذين يرون الربا حقاً فينتهكونه، وما أكثر الذين يرون غش الناس في البيع والشراء شطارة وجودة، وما أكثر الذين يرون النظر إلى النساء تلذذاً وتمتعاً وحرية.

وأما الشهوات - ومنشؤها الهوى - فإن الإنسان يعرف الحق لكن لا يريده فله هوى مخالف لما جاء به النبي ﷺ، فأنت تسأل الله العافية من أمراض القلوب التي هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.

وأما فتنة الممات فيراد بها ما يكون عند الموت في آخر الحياة، وما يكون بعد الموت مباشرة من سؤال الملكين للميت في قبره عن ربه، ودينه، ونبئه، والإنسان عند موته ووداع العمل صائر إمّا إلى سعادة، وإمّا إلى شقاوة، ضعيف النفس، ضعيف الإرادة، ضيق الصدر، فيأتيه الشيطان ليغويه؛ لأن هذا وقت المغنم للشيطان، حتى

أنه - كما قال أهل العلم - قد يعرض للإنسان الأديان اليهودية والنصرانية بصورة أبيه وأمه، والعياذ بالله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وعرض الأديان عند الموت على العبد ليس أمراً عاماً لكل أحد، ولا هو أيضاً منفي عن كل أحد، بل من الناس من لا تعرض عليه الأديان، ومنهم من تعرض عليه، وذلك كله من فتنة المحيا التي أمرنا الرسول ﷺ أن نستعيد في صلاتنا منها، ووقت الموت يكون الشيطان أحرص ما يكون على إغواء بني آدم»^(١).

قوله: «ومن شر فتنة المسيح الدجال»: المسيح الدجال أعظم فتنة في الدنيا على وجه الأرض منذ خلق آدم ﷺ إلى قيام الساعة، كما قال ذلك النبي ﷺ؛ ولهذا ما من نبي من نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم إلا أندر قومه منه، تنوياً بشأنه، وتحذيراً منه.

وفتنة المسيح الدجال من فتن الدنيا؛ لأن الأموات قد سلموا من فتنته. وهذه الفتن الأربع هي مجامع الشر كله؛ فإن الشر إما عذاب الآخرة، وإما سببه، والعذاب نوعان: عذاب في البرزخ، وعذاب في الآخرة، وأسبابه: الفتنة، وهي نوعان: كبرى وصغرى، فالكبرى فتنة الدجال وفتنة الممات، والصغرى فتنة الحياة التي يمكن تداركها بالتوبة، بخلاف فتنة الممات وفتنة الدجال؛ فإن المفتون فيهما لا يتداركها^(٢).

٢- «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة

(١) الاختيارات الفقهية، ص ٨٥.

(٢) انظر الشرح الممتع، ٣/ ٢٣٧-٢٦٦، وحاشية الروض المربع، ٢/ ٧٤.

المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»^(١).

قوله: «المأثم والمغرم»: المأثم هو الأمر الذي يَأْثُم به الإنسان، أو هو الإثم نفسه، والمغرم هو الدَّين، بدليل تمام الحديث: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيز من المغرم يا رسول الله فقال: «إن الرجل إذا غرم: حَدَّثَ فكذب، ووعد فأخلف»، ويُراد به ما استدين فيما يكرهه الله تعالى، أو فيما يجوز، ثم عجز عن أدائه، فأما دينٌ احتيج إليه شرعاً، ويقدر على أدائه فلا يستعاذ منه^(٢).

٢- «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»^(٣).

قوله: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً»: فيه أن الإنسان كثير التقصير، وإن كان صديقاً؛ لأن النعم عليه كثيرة، وقوته لا تطيق بأداء أقل القليل من شكرها، بل شكره من جملة النعم - أيضاً -، فيحتاج إلى شكر هو أيضاً، فما بقي له إلا العجز والاعتراف بالتقصير الكثير.

وقدّم هذا الاعتراف على سؤال المغفرة تأدّباً، كما وقع لأبينا آدم وأُمَّنا حواء عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤).

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٢، ومسلم، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٩.

(٢) المنهل العذب، ٥ / ٣٢٩.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٤، ومسلم، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

٤- «اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(١).

قوله: «أنت المقدم» أي: ما تشاء إلى رحمتك بتوفيقه إلى طاعتك.
قوله: «وأنت المؤخر» لمن تشاء عن رحمتك بعدم توفيقه لطاعتك، كما اقتضته حكمتك^(٢).

٥- «اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٣).
قوله: «ذكرك» يشتمل على جميع أنواع الثناء حتى قراءة القرآن، والاشتغال بالعلم الديني، وغير ذلك من أنواع الذكر المشروع.
وإنما قَدَّم الذكر على الشكر؛ لأن العبد إذا لم يكن ذاكراً لم يكن شاكراً، كما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٤).

قوله: «وحسن عبادتك» قيد بالحسن؛ لأن العبادة الحسنة هي العبادة الخالصة، فالعبادة إذا لم تكن خالصة [صواباً على السنة] لا تقبل، ولا تنفع صاحبها^(٥).

٦- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١.

(٢) انظر المنهل العذب ٨ / ١٧٤.

(٣) أبو داود، ٨٦/٢، برقم ١٥٢٢، والنسائي، ٥٣/٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٨٤/١. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، ويأتي تخريجه في صفة الصلاة الكاملة الخاشعة.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٥) انظر: شرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٣١.

بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْذَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١).

قوله: «البخل» أي: منع إنفاق المال، بعد الحصول عليه، وحبه وإمساكه.

قوله: «الجبن» أي: تَهَيَّبُ الإقدام على ما لا ينبغي أن يُخاف.

قوله: «أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْذَلِ الْعُمْرِ» هو البلوغ إلى حدٍّ في الهرم، يعود معه كالطفل؛ في سخف العقل، وقلة الفهم، وضعف القوة.

والأُرْذَلُ: هو الرَّدِيءُ من كل شيء.

قوله: «فتنة الدنيا» ومعنى الفتنة: الاختبار، قال شعبة رحمه الله: «يعني: فتنة الدَّجَالِ»، وفي إطلاق الدنيا على الدجال، إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة في الدنيا، وقد ورد ذلك صريحاً في قول النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مِنْذُ ذَرَأَ اللَّهِ ذَرِيَةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»^(٢).

ومعنى «ذراً»: خلق.

قوله: «عذاب القبر» فيه إثبات لعذاب القبر؛ فأهل السنة والجماعة يؤمنون بفتنة القبر وعذابه ونعيمه؛ فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٣)؛

(١) البخاري مع الفتح، ٣٥/٦، برقم ٢٨٢٢. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، برقم ٤٠٧٧، وصححه الألباني، انظر قصة المسيح الدجال له، ص ٤٩.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين: الإنس والجن^(١)، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب!!

٧ - «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(٢).

أي: اللهم إني أطلب منك الفوز بالجنة، وأن تجيرني من عذاب النار. ويتضمن هذا الدعاء طلب التوفيق والهداية إلى الأعمال الصالحة المبتغى بها وجه الله تعالى، التي هي سبب للفوز بالجنة، وطلب البعد عن الأعمال السيئة، التي هي سبب لعذاب النار^(٣).

٨ - «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ؛ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرِزْنَةِ

(١) هذا معنى حديث رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، برقم ١٣٣٨، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، برقم ٢٨٧٠.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، برقم ٧٩٢، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، برقم ٣٨٤٦، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣٢٨/٢.

(٣) انظر: شرح حصن المسلم بتصحیح المؤلف، ص ١٣٢ - ١٣٣.

الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين»^(١).

قوله: «ما علمت الحياة خيراً لي» أي: إذا كانت الحياة خيراً لي في علمك للغيب، وكذلك التقدير في قوله: «وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي» أي: إذا كانت الوفاة خيراً لي في علمك.

قوله: «خشيتك في الغيب والشهادة» أي: فيما غاب عني وفيما أشاهده، والمراد منه: الخشية في جميع الأحوال.

قوله: «كلمة الحق» أي: التكلم بالحق؛ والمراد: العون والتوفيق على التكلم بالحق.

قوله: «في الرضا والغضب» أي: في حالة الرضا وحالة الغضب، أو المعنى: عند رضاء الراضي، وعند غضب الغاضب.

قوله: «القصد» القصد من الأمور؛ أي: المعتدل الذي لا يميل على أحد طرفي التفريط والإفراط؛ يعني: أسألك الاعتدال والوسط في الفقر والغنى، لا فقراً بالتفريط، ولا غنىً بالإفراط؛ لأن الفقر جداً يستدعي ترك الصبر، المؤدي إلى ارتكاب الطعن في التقدير، والتكلم بأنواع البشاعة، والغنى جداً يؤدي إلى الطغيان والفساد، وخير الأمور أوسطها.

قوله: «نعيماً لا ينفد» أي: لا يفرغ، وهو نعيم الجنة.

قوله: «قرة عين لا تنقطع» كناية عن السرور والفرح، يقال: قرّت

(١) النسائي، كتاب التطبيق، نوع آخر من الدعاء، ٥٤/٤، ٥٥، برقم ١٣٠٥، وأحمد، ٣٦٤/٤،

وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٨١/١.

عيناه؛ أي: سرَّ بذلك وفرح، وقيل معناه: بلوغ الأُمنية حتى ترضى النفس، وتسكن العين، ولا تستشرف إلى غيره.

قوله: «وأسألك الرضا بعد القضاء» أي: بعد قضائك عليّ بشيء من الخير والشر؛ أما في الخير فيرضى به ويقنع به، ولا يتكلّف في طلب الزيادة، ويشكر على ما أوتي به، وأما في الشر فيصبر عليه ولا يكفر. قوله: «وأسألك برد العيش بعد الموت» كناية عن الراحة بعد الموت.

قوله: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك» إنما سأل هنا لذة النظر ولم يكتف بسؤال النظر، مبالغة في الرؤية وكثرتها؛ لأنه فرق بين رؤية ورؤية. قوله: «والشوق» أي: أسألك لذة الشوق إلى لقاءك؛ والشوق هو تعلق النفس بالشيء.

قوله: «في غير ضراء» متعلّق بقوله: «أحيني إذا علمت الحياة خيراً لي» أي: أحيني إذا أردت حياتي في غير ضراء مضرّة، ولا فتنة مضلّة، وتوفني إذا أردت وفاتي في غير ضراء مضرّة، ولا فتنة مضلّة عند الموت.

والضراء: الحالة التي تضر، وهي نقيض السراء.

ووصف الضراء بالمضرّة، والفتنة بالمضلة للتأكيد والمبالغة.

قوله: «اللهم زينا بزينة الإيمان» أي: بشرائعه؛ لأن الشرائع زينة الإيمان؛ يعني: وفقنا لأداء طاعتك وإقامة شرائعك، حتى تكون لنا زينة في الدنيا والآخرة.

قوله: «هداة» جمع هادي؛ أي: اجمع لنا فينا بين الهدى

والاهتداء^(١).

٩- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٢).

قوله: «بأنك» الباء سببية؛ أي: بسبب أنك الواحد.

قوله: «الواحد الأحد» لا فرق بين الواحد والأحد؛ أي: الفرد الذي لا نظير له، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله تعالى؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

قوله: «الصمد» هو الذي يُصمد إليه في الحاجات؛ أي: يُقصد لكونه قادراً على قضائها، قال الزجاج رحمه الله: «الصمد السيد الذي انتهى إليه السؤدد، فلا سيد فوقه»، وقيل: هو المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد، وقيل: هو الذي لا جوف له؛ قال الشعبي رحمه الله: «هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب».

قوله: «الذي لم يلد ولم يولد» أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قوله: «كفواً» أي: مثلاً ونداً ونظيراً^(٣).

١٠- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ

(١) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٣٠٩-٣١٣.

(٢) أخرجه النسائي بلفظه، كتاب التطبيق، نوع آخر من الدعاء، ٥٢/٣، وأحمد، ٢٣٨/٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٨٠/١.

(٣) انظر: شرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٣٦.

لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(١).

قوله: «الْمَنَّانُ» أي: كثير العطاء، من المنة بمعنى النعمة، والمنة مذمومة من الخلق؛ لأنهم لا يملكون شيئاً، قال صاحب «الصحاح»: «مَنْ عَلَيْهِ هَذَا؛ أَي: أُنْعِمَ، وَالْمَنَّانُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى». قوله: «يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: مبدعها ومخترعها لا على مثال سبق.

قوله: «يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أي: صاحب العظمة، والسلطان والإنعام، والإحسان.

وجاء في نهاية الحديث؛ قوله ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ».

قال الطيبي رحمه الله: «فيه دلالة على أن الله تعالى اسماً أعظم إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

قال الشوكاني رحمه الله: «قد اختلف في تعيين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً».

قال ابن حجر رحمه الله: «وَأَرْجَحُهَا مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

(١) رواه أهل السنن: أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، والنسائي، كتاب التطبيق، نوع آخر من الدعاء، ٥٢/٣، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٨، والترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في دعاء الحفظ، برقم ٣٥٤٤، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣٢٩/٢.

أحد».

وقال الجزري رحمه الله: «وعندي أن الاسم الأعظم: لا إله إلا هو الحي القيوم».

ورجح ذلك ابن القيم وغيره، والله أعلم^(١).

١١ - «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^(٢).
وتقدم شرحه قبل حديث واحد.

١٢ - «السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله»^(٣) ^(٤)، تقدم معنى السلام في شرح كلمات التشهد، والسنة أن ينوي بالسلام الخروج من الصلاة، والسلام على الحاضرين عن يمينه وشماله، وعلى الملائكة؛ لأدلة منها قول النبي ﷺ: «... ثم يسلم على أخيه: من على يمينه وشماله»^(٥).

(١) انظر: شرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٣٧.

(٢) أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، ٦٢/٢، برقم ١٤٩٣، والترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ، ٥١٥/٥، برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، ١٢٦٧/٢، برقم ٣٨٥٧، وأحمد، ٣٦٠/٥، برقم ٢٢٩٦٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣٢٩/٢، وصحيح الترمذي، ١٦٣/٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم، برقم ٤٣١، ورقم ٥٨١، ٥٨٢.

(٤) قال الإمام الصنعاني رحمه الله في سبيل السلام، ٣٣٠/٢: «وحديث التسليمتين رواه خمسة عشر من الصحابة، كلهم بدون زيادة وبركاته إلا في رواية وائل، ورواية عن ابن مسعود»، فقال المحقق: «بل ضَعِفَ ذلك، ثم ذكر تسعة وعشرين صحابياً، وخرَّج رواياتهم»، سبيل السلام، ٣٣٠/٢.

(٥) مسلم، برقم ٤٣١، وانظر: صلاة المؤمن للمؤلف، ٢٥٧/١.

الرابع عشر: فهم وتدبر معاني الأذكار بعد السلام من الصلاة

١ - «أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»^(١).

قوله: «أستغفر الله» السنة أن يستغفر المصلي بعد سلامه ثلاث مرات - والمغفرة هي ستر الذنب والعفو عنه - تحقيقاً لعمله، وتعظيماً لجنان ربه جل وعلا، وكذلك ينبغي أن يكون حال العبد، فيلاحظ عظمة جلال ربه، وحقارة نفسه، وعمله لديه، فيزداد تضرعاً واستغفاراً، كلما يزداد عملاً، وقد مدح الله تعالى أهل الاستغفار بعد القيام بقوله: «كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»^(٢).

قوله: «اللهم أنت السلام»: السلام من أسماء الله تعالى، أي: أنت السالم مما يلحق الخلق: من المعائب، والآفات، والحوادث، والتغير، ومن كل نقص، وقيل: المسلم على الأنبياء عليهم السلام في الدنيا، وعلى المؤمنين في الجنة.

قوله: «ومنك السلام»: هذا بمعنى السلامة، أي أنت الذي تعطي السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية، ومنك يطلب السلام، ويرجى، ويستوهد، ويستفاد.

قوله: «تباركت»: من البركة: وهي: الكثرة، والنماء، والزيادة، والدوام: والمعنى: تعاليت، وتعاظمت، وكثرت خيراتك واتسعت، وتزايد برك.

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته برقم: ٥٩١.

(٢) سورة الذاريات: ١٧ / ١٨.

قوله: «يا ذا الجلال والإكرام» الجلال: والعظمة، والإكرام: الإحسان، وهو المستحق لأن يهاب؛ لسلطانه، وجلاله، ويثني عليه بما يليق بعلو شأنه، والجلال مصدر الجليل، يقال: جليل بين الجلالة، والجلال: عظم القدر، فالمعنى: أن الله تعالى مستحق أن يُجَلَّ، والإكرام: مصدر أكرم يكرم، فالمعنى: أن الله مستحق أن يُجَلَّ ويُكرم فلا يُجحد، ولا يكفر به، وهو الرب المستحق للعبادة، والإجلال والإكرام^(١).

٢- «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»^(٢).

هذا الذكر مستحب لما فيه من ألفاظ التوحيد، ونسبة صفات الكمال إلى الله، والمنع والإعطاء، وتمام القدرة، فأوَّله كلمة التوحيد التي أرسل بها جميع الرسل عليهم السلام، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وكلما عظم إيمان العبد بهذه الكلمة؛ ازداد نورها في قلبه واشتد، وأحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة، ولا شهوة، ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئاً فأَيُّ ذنب، أو شهوة، أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها^(٣).

قوله: «له الملك، وله الحمد»: له الملك أي له سبحانه التصرف في

(١) انظر: حاشية سنن النسائي للسندي، ٣/ ٦٩، والعلم الهيب، ص ٣١٥، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٣٩.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء، برقم ٦٣٣٠، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٣، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) انظر: تهذيب مدارج السالكين، ١/ ٢٩٧.

السموات والأرض، ونفوذ الأمر في جميع مخلوقاته، والحمد هو الوصف بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم، والألف واللام في «الحمد» لاستغراق جميع أجناس الحمد، وصنوفه لله تعالى.

قوله: «لا مانع لما أعطيت» أي: لا مانع لما أردت إعطاءه، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، فلا أحد يقدر على منع ما أعطيت أحداً من عبادك، فإذا أراد الله أن يعطي أحداً شيئاً، واجتمع الجن والإنس على منعه، فإنهم يعجزون عن ذلك.

قوله: «ولا معطي لما منعت» أي: ولا أحد يقدر على إعطاء ما منعت.

قوله: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» بفتح الجيم في اللفظين: هو الحظ في الدنيا بالمال، أو الولد، أو العظمة، أو السلطان: أي: لا ينفع صاحب الغنى منك، ولا من عذابك غناه، وإنما ينفعه العمل الصالح بفضلك ورحمتك^(٢).

٣- «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»^(٣).

(١) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٢) انظر زاد المعاد، ١/ ٢٩٦، وفتح الباري، ٢/ ٣٣٢، والعلم الهيب، ص ٣١٧، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٤٠.

(٣) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٤.

قوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله»: الحول بمعنى التحوّل، أي لا تحوّل من حال إلى حال إلا بالله جل وعلا، والقوة: أخص من القدرة، والباء في قوله «إلا بالله» للاستعانة، والمعنى: لا أستطيع ولا أقوى على التحوّل إلا بمعونة الله، فكل إنسان لا يستطيع أن يتحوّل من حال إلى حال، سواء من معصية إلى طاعة، أو من طاعة إلى أفضل منها إلا بالله تعالى.

قوله: «ولا نعبد إلا إياه» أي عبادتنا مقصورة على الله، غير متجاوزة عنه.

قوله: «له النعمة»: أي النعمة الظاهرة والباطنة.

قوله: «وله الفضل»: أي في كل شيء «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»^(١): وهو الإنعام والإكرام.

وقوله: «والثناء الحسن» أي الذكر الجميل، وهو تكرار الوصف بالكمال.

والثناء الحسن: يشمل أنواع الحمد، والمدح، والشكر، ولا نُحْصي ثناء عليه كما أثنى على نفسه.

«مخلصين له الدين» أي: مخلصين له العبادة، لا نشرك فيها غيره شركاً أصغر، ولا أكبر، ولو كره الكافرون الإخلاص في العبادة له جل وعلا.

قوله: «ولو كره الكافرون» أي وإن كره الكافرون، ومفعوله محذوف تقديره: ولو كرهوا كوننا مخلصين لله، وكوننا عابدين له^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٢) انظر المنهل العذب، ٨ / ١٧٢، ١٨٨، العلم الهيب، ص ٣١٨ - ٣١٩، وشرح حصن المسلم بتصحيح المؤلف، ص ١٤١.

٤- ثم يذكر الله تعالى بنوع من الأنواع الآتية:

النوع الأول: «سبحان الله» ثلاثاً وثلاثين، «الحمد لله» ثلاثاً وثلاثين، «الله أكبر» ثلاثاً وثلاثين، «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» مرة واحدة^(١).

النوع الثاني: «سبحان الله» ثلاثاً وثلاثين، «الحمد لله» ثلاثاً وثلاثين، «الله أكبر» أربعاً وثلاثين^(٢).

النوع الثالث: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر» ثلاثاً وثلاثين^(٣).

النوع الرابع: «سبحان الله» خمساً وعشرين، «الحمد لله» خمساً وعشرين، «الله أكبر» خمساً وعشرين، «لا إله إلا الله» خمساً وعشرين^(٤).

النوع الخامس: «سبحان الله» إحدى عشرة، «الحمد لله» إحدى عشرة، «الله أكبر» إحدى عشرة^(٥).

النوع السادس: «سبحان الله» عشر مرات، «الحمد لله» عشر مرات،

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان فضله، برقم ٥٩٧. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان فضله، برقم ٥٩٦، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٨٤٣، ورقم ٥٩٥، ومسلم، كتاب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٥.

(٤) النسائي في سننه، كتاب السهو، باب عدد التسبيح بعد التسليم، برقم ١٣٤٩، ١٣٥٠، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، برقم ٣٤١٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن خزيمة في صحيحه، برقم ٧٥٢، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٤٣٤ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ١٤٣ - (٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«الله أكبر» عشر مرات^(١).

و«الأولى - كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - البداءة بالتسبيح؛ لأنه يتضمن نفي النقائص عن الله ﷻ، ثم التحميد؛ لأنه يتضمن إثبات الكمال له، إذ لا يلزم من نفي النقائص إثبات الكمال، ثم التكبير، إذ لا يلزم من نفي النقائص وإثبات الكمال أن لا يكون هناك كبير آخر، ثم يختم بالتهليل الدال على انفراده ﷻ بجميع ذلك»^(٢).

٥- يقرأ آية الكرسي: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»^(٣).

قوله ﷻ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»: إخبار بأنه سبحانه المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق [ولفظ الجلالة عَلَّمَ خاص بالذات العلية، فهو سبحانه الإله الحق، وما سواه من الآلهة فهو باطل، و«إله» بمعنى مألوه، والمألوه هو المعبود: حباً، وتعظيماً، وخوفاً، ورجاءاً].

«الْحَيُّ الْقَيُّومُ»: هذان اسمان من أسماء الله تبارك وتعالى، وهما جامعان لكمال الأوصاف والأفعال؛ فكمال الأوصاف في «الْحَيُّ»، وكمال الأفعال في «الْقَيُّومُ»؛ لأن معنى الحي: ذو الحياة الكاملة التي لم تسبق

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، برقم ٦٣٢٩، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٣٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

بعدم، ولا يلحقها زوال، فالله الحي في نفسه، الذي لا يموت أبداً، ومعنى القيوم: القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى أكل وشرب، ولا مُعين، ولا ناصر، والقائم على غيره بما كسب، فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره، ومن تمام القيومية أن لا يعتريه سنة ولا نوم.

قوله ﷺ: «لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ» أي: لا يعتريه نقص، ولا غفلة، ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية، وقوله: «لَا تَأْخُذُهُ»: لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس؛ ولهذا قال: «وَلَا نَوْمٌ»، لأنه أقوى من السنة.

[ولم يقل: «لا ينام» حتى يشمل الأخذ بالغلبة، والأخذ بالاختيار، ولو قلت لا ينام، فقد يكون معناه: لا ينام اختياراً، لكن الله ﷻ لا ينام لا بالغلبة، ولا بالاختيار].

قوله ﷻ: «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»: إخبار بأن الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه.

قوله ﷻ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ»: هذا من عظمة الله وجلاله، وكبريائه ﷻ، وأنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه «إِلَّا بِإِذْنِهِ»، إلا أن يأذن له في الشفاعة، حتى أعظم الناس جاهاً عند الله محمد ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله [كما في حديث الشفاعة الطويل، عن النبي ﷺ، وفيه: «فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مُحَامِدٌ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، وَأَخْرُ لَهُ سَاجِداً، فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ،

واشفع تُشَفِّعُ...»^(١).

قوله ﷺ: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ»: دليل على إحاطة علمه سبحانه بجميع الكائنات: ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها.

قوله ﷺ: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ»: أي: لا يطلع أحد على شيء من علم الله إلا بما أعلمه الله جل وعلا وأطلععه عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته، وصفاته، إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(٢).

قوله ﷺ: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»: والصحيح أن الكرسي موضع القدمين، وأنه غير العرش، والعرش أكبر منه، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الكرسي موضع القدمين والعرش: لا يقدر أحد قدره»^(٣)، [وسع: بمعنى شمل وأحاط، والكرسي موضع قدمي الرب سبحانه، وهو بين يدي العرش كالمقدمة له].

قوله ﷺ: «وَلَا يَأْخُذُهُ حِفْظُهُمَا»: أي: لا يُثْقَلُهُ، ولا يكثره حفظ السموات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما؛ بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة، صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد، الفعّال لما يريد، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر لكل شيء، والحسيب لكل شيء.

(١) البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم ٧٥١٠، وأطرافه في الطرف الأول، برقم ٤٤.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٣) الحاكم، ٢/ ٢٨٢، وصححه على شرط الشيخين موقوفاً ٤٤٢ - ٤٤٤.

قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾: العليُّ أي: ذو العلو المطلق، والعلو: صفة من صفات الله تعالى، ومعنى العلو المطلق: علو الذات، وهو أنه تعالى مستوٍ على عرشه، استواء يليق بجلاله، وله القدر، وله علوُّ القهر. والعظيم: أي: ذو العظمة، والعظيم من كل شيء، الذي يكون بالغ الأهمية، وبالغ الصفات، لا إله غيره، ولا ربَّ سواه^(١).

٦- يقرأ سورة الإخلاص: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾:

قوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير ولا نديد، ولا شبيه، ولا عدیل، ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته، وأسمائه، وأفعاله.

قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يعني: الذي يصمد إليه الخلائق في طلب حوائجهم، ومسائلهم، وهو السيد الذي قد كُمل في سؤدده، والشريف الذي قد كُمل في شرفه، والعظيم الذي قد كُمل في عظمته، والحليم الذي قد كُمل في حلمه، والعليم الذي قد كُمل في علمه، والحكيم الذي قد كُمل في حكمته، وهو الذي قد كُمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، وهذه صفة لا تنبغي إلا له، وليس له كفاء، وليس كمثله شيء سبحانه الله الواحد القهار.

قوله ﷻ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ليس له ولد ولا والد، ولا صاحبة.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٥/ ٤٢٩ - ٢٤٤، وفتح القدير، ١/ ٢٧١ - ٢٧٤، وشرح العقيدة الواسطية للهراس، ص ١٤٢، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ص ٣٢٧.

قوله ﷺ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يعني: ليس له نظير يساميه، أو قريب يدانيه: تعالى، وتقدس، وتنزه، قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(٢).

قال النبي ﷺ: «قال الله ﷻ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يَعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»^{(٣) (٤)}.

٧- يقرأ سورة الفلق: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٥).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٥.

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الإخلاص، برقم ٤٩٧٤، وطرفه برقم ١٣٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٤ / ٥١٢ - ٥١٥.

(٥) سورة الفلق، الآيات: ١ - ٥.

قوله ﷻ: «قُلْ» أمرٌ: أي أمرُك أن تقول ...
 قوله ﷻ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»: الاستعاذة هي: الالتجاء،
 والاعتصام، والاستجارة بالله سبحانه، أي: ألجأ، وأعتصم، وأستجير،
 والفلق الصبح، وذلك: «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» أي من شر جميع
 المخلوقات، والشر الذي يصيب العبد لا يخلو من قسمين:
 إما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها، فيكون وقوع ذلك الشر: بفعله،
 وقصده، وسعيه، فيكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها، وهو أعظم
 الشرين، وأدومهما وأشدّهما اتصالاً بصاحبه.
 وإما شر واقع به من غيره، وذلك الغير إما مكلف كالإنسان والجني،
 أو غير مكلف كالهوام، وذوات السموم، وغيرها: فتضمنت هذه
 الاستعاذة في هذه السورة الاستعاذة من الشرور كلّها بأوجز لفظ
 وأجمعه، وأدّله على المراد، وأعمّه استعاذةً، بحيث لم يبق شر من
 الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذ منه.
 والقسم الأول هو أعظم الشرين، وأدومهما، وهل زالت عن أحد
 قط نعمة إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبده بنعمة حفظها
 عليه، ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها، في نفسه: قال
 الله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^(١)، فما حُفِظَتْ
 نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره،
 قال الله ﷻ: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ
 عَذَابِي لَشَدِيدٌ»^(٢)، ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه؛ فإنها - أي

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

المعصية - نار النعم التي تعمل فيه كما تعمل النار في الحطب اليابس^(١).

قوله ﷺ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: هو الليل إذا أقبل بظلامه، فإن الشر فيه أكثر، والتحرز من الشرور فيه أصعب، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشمس إذا غربت، انتشرت الشياطين؛ ولهذا قال ﷺ: «لا ترسلوا فواشيكم^(٢) وصبيانكم إذا غابت الشمس، حتى تذهب فحمة العشاء»^(٣).

قوله ﷺ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفاثات: هي الأرواح والأنفس الشريرة، وهنّ السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفنن على كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر، والنفث: النفخ مع ريق، والعقد: جمع عقدة، وهي من خيوط كما تقدم.

قوله ﷺ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد: تمنى زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، وهي: كراهة نعمة الله على الغير، ويدخل في معنى الحاسد: العائن؛ لأن العين لا تصدر إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، وهذا غير حسد الغبطة: وهو أن يتمنى أن يرزقه الله مثل فلان من الخير، مع محبته أن تبقى النعمة ولا تزول، وهذا لا بأس به.

(١) انظر: بدائع الفوائد، ٢/ ٢٩٦.

(٢) شرح النووي على مسلم: الفواشي: كل شيء منتشر من المال: كالإبل، والغنم، وسائر البهائم، فإنها جمع فاشية: أي تنتشر في الأرض، وفحمة العشاء: ظلمتها وسوادها.

(٣) مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء، وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، برقم ٢٠١٣ من حديث جابر ؓ.

ومعنى ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ أي: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وحمله على إيقاع الشر بالمحسود^(١).

٧- يقرأ سورة الناس: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ هذه ثلاث صفات من صفات الرب ﷻ: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو سبحانه ربُّ كل شيء، فربوبيته تعالى: متضمنة لخلق الخلق، وتدييرهم، وتربيتهم، وإصلاحهم، وما يحتاجون إليه، ورفع الشر عنهم، وحفظهم مما يفسدهم، وهو ملك كل شيء: فهو مليكهم المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، المدبر لهم كما يشاء، الذي له السلطان التام عليهم، فهو مليكهم الحق الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب، وهو مستغاثهم، ومعاذهم، وملجؤهم، فلا صلاح لهم، ولا قيام إلا به وبتدييره.

وهو إله كل شيء، فهو إلههم الحق، ومعبودهم الذي لا إله لهم حق سواه. فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة، عبيد له، فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات.

قوله ﷻ: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: وهو الشيطان الموكل بالإنسان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس؛ فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزَيِّن له الفواحش،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١٤/ ٢٢٢ - ٢٢٨، وانظر: تفسير المعوذتين تفسيراً مفصلاً في بدائع الفوائد لابن القيم، ٢/ ١٩٨ - ٢٧٦.

والمعصوم من عصمه الله، قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل الله به قرينه من الجن» قالوا: وإيّاك يا رسول الله؟ قال: «وإيّاي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»، وفي لفظ: «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»^(١).

قوله ﷺ: «الْوَسْوَاسُ» أي: الموسوس، والوسوسة هي حديث النفس.
قوله ﷺ: «الْخَنَّاسُ» أي: كثير الخنس، والخنس: التواري والاختفاء، ووصف الشيطان بالخَنَّاس؛ لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى: «فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ»^(٢)، يعني النجوم تبدو بالليل، وتخنس بالنهار فتختفي ولا تُرى.

قوله ﷺ: «مَنْ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن، أي: نعوذ بالله من شياطين الجن والإنس، والجنّة: جمع جني. وكل شر في العالم فالشيطان سبب فيه، ولكن يمكن حصر شره في ستة أجناس، فلا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحداً منها أو أكثر:

الشر الأول: شر الكفر والشرك، ومعادة الله تعالى ورسوله ﷺ، فإن يؤس منه ذلك، نقله إلى:

المرتبة الثانية من الشر، وهي البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي، فإن أعجزه من هذه المرتبة، وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة، ومعادة أهل البدع والضلال، نقله إلى:

المرتبة الثالثة من الشر، وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فإن

(١) مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان برقم: ٢٨١٤.

(٢) سورة التكويد، الآية: ١٥.

عجز الشيطان عن هذه المرتبة، نقله إلى:

المرتبة الرابعة، وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، نقله إلى:

المرتبة الخامسة، وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظاً لوقته، شحيحاً به، نقله إلى:

المرتبة السادسة، وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه؛ ليزيح عنه الفضيلة، ويفوّته ثواب العمل الفاضل، فيأمره بفعل الخير المفضول، وقلّ من يتنبه لهذا من الناس، فإن أعجزه العبد عن هذه المراتب الست، وأعيا عليه سلط عليه حزيه من الإنس والجن بأنواع الأذى^(١)، والتحذير منه، وقصد إخماله وإطفائه ليمنع الناس من الانتفاع به^(٢).

السبب الثامن والأربعون: التنويع في الاستفتاح، والقراءة، والأذكار في الصلاة:

المصليّ إذا حافظ على السنة في قراءة الاستفتاحات في الصلاة بأنواعها: فيقرأ هذا النوع تارة، والنوع الآخر تارة أخرى، والثالث تارة ثالثة، وقد سبق أن ذكرت منها في فهم وتدبر معاني الاستفتاح ثمانية أنواع، فإذا حافظ المسلم على هذه الأنواع منوّعاً لها في صلواته حصل على الخشوع، وعلى ثواب العمل بالسنة، وعلى

(١) وهذه : هي المرتبة السابعة.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٤ / ٥٢٩ - ٥٣٢، وبدائع الفوائد لابن القيم، ٢ / ٢٢٤٧ - ٢٦٢ وتفسير المعوذتين تفسيراً مفصلاً في هذا المرجع ٢ / ١٩٨ - ٢٧٦.

حفظ هذه الاستفتاحات^(١).

وكذلك ينوع في قراءته للقرآن في الصلاة، فيلتزم السنة فيما يقرأ في الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء كما جاءت به السنة، وكذلك قراءة سورة السجدة والإنسان في فجر الجمعة، وقراءة سورة سبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة الجمعة تارة، والجمعة والمنافقون تارة أخرى، والجمعة والغاشية تارة ثالثة، كما ثبتت السنة بذلك عن النبي ﷺ^(٢).

وكذلك تنوع أذكار الرفع من الركوع بعد قوله: «سمع الله لمن حمده»، فتارة يقول: «ربنا لك الحمد»، وتارة يقول: «ربنا ولك الحمد»، وتارة يقول: «اللهم ربنا لك الحمد»، وتارة يقول: «اللهم ربنا ولك الحمد»^(٣).

وكذلك تنوع الأذكار أدبار الصلوات كما جاءت بذلك سنة النبي ﷺ، فقد ذكرت في فهم وتدبر الأذكار بعد السلام من الصلاة أنواع التسبيح، وأنها قد جاءت على ستة أنواع، فيقول المسلم كل نوع في دبر صلاة من صلواته^(٤).

وكذلك ينوع في قراءة التشهد، فإنه جاء في السنة على أنواع^(٥).

(١) انظر: تخريج هذه الاستفتاحات في المبحث الحادي والعشرين: السبب الحادي والخمسين.

(٢) انظر: تخريج هذه القراءة في السبب الحادي والخمسين.

(٣) انظر: تخريج هذه الأذكار في السبب الحادي والخمسين.

(٤) انظر تخريج هذه الأذكار في السبب الحادي والخمسين.

(٥) انظر تخريج هذه الأذكار في السبب الحادي والخمسين.

وأيضاً الصلاة على النبي ﷺ جاءت على أنواع^(١).

فإذا فعل المسلم ذلك حصل له الخشوع في صلاته بتوفيق الله تعالى.

السبب التاسع والأربعون: الاجتهاد في الدعاء في مواضعه في الصلاة:

الدعاء مناجاةً لله تعالى، فإذا اجتهد العبد في الدعاء، والتذلل لله فيه، والإلحاح، والطلب منه تعالى؛ فإن هذا مما يزيد العبد محبة لربه، وخشوعاً، وتذللاً، ورغبة فيما عنده، ورهبة من عذابه، والدعاء في الحقيقة عبادة عظيمة لله تعالى؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة، قال ربكم: «ادعوني أستجب لكم»^(٢)، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه»^(٣).

وقد شرع الله تعالى الدعاء في الصلاة في مواضع ومواطن أثناء أداء المسلم للصلاة، ومن أعظم هذه المواضع:

الدعاء في السجود، فينبغي أن يجتهد المسلم في الدعاء في السجود؛ لقول النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»^(٤)، وقوله ﷺ: «... وأما الركوع فعظموا فيه الرب

(١) انظر تخريج هذه الأذكار في السبب الحادي والخمسين.

(٢) أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٨١، والترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة البقرة، برقم ٢٩٥٩، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، برقم ٣٨٢٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣ / ١٥٠، وفي صحيح ابن ماجه، ٢ / ٣٢٤. والآية رقم ٦٠ من سورة غافر.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب من لم يسأل الله يغضب عليه، برقم ٣٣٧٣، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، برقم ٣٨٢٧، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣ / ١٢٨٣، وفي صحيح ابن ماجه، ٢ / ١٣٥٤.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٢.

[عَنْكَ]، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فمَنْ^(١) أن يستجاب لكم^(٢).

فحريٌّ بالمسلم أن يجتهد في الدعاء في السجود، وقد شرع النبي ﷺ أدعية كثيرة للدعاء في السجود^(٣)،

وأذكار الركوع، والدعاء بها^(٤)،

وأذكار الرفع من الركوع، وبعد الاعتدال منه^(٥)،

وأذكار الجلسة بين السجدين^(٦)،

والدعاء قبل السلام بعد التشهد الأخير^(٧).

فينبغي للمسلم أن يجتهد في ذلك، ويقتدي بالنبي ﷺ في ذلك، ويدعو الله وهو موقن بالإجابة، ويجمع بين الخوف من الله تعالى ورجائه، مع المحبة لله تعالى.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر: فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سَلِمَ الرأس والجناحان فالطائر يطير جيداً، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى

(١) قَمَنْ: حَقِيقٌ وَجَدِيذٌ أَنْ يَسْتَجَابَ لَكُمْ.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩.

(٣) انظر: أدعية كثيرة صحيحة في السجود في المبحث الحادي والخمسين: الدعاء في السجود.

(٤) انظر: السبب الحادي والخمسين: أدعية الركوع.

(٥) انظر: السبب الحادي والخمسين: أدعية الرفع من الركوع.

(٦) انظر: السبب الحادي والخمسين: أدعية الجلسة بين السجدين.

(٧) انظر: السبب الحادي والخمسين.

فَقَدْ الْجَنَاحَانِ: فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوِّي في الصحة جناح الخوف، وعند الخروج من الدنيا يقوِّي جناح الرجاء على جناح الخوف».

وقال بعض السلف: «أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصول بمنه وكرمه»^(١).

قال الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٢).

فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه: بالعبودية، والمحبة، فقد ذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب، والخوف، والرجاء^(٣).

ومع ذلك ينبغي أن يكون المسلم قبل دعائه متطهراً من الذنوب بالتوبة، ويكون زاهداً ورعاً: وقد ذكر ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية حقيقة الزهد والورع فقال: «الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة»^(٤).

السبب الخمسون: إحسان الطهور وإكماله:

لا شك: أن إحسان الطهارة : من الوضوء، والغسل على الوجه

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٥١٧، وانظر: ١/ ٥٢٠، من المرجع نفسه.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٣٥.

(٤) المرجع السابق، ٢/ ١٠.

الأكمل يعين على الخشوع في الصلاة، وقد حذر النبي ﷺ من النقص في ذلك، وترك استيعاب غسل الأعضاء في الوضوء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أسبغوا الوضوء، فإن أبا القاسم ﷺ قال: «ويل للأعقاب من النار»، ولفظ مسلم أن النبي ﷺ رأى رجلاً لم يغسل عقبه، فقال: «ويل للأعقاب من النار»، وفي لفظ لمسلم: أسبغوا الوضوء، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «ويل للعراقيب من النار»^(١).

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ صلى الصبح، فقرأ الروم فالتبس عليه، فلما صلى قال: «ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور، وإنما يلبس علينا القرآن أولئك»^(٢)، وفي لفظ لأحمد من حديث أبي روح الكلاعي: «إنما يلبس علينا الشيطان القراءة من أجل أقوام يأتون الصلاة بغير وضوء، فإذا أتيتم الصلاة فأحسنوا الوضوء»، وفي لفظ: «صلى الصبح فقرأ فيها الروم، فأوهم...»، وفي لفظ له: «... أنه صلى مع النبي ﷺ الصبح، فقرأ بالروم فتردد في آية، فلما انصرف قال: «إنه يلبس علينا القرآن: أن أقواماً منكم معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، برقم ١٦٥، مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما، برقم ٢٤٢، وقد جاء عند مسلم أيضاً بنحوه عن عائشة رضي الله عنها، برقم ٢٤٠، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم ٢٤١، وفيه قصة في السفر.

(٢) النسائي، كتاب الافتتاح، باب القراءة في الصبح بالروم، برقم ٩٤٧، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٣١٥.

الوضوء»^(١)، وأورده ابن كثير في تفسيره في آخر سورة الروم، ثم قال: «وهذا إسناد حسن، ومتن حسن، وفيه سرٌّ عجيب، ونبأ غريب، وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من ائتمَّ به، فدلَّ ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام»^(٢).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في موضع آخر: «فدلَّ هذا على أن إكمال الطهارة يُسهِّل القيام في العبادة، ويُعين على إتمامها، وإكمالها، والقيام بمشروعاتها»^(٣).

وقال السندي رحمه الله تعالى عن الحديث المذكور: «وفيه تأثير الصحبة، وأن الأكملين في أكمل الأحوال يظهر فيهم أدنى أثر، والله تعالى أعلم»^(٤).

ومما تقدم يتضح: أن النقص في الطهارة يؤثر على المُصلي، ويتعدَّى تأثيره إلى الإمام إذا كان ذلك المُقصر في الوضوء يصلي في جماعة، والله المستعان^(٥).

السبب الحادي والخمسون: المحافظة على صفة الصلاة الكاملة الخاشعة من كل وجه: أعظم الأسباب الجالبة للخشوع في الصلاة: أن يصلي المسلم الصلاة الكاملة من كل وجه، وذلك: بإكمال شروطها قبل الدخول

(١) أحمد، ٢٥/٢٠٨، برقم ١٥٨٧٢، وبرقم ١٥٨٧٣، ورقم ١٥٨٧٤، و ٣٨/١٦٩، برقم ٢٣٠٧٢، وبرقم ٢٣١٢٥، وحسنه محققو المسند، ٢٥/٢١١، وفي ٣٨/١٦٩، ٢٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ونقله عنه محققو المسند، ٢٥/٢١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٧/٢٨٩ عند تفسير الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي، ٢/١٥٧.

(٥) انظر: الخشوع في الصلاة، لمحمد لطفي الصباغ، ص ٥٧.

فيها، والقيام بإكمال أركانها، وواجباتها، وخشوعها، وسننها، والابتعاد عن مبطلاتها، ومكروهاتها.

وصفة الصلاة الكاملة من كل وجه: أن يصلي المسلم كما كان النبي ﷺ يصلي؛ لحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١). فينبغي للمسلم أن يصلي الصلاة بخشوع النحو الآتي:

١- يسبغ الوضوء وهو أن يتوضأ كما أمره الله ﷻ عملاً بقوله ﷻ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(٢)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»^(٣)، فيجب على المسلم العناية بالطهارة، قبل دخول الصلاة^(٤).

٢- يتوجه إلى القبلة، وهي الكعبة، لقول الله تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»^(٥)؛ ولحديث أبي هريرة

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، برقم ٦٣١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة برقم ٢٢٤.

(٤) انظر: طهور المسلم للمؤلف ص ٦٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

ﷺ في قصة المسيء صلاته: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة...»^(١).

٣ - يجعل له سترة يصلي إليها إن كان إماماً أو منفرداً؛ لحديث سبرة بن معبد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «ليستز أحدكم في الصلاة ولو بسهم»^(٢)؛ ولحديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل مؤخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرحل فإنه يقطع صلاته: الحمار، والمرأة، والكلب الأسود»^(٣). ويتأكد الدنو من السترة والصلاة إليها؛ لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة، وليدن منها»^(٤). ويجعل بينه وبين سترته قدر ممر الشاة، أو قدر مكان السجود، ولا يزيد على قدر ثلاثة أذرع، وكذلك بين الصفوف؛ لحديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: «كان بين مصلي رسول الله ﷺ وبين

(١) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٩٣، ومسلم بلفظه، برقم ٣٩٧، وتقدم تخريجه في التحذير من ترك الخشوع في الصلاة.

(٢) أخرجه الحاكم، ٢٥٢/١، بنحوه، والطبراني في الكبير، ١١٤/٧ بلفظه، برقم ٦٥٣٩، وأحمد، ٤٠٤/٣ بلفظ: «إذا صلى أحدكم فليستز لصلاته ولو بسهم»، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ٥٨/٢، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح»، وسمعت سماحة العلامة ابن باز - رحمه الله - يقول في تعليقه على بلوغ المرام، الحديث رقم ٢٤٤: «دل هذا الحديث على تأكد السترة ولو بسهم».

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، برقم ٥١٠.

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يؤمر المصلي أن يدرأ عن الممر بين يديه، برقم ٦٩٨، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٣٥: «حسن صحيح»، وسمعت العلامة ابن باز - رحمه الله - يقول في تعليقه على حديث ٢٤٤ من بلوغ المرام: «إسناده جيد، وهو يدل على تأكد السترة والدنو منها».

الجدار ممر الشاة»^(١). وإذا أراد أحد أن يمر بين يديه ردّه، ودافعه؛ فإن لم يمتنع دافعه بقوة؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله؛ فإنما هو شيطان»^(٢). وفي رواية لمسلم: «فإن معه القرين»^(٣). ولا يجوز المرور بين يدي المصلي؛ لحديث أبي جهم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المارء بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه» قال أبو النضر أحد الرواة: لا أدري قال: أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة^(٤).

وسترة الإمام سترة لمن خلفه؛ لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وفيه: أنه أقبل راكباً على حمارٍ أتانٍ، وهو يومئذ قد ناهز الاحتلام، ورسول الله ﷺ قائم بمنى في حجة الوداع يصلي بالناس إلى غير جدار، فسار ابن عباس على حماره بين يدي بعض الصف الأول، ثم نزل عنه فصف مع الناس وراء رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك عليه أحد^(٥). وسمعت شيخنا

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة برقم ٤٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب دنو المصلي من السترة، برقم ٥٠٨، وانظر: سبل السلام للصنعاني، ١٤٥/.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب: يرد المصلي من مَرٍّ بين يديه، برقم ٥٠٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، برقم ٥٠٥.

(٣) مسلم في الكتاب والباب السابقين، برقم ٥٠٦، وسمعت سماحة العلامة ابن باز أثناء شرحه لبلوغ المرام، حديث رقم ٢٤٨، يقول: «وهذا يدل على أنه يشرع للمصلي إذا مر أحد بينه وبين سترته أن يردّه، وظاهر النصوص الأخرى أن يردّه مطلقاً سواء كان له سترة أم لا، إلا إذا كان بعيداً، ويرد المار بالأسهل فالأسهل كما يرد الصائل».

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب إثم المار بين يدي المصلي، برقم ٥١٠، ومسلم، كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، برقم ٥٠٧.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب: سترة الإمام سترة من خلفه، برقم ٤٩٣،

الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله يقول: «هذا يدل على أن المأمومين سترتهم سترة إمامهم، فلا يضرهم من مرّ من أمامهم إذا كان لإمامهم سترة»^(١).

٤- يكبر تكبيرة الإحرام، قائماً، قاصداً بقلبه فعل الصلاة التي يريدّها: من فريضة أو نافلة؛ تقريباً لله تعالى، قائلاً: الله أكبر، ناظراً ببصره إلى محل سجوده، رافعاً يديه مضمومتي الأصابع، ممدودة إلى حذو منكبيه، أو إلى حيال أذنيه؛ لقول النبي ﷺ في حديث المسيء صلاته: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر»^(٢)، ولقول الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٣)؛ ولقول النبي ﷺ لعمران بن حصين: «صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»^(٤)؛ ولحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات»^(٥)، ولا ينطق بلسانه بالنية؛ لأن النبي ﷺ لم ينطق بها، ولا أصحابه رضي الله عنهم؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة، وإذا كبر للركوع، وإذا رفع رأسه من الركوع، ولا يفعلّه حين يرفع رأسه من السجود. وفي لفظ: «وإذا قام

= وألفاظه من هذا ومن رقم ١٨٥٧، ٤٤١٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، برقم ٥٠٤.

(١) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري على الحديث رقم ٤٩٣، في جامع سارة بالرياض، بتاريخ ١٠/٦/١٤١٩هـ.

(٢) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٩٣، ومسلم، برقم ٣٩٧، وتقدم تخريجه.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٤) البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب، برقم ١١١٧.

(٥) متفق عليه: البخاري، برقم ١، ومسلم، برقم ١٩٠٧، وتقدم تخريجه.

(٦) انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز، ٨/١١.

من الركعتين رفع يديه»^(١)، وفي حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا كبر رفع يديه حتى يُحاذيَ بهما أذنيه، وإذا ركع رفع يديه حتى يحاذيَ بهما أذنيه، وإذا رفع رأسه من الركوع فقال: «سمع الله لمن حمده»، فعل مثل ذلك، وفي لفظ لمسلم: «حتى يحاذي بهما فروع أذنيه»^(٢).

والأحاديث الواردة في ابتداء رفع اليدين جاءت على وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: جاء ما يدل على أنه ﷺ رفع يديه ثم كبر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام للصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه، ثم كبر»^(٣)؛ ولحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه يُحدث به في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ وفيه: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يُحاذيَ بهما منكبيه ثم يُكبر»^(٤).

الوجه الثاني: جاء ما يدل على أنه ﷺ كبر ثم رفع يديه، فعن أبي قلابة أنه «رأى مالك بن الحويرث إذا صلى كبر ثم رفع يديه... وحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل هكذا»^(٥).

الوجه الثالث: جاء ما يدل على أنه ﷺ رفع يديه مع التكبير، وانتهى منه مع انتهائه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «رأيت رسول الله ﷺ

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين في التكبير الأولى مع الافتتاح سواء، برقم ٧٣٥، ورقم ٧٣٩، ومسلم، كتاب الصلاة، برقم ٣٩٠.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين إذا كبر وإذا ركع، وإذا رفع، برقم ٧٣٧، ومسلم واللفظ له، في كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبير الإحرام والركوع، وفي الرفع من الركوع، وأنه لا يفعله إذا رفع من السجود، برقم ٣٩١.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين، برقم ٣٩٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد برقم ٨٢٨، واللفظ لأبي داود، برقم ٧٣٠.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين إذا كبر، برقم ٧٣٧، ومسلم واللفظ له، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين، برقم ٣٩١.

افتتح التكبير في الصلاة، فرفع يديه حين كبر حتى جعلهما حَذَوَ منكبيه^(١). فمن فعل صفة من هذه الصفات فقد أصاب السنة^(٢).

وأما النظر إلى موضع السجود، ومطأطأة الرأس، ورمي البصر نحو الأرض؛ فلما رواه البيهقي والحاكم، وشهد له حديث عشرة من أصحاب النبي ﷺ^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، أو لُتُخَطَفَنَّ أبصارهم»^(٤).

٥- يضع يديه على صدره بعد أن ينزلهما من الرفع، اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد؛ لحديث وائل بن حُجر قال: «صليت مع النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى على صدره»^(٥)، وفي لفظ: «ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد»^(٦)، وهذا يَعُمُّ

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب إلى أين يرفع يديه، برقم ٧٣٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام، برقم ٣٩٠.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٢/٢١٨، وسبل السلام للصنعاني، ٢/٢١٧، والشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/٣٩.

(٣) انظر: السنن الكبرى للبيهقي، ٢/٥٨٨، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/٤٧٩، وأحمد، ٢/٢٩٣، وصحح الألباني ما جاء في هذه الصفة في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٨٠.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، برقم ٤٢٩.

(٥) أخرجه ابن خزيمة، في صحيحه، ١/٢٤٣، برقم ٤٧٩، والحديث جاء من طرق أخرى بمعناه، وله شواهد. انظر: صحيح ابن خزيمة، ١/٢٤٣، وصفة الصلاة للألباني، ص ٧٩، وسمعت سماحة العلامة ابن باز - رحمه الله - أثناء تقريره على الحديث رقم ٢٩٣ من بلوغ المرام يقول: «وهكذا رواه أحمد عن قبيصة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يضع يديه على صدره، وإسناده حسن».

(٦) أبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الصلاة، برقم ٧٢٧، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب موضع اليمين من الشمال في الصلاة، برقم ٨٨٩، وصححه الألباني في

القيام بعد الرفع من الركوع؛ لحديث وائل رضي الله عنه في لفظ آخر، قال: رأيت رسول الله ﷺ «إذا كان قائماً في الصلاة قبض يمينه على شماله»^(١)، وهذا الحديث فيه صفة القبض، والأحاديث الأخرى فيها صفة وضع اليد اليمنى على اليسرى على الصدر، قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: «إذن هاتان صفتان: الأولى قبض، والثانية وضع»^(٢)، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجلُ يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة». قال أبو حازم: لا أعلمه إلا ينمي ذلك إلى النبي ﷺ^(٣)، وسمعت سماحة العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يقول: «وهذا يحتمل أن يكون نوعاً ثانياً، ويحتمل أن يكون المراد مثل حديث وائل»^(٤).

٦ - يستفتح الصلاة بدعاء الاستفتاح وهو أنواع، يأتي بواحد منها ولا يجمع بينها، ولكن ينوع لكل صلاة، ومنها:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ، إذا كبر في الصلاة سكت هُتَيْةً^(٥) قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! أرايت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: «أقول: اللهم باعد بيني

= إرواء الغليل، ٦٨/٢-٦٩، وصفة صلاة النبي ﷺ، ص ٧٩.

(١) النسائي، كتاب الافتتاح، باب وضع اليمنى على الشمال في الصلاة، برقم ٨٨٧، وصححه إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي، ١/١٩٣.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤٤/٣.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، برقم ٧٤٠.

(٤) سمعته من سماحته أثناء شرحه لحديث رقم ٢٩٣ من بلوغ المرام.

(٥) هُتَيْة: أي وقت لطيف قصير، أو ساعة لطيفة. فتح الباري لابن حجر، مقدمة فتح الباري، ص ٢٠٢.

وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد»^(١).

ب - وإن شاء قال: «سبحانك اللهم وبحمدك»^(٢)، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»^(٣).

ج - وإن شاء قال ما ثبت عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة^(٤) قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي،

(١) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٤٣، ومسلم، برقم ٥٩٨، وتقدم تخريجه في السبب الأربعين في فهم دعاء الاستفتاح.

(٢) سبحانك اللهم وبحمدك: أي سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك، والجد هنا: العظمة، شرح النووي، ٣٥٥/٤، وقيل: أسبحك حال كوني متلبساً بحمدك. انظر: سبل السلام للصنعاني، ٢٢٤/٢، وسمعت شيخنا ابن باز يقول أثناء تقريره على الروض المربع، ٢٢٢/٢: «يعني بحمدي لك، وثنائي عليك سبحتك: أي نُرْهَتُك».

(٣) مسلم، برقم ٣٩٩، وتقدم تخريجه في تدبر دعاء الاستفتاح.

(٤) وفي رواية ابن خزيمة، ٢٣٦/١، برقم ٤٦٤ بلفظ: «كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ويقول...» وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لزاد المعاد، ٢٠٣/١: «وإسناده صحيح». وزاد ابن حبان هذه الزيادة أيضاً، ٧٠/٥، برقم ١٧٧٢، ولفظه: «كان إذا ابتدأ الصلاة المكتوبة قال: وجهت وجهي». وقال الحافظ ابن حجر في الفتح، ٢٣٠/٢: «وهو عند مسلم من حديث علي لكنه قيده بصلاة الليل، وأخرجه الشافعي [في المسند ٧٢/١-٧٣]، وابن خزيمة، وغيرهما بلفظ: «إذا صلى المكتوبة واعتمده الشافعي في الأم». اهـ وتعقب الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - كلام ابن حجر في نقله أن مسلماً قيده بصلاة الليل فقال: «هذا وهم من الشارح رحمه الله وليس في رواية مسلم تقيده بصلاة الليل فتنبه، والله أعلم» الفتح، ٢٣٠/٢. وقال الصنعاني - رحمه الله - في سبل السلام، ٢٢٣/٢ على كلام ابن حجر - رحمه الله -: «لم نجد في مسلم هذا الذي ذكره المصنف من أنه كان يقوله في صلاة الليل، وإنما ساق حديث علي عليه السلام هذا في قيام الليل».

ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك، وسعديك، والخير كله بيدك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»^(١). وإن شاء قال ما ثبت عن النبي ﷺ من الأنواع الأخرى في الاستفتاح^(٢).

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، برقم ٧٧١.

(٢) وذكر ابن تيمية - رحمه الله - في كتاب: «قاعدة في أنواع الاستفتاح» ص ٣١: «أن الاستفتاح لا يختص بـ «سبحانك اللهم»، و «وجهت وجهي» وغيرهما؛ بل يستفتح بكل ما روي، لكن فضل بعض الأنواع على بعض يكون بدليل آخر». وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه لبلوغ المرام لابن حجر على الحديث رقم ٢٨٧ يقول: «وواحد من أدعية الاستفتاح يكفي، ولا يجمع بين دعاءين، وما صح في صلاة النافلة يصح في الفريضة، لكن ما كان فيه طول فالأولى أن يكون في صلاة الليل» وتقدم. وهناك أدعية للاستفتاح إضافة إلى ما تقدم منها:

١- عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». مسلم، برقم ٧٧١.

٢- عن أنس ﷺ أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس، فقال: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» فقال رسول الله ﷺ: «... لقد رأيت اثني عشر ملكاً يتدرونها أيهم يرفعها» مسلم، برقم ٦٠٠.

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً» فقال رسول الله ﷺ: «... عجبت لها فتحت لها أبواب السماء» مسلم، برقم ٦٠١.

٧- يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١)، أو يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه^(٢)، ونفخه^(٣)، ونفثه^(٤)»^(٥).

٤- عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة رضي الله عنها: بما كان رسول الله ﷺ يستفتح قيام الليل؟ قالت: لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، كان إذا قام: «كبر عشراً، وحمد عشراً، وسبح عشراً، وهلل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني، أعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة». أبو داود، برقم ٧٦٦، والنسائي، برقم ١٦١٧، وأحمد، ١٤٣/٦، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٨٩، وصحيح سنن أبي داود، ١/١٤٦.

٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهدد قال: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن [ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن] [ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض] [ولك الحمد] [أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق] [اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت] [أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت] [أنت إلهي لا إله إلا أنت]، البخاري، برقم ٦٣١٧، ٧٣٨٥، ٧٤٤٢، ٧٤٩٩، ومسلم مختصراً بنحوه، برقم ٧٦٩. وغير ذلك من أنواع الاستفتاح، انظر: زاد المعاد لابن القيم، ١/٢٠٢-٢٠٧.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) همزه: المؤنثة: نوع من الجنون.

(٣) نفخه: الكبير.

(٤) نفثه: الشعر المذموم.

(٥) أخرجه أحمد، ٥٠/٣، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، برقم ٧٧٥، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم ٢٤٢، وحسنه: عبد القادر وشعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد، ١/٢٠٤، وحسنه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٩٠، وانظر أيضاً: مسند أحمد، ٨٠/٤، ٨٥، وسنن =

٨ - يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، سرّاً؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: «صليتُ خلف رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فلم يجهرُوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(١)، والبسملة آية مستقلة^(٢).

٩ - يقرأ الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٣).

وقراءة الفاتحة تجب على كل مصلٍّ، ويدخل في ذلك المأموم في الصلاة الجهرية والسرية؛ لرواية حديث عبادة رضي الله عنه السابق، يرفعه: «لعلكم تقرأون خلف إمامكم» قلنا: نعم، هذا يا رسول الله: قال: «لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها»^(٤). وعن محمد بن أبي عائشة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال:

= أبي داود، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، برقم ٨٠٧، وابن حبان، برقم ٤٤٣، والحاكم، ٢٣٥/١.
(١) أحمد في المسند، ٢٦٤/٣، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، برقم ٩٠٧، واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه، ٢٤٩/١، برقم ٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ١٩٧/١.

(٢) سمعت الإمام عبد العزيز ابن باز أثناء شرحه لحديث رقم ٢٩٧-٣٠٠ من بلوغ المرام يقول: «وبسملة آية مستقلة ليست من الفاتحة ولا من غيرها، أنزلها الله فصلاً بين السور، إلا أنها بعض آية من سورة النمل، وهذا هو الأرجح، أما بالنسبة للآية السابعة من الفاتحة عند المحققين فهي ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

(٣) متفق عليه، البخاري، برقم ٧٥٦، ومسلم، برقم ٣٩٤، وتقدم تخريجه.

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، برقم ٨٢٣، والترمذي، كتاب الصلاة، باب القراءة خلف الإمام، برقم ٣١١، وأحمد، ٣٢٢/٥، وابن حبان في الإحسان، ١٣٧/٣، برقم ١٧٨٢، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير: «وصححه

قال رسول الله ﷺ: «لعلكم تقرأون والإمام يقرأ؟» قالوا: إنا لنفعل، قال: «لا، إلا أن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب»^(١)، وتسقط الفاتحة عن مسبوق أدرك الإمام راکعاً، لحديث أبي بكرة ؓ أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راکع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «زادك الله حرصاً ولا تعد»^(٢).

ولم يأمره النبي ﷺ بقضاء الركعة التي أدرك ركوعها دون قراءتها، ولو كانت الركعة غير صحيحة لأمره ﷺ بإعادتها. وتسقط عن المأموم مع السهو والجهل^(٣).

١٠ - يقول بعد الانتهاء من قراءة الفاتحة: «آمين» يجهر بها في الجهرية، ويسر في السرية، [ومعناها: اللهم استجب]؛ لحديث أبي هريرة ؓ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع صوته وقال: «آمين»»^(٤)؛ ولحديثه ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا أمّن الإمام فأمنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه»^(٥)؛ ولحديثه ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين،

= أبو داود والدارقطني والترمذي، وابن حبان والحاكم والبيهقي، ٢٣١/١.

(١) أحمد في المسند، ٤١٠/٥، قال ابن حجر في التلخيص الحبير، ٢٣١/١: «إسناده حسن».

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب: إذا ركع دون الصف، برقم ٧٨٣.

(٣) سمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله أثناء تقريره على شروط الصلاة وأركانها للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يذكر أن الفاتحة ركن في الصلاة في حق الإمام والمنفرد، أما المأموم فهي واجبة في حقه تسقط مع السهو والجهل، وإذا سبقه الإمام فوجده راکعاً، لحديث أبي بكرة ؓ ولم يأمره النبي ﷺ بقضاء الركعة.

(٤) الدارقطني في سننه، وحسنه، ٣١١/١، والحاكم في المستدرک، ٢٢٣/١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي وقال: حسن صحيح، ٥٧/٢.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين، برقم ٧٨٠، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤١٠.

فقولوا: آمين؛ فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدّم من ذنبه»^(١). ومن لم يستطع قراءة الفاتحة وعجز عنها قرأ غيرها مما تيسر من القرآن، فإن لم يكن عنده شيء قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»؛ لحديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً، فعلمني ما يجزئي منه، فقال: «قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٢).

١١- يقرأ سورة بعد الفاتحة، أو ما تيسر من القرآن في ركعتي الصبح، والجمعة، وفي الركعتين الأوليين: من صلاة الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وفي جميع ركعات النفل؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يطوّل في الأولى ويُقصر في الثانية، ويُسمع الآية أحياناً، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطوّل في الأولى، وكان يطوّل في الركعة الأولى من صلاة الصبح ويُقصر في الثانية»^(٣). وفي لفظ: «كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين من الظهر والعصر بفاتحة

(١) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٨٢، ومسلم، برقم ٤١٠، وتقدم تخريجه.

(٢) أحمد في المسند، ٣٥٣/٤، ٣٥٦، ٣٨٢، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، برقم ٨٣٢، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب ما يجزئ من القراءة لمن لا يحسن القرآن، برقم ٩٢٤، وابن حبان، برقم ١٨٠٥-١٨٠٧، وصححه، والدارقطني وصححه، ٣١٣/١، والحاكم، ٢٤١/١، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب القراءة في الظهر، برقم ٧٥٩، واللفظ له، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، برقم ٤٥١.

الكتاب وسورة سورة، ويسمعنا الآية أحياناً^(١)، وأما صلاة الظهر خاصة فقد ثبت ما يدل على أنه ربما قرأ في الركعتين الآخرين زيادة مع سورة الفاتحة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نحزر^(٢) قيام رسول الله ﷺ في الظهر والعصر، فحزرنّا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر قراءة ﴿الم، تنزيل﴾ السجدة، وحزرنّا قيامه في الآخرين قدر النصف من ذلك، وحزرنّا قيامه في الركعتين الأوليين من العصر على قدر قيامه من الآخرين من الظهر، وفي الآخرين على النصف من ذلك». وفي لفظ: «كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية، وفي الآخرين قدر خمس عشرة آية [في كل ركعة] أو قال: نصف ذلك، وفي العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر قراءة خمس عشرة آية، وفي الآخرين قدر نصف ذلك»^(٣). وهذا الحديث يدل على أنه ﷺ كان يقرأ أحياناً بزيادة على الفاتحة في الركعتين الآخرين من الظهر^(٤). وعن سليمان بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت رجلاً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من فلان لإمام كان بالمدينة، قال سليمان بن يسار: فصليت خلفه فكان يطيل الأوليين من الظهر ويخفف الآخرين، ويخفف العصر، ويقرأ في الأوليين من المغرب بقصار المفصل، ويقرأ في الأوليين من العشاء من وسط المفصل، ويقرأ في الغداة بطوال المفصل»^(٥)، وربما طول النبي ﷺ القراءة في صلاة الظهر أكثر مما تقدّم؛

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب القراءة في صلاة العصر، برقم ٧٦٢.

(٢) نحزر: نقدر. انظر: المصباح المنير للفيومي، ١/١٣٣.

(٣) أخرجه مسلم، في كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، برقم ٤٥٢، وأحمد، ٨٥/٣، وما بين المعقوفين من مسند أحمد، ٨٥/٣.

(٤) انظر: نيل الأوطار للشوكاني، ١/٨٠٢.

(٥) النسائي بنحوه، كتاب الافتتاح، باب القراءة في المغرب بقصار المفصل، برقم ٩٨٣،

لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لقد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذهاب إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يتوضأ، ثم يأتي ورسول الله ﷺ في الركعة الأولى مما يطوّلها»^(١)، وثبت من حديث أبي ברزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ «كان يصلي الصبح وينصرف الرجل فيعرف جليسه، وكان يقرأ في الركعتين أو إحداهما ما بين الستين إلى المائة»^(٢)، وسمعت شيخنا الإمام عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يقول في القراءة في الصلوات الخمس: «الأفضل في الفجر من طوال المفصل»^(٣)، وفي الظهر والعصر والعشاء من أواسطه، وفي المغرب من قصاره؛ لفعل النبي ﷺ في الأغلب، ولا بأس أن يقرأ من قصاره في الصبح في السفر والمرض، لكن الأفضل ما تقدم؛ لحديث سليمان بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٤) عن النبي ﷺ^(٥).

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في قراءته ﷺ بعد الفاتحة: «فإذا فرغ من الفاتحة أخذ في سورة غيرها، وكان يطيلها تارة، ويخففها

= وأحمد واللفظ له، ٣٢٩/٢، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري وبلوغ المرام، انظر: نيل الأوطار، ٨١٣/١، وصحح إسناده الإمام ابن باز أثناء شرح الروض المربع، ٣٤/٢، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٢١٢/١، برقم ٩٣٩.

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، برقم ٤٥٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، برقم ٥٤٧، ومسلم، برقم ٦٤٧، وتقدم تخريجه.

(٣) حزب المفصل من سورة ق إلى سورة الناس، وطواله من ق إلى عم، وأواسطه منها إلى الضحى، والقصار إلى الآخر: انظر: حاشية الروض المربع لابن القاسم، ٣٤/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، قال في سورة ق: «هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل: من الحجرات، ٢٢١/٤.

(٤) النسائي، برقم ٩٨٣، وأحمد، ٣٢٩/٢، وتقدم تخريجه.

(٥) سمعته منه أثناء شرحه على الروض المربع، ٣٤/٢.

لعارض من سفر أو غيره، ويتوسط فيها غالباً»^(١). قلت: الأفضل في ذلك مراعاة فعل النبي ﷺ في جميع الأوقات، والأحوال، والأزمان^(٢).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٠٩/١.

(٢) فقد ثبت غير ما تقدم على النحو الآتي:

١- قرأ في صلاة المغرب بالمرسلات [البخاري، برقم ٧٦٣، ٤٤٢٩، ومسلم، برقم ٤٦٢] والأعراف [البخاري، برقم ٧٦٤]، والطور [البخاري، برقم ٧٦٥، ٣٠٥٠، ٤٠٢٣، ٤٨٥٤، ومسلم، برقم ٤٦٣]، والدخان [النسائي، برقم ٩٨٨، قال الأرناؤوط في تحقيقه لزاد المعاد، ٢١١/١: «ورجاله ثقات وسنده حسن»]، وقرأ بقصار المفصل [النسائي، برقم ٩٨٣، وذكر الألباني أن الطبراني في الكبير أخرج بإسناد صحيح أنه ﷺ قرأ بالأنفال في الركعتين [صفة الصلاة، ص ١١٥].

٢- وأما في العشاء، فنقل أبو هريرة: إذا السماء انشقت [البخاري، برقم ٧٦٦-٧٦٨] واليتين والزيتون من حديث البراء [البخاري، برقم ٧٦٧، ٧٦٩، ومسلم، برقم ٤٦٤] ووقت لمعاذ بسبح اسم ربك الأعلى، وقرأ باسم ربك، والليل إذا يغشى، والشمس وضحاها، والضحى، ونحو ذلك [مسلم، برقم ٤٦٥].

٣- وأما في الفجر فكان يقرأ في الركعتين أو إحداهما ما بين الستين إلى المائة [البخاري، برقم ٥٤٧، ومسلم، ٦٤٧] وتقدم تخريجه، وقرأ المؤمنون [البخاري، كتاب الأذان، باب الجمع بين سورتين في ركعة، والقراءة بالخواتيم، وبسورة قبل سورة، وبأول سورة، ومسلم، برقم ٤٥٥] وقرأ بسورة ق والقرآن المجيد [مسلم، برقم ٤٥٧-٤٥٨] وبسورة التكويد [مسلم، برقم ٤٥٦] وبسورة الروم [أحمد، ٤٧٢/٣، والنسائي، ١٥٦/٢، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «وهذا إسناد حسن، ومتن حسن»، وحسنه الأرناؤوط في تحقيقه لزاد المعاد، ٢٠٩/١] وقرأ بسورة إذا زلزلت في الركعتين كليهما [أبو داود، برقم ٨١٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٥٤/١]. وقرأ بسورة الطور في صلاة الصبح عند طواف الوداع لحجة الوداع [البخاري... تعليقاً]. وقرأ بالمعوذتين [أخرجه النسائي من حديث عقبة بن عامر ؓ، برقم ٩٥٢، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، برقم ٩١٢]، وقرأ بالواقعة ونحوها من السور [صحيح ابن خزيمة، ٢٦٥/١، برقم ٥٣١، وصحح إسناده الألباني في صفة الصلاة، ص ١٠٦]. وكان يقرأ في فجر الجمعة: الم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان [البخاري، برقم ٨٩١، ومسلم، برقم ٨٧٩].

٤- أما في صلاة الظهر فكان يُطَوَّلُها أحياناً لما تقدم، فيذهب الذهاب إلى البقيع فيقضي

= حاجته ثم يتوضأ ثم يدرك الركعة الأولى [مسلم، ٤٥٤، وتقدم]، وأحياناً يقرأ بقدر قراءة «ألم* تنزيل» السجدة في الركعتين الأوليين، وفي الركعتين الأخريين قدر النصف من ذلك، وأحياناً يقرأ في الركعتين الأوليين بقدر ثلاثين آية في كل ركعة، والركعتين الأخريين بقدر خمس عشرة آية في كل ركعة [مسلم، برقم ٤٥٢، وأحمد، ٨٥/٣]، وقرأ الليل إذا يغشى [مسلم، برقم ٤٥٩]، وسبح اسم ربك الأعلى [مسلم، برقم ٤٦٠]، وكان يقرأ بالسماء والطارق، والسماء ذات البروج، ونحوهما من السور [أبو داود، برقم ٨٠٥، والترمذي، برقم ٣٠٧، والنسائي، ١٦٦/٢، برقم ٩٧٩، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢١٢/١، برقم ٩٣٥]، وفي صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقون [مسلم، برقم ٨٧٩]، أو بسبح والغاشية [مسلم، برقم ٨٧٨]، أو بالجمعة والغاشية [مسلم، برقم ٦٣ (٨٧٨)].

٥- أما صلاة العصر فقد تقدم أنه قرأ في الأوليين بقدر نصف «ألم* تنزيل» السجدة، وفي لفظ أنه قرأ بقدر خمس عشرة آية في كل ركعة [مسلم، برقم ٤٥٢، وأحمد، ٨٥/٣. وتقدم]، وكان يقرأ بالسماء والطارق، والسماء ذات البروج ونحوهما من السور [أبو داود، برقم ٨٠٥ والترمذي، برقم ٣٠٧، والنسائي، برقم ٩٧٩، وتقدم]، وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - «والعصر فعلى النصف من قراءة الظهر إذا طالت، وبقدرها إذا قصرت» [زاد المعاد، ٢١٠/١].

٦- أما الأعياد فكان ﷺ يقرأ فيها بـ «ق» و«اقتربت» [مسلم، برقم ٨٩١]، أو بسبح والغاشية [مسلم، برقم ٨٧٨]، فهذه سنته ﷺ، ومع ذلك فقد أمر بالتخفيف؛ لأن في الناس: [الصغير، والكبير، والضعيف، والمريض، وذا الحاجة] [مسلم، برقم ٤٦٦]، «فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء» [مسلم، برقم ٤٦٧]، وقال ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه» [مسلم، برقم ٤٧٠]، فالتخفيف أمر نسبي يرجع إلى ما فعله النبي ﷺ وواظب عليه لا إلى شهوة المأمومين، وهديه الذي كان واظب عليه هو الحاكم على كل ما تنازع فيه المتنازعون، ويدل عليه ما رواه النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤثنا بالصفات» [النسائي، ٩٥/٢، برقم ٨٢٦]، وصححه الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٢١٤/١، قال ابن القيم - رحمه الله -: «الفقراء بالصفات من التخفيف الذي أمر به والله أعلم» ٢١٤/١. «وكان يطول الأوليين ويقصر الأخريين من كل صلاة» [البخاري، ٧٧٠، ومسلم، ٤٥٣].

عن السعدي عن أبيه أو عن عمه قال: رمقتُ النبي ﷺ في صلاته، فكان يتمكن في ركوعه وسجوده قدر ما يقول: «سبحان الله وبحمده ثلاثاً». أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب مقدار

١٢- إذا فرغ من القراءة كلها سكت سكتة بقدر ما يترادُّ إليه نفسه حتى لا يصل القراءة بالركوع، بخلاف السكتة الأولى قبل قراءة الفاتحة؛ فإنه يقرأ فيها دعاء الاستفتاح فتكون بقدره؛ لحديث الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ «أنه كان يسكت سكتتين: إذا استفتح الصلاة وإذا فرغ من القراءة كلها»^(١). قال الترمذي: «وهو قول غير واحد من أهل العلم يستحبون للإمام أن يسكت بعدما يفتح الصلاة، وبعد الفراغ من القراءة وبه يقول أحمد وإسحاق وأصحابنا»^(٢).

= الركوع والسجود، برقم ٨٨٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٢٥٠. وعن سعيد بن جبير قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما صليت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - قال: فحزرننا في ركوعه عشر تسبيحات، وفي سجوده عشر تسبيحات. سنن أبي داود، برقم ٨٩٦، والنسائي، برقم ١١٣٥، ٢/ ٢٢٤، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، ص ٧٢. وأحمد، برقم ١٢٦١، ٢٠/ ١٠٠، وضعفه المحققون، لكن قول أنس: «ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الغلام - يعني عمر بن عبد العزيز» روي بأسانيد يرتقي بعضها إلى الصحة. قاله المحققون لمسند أحمد، ٢٠/ ١٠٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٣٢٢ «ما صليت وراء إمام أشبه صلاة برسول الله ﷺ من إمامكم هذا» قال زيد بن أسلم: وكان عمر بن عبد العزيز يتم الركوع والسجود، ويخفف القيام والقعود.

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب السكتة عند الافتتاح، برقم ٧٧٨، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في السكتتين في الصلاة، برقم ٢٥١، وحسنه، وأحمد في المسند، ٢٣/ ٥، وقال الترمذي: قال محمد: قال علي بن عبد الله: «حديث الحسن عن سمرة حديث صحيح وقد سمع منه» ٣٤٢/ ١، وقال الإمام ابن القيم بعد أن ذكر الخلاف في موضع السكتتين هل أحدهما بعد ولا الضالين أم أنها بعد الفراغ من القراءة كلها، أم أنها ثلاث سكتات؟ قال: «وقد صح حديث السكتتين من رواية سمرة، وأبي بن كعب، وعمران بن حصين» زاد المعاد، ٢٠٨/ ١، وقال أحمد محمد شاكر في تحقيقه لسنن الترمذي، ١٤٣/ ١: «وفي سماع الحسن عن سمرة خلاف طويل قديم والصحيح أنه سمع منه كما رجَّحه ابن المديني، والبخاري، والترمذي، والحاكم وغيرهم».

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية ٣٣٨/ ٢٢ وقال: «لا يُسْتَحَبُّ إلا سكتتان» وذكر أن الأولى =

١٣- يركع مكبراً رافعاً يديه إلى حذو منكبيه، أو أذنيه، جاعلاً رأسه حيال ظهره، واضعاً يديه على ركبتيه، مفرقاً أصابع يديه؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المسيء صلاته وفيه: «ثم اركع حتى تطمئن راکعاً»^(٢)؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع»^(٣)، وفي لفظ: «إنه كان يصلي بهم فيكبر كلما خفض ورفع فإذا انصرف قال: إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ»^(٤)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة، وإذا كبر للركوع...»^(٥)، وفي حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «كان إذا كبر رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه وإذا ركع رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه»^(٦)؛ ولحديث عائشة رضي الله عنها: «وكان إذا ركع لم

= للاستفتاح، والثانية عند الفراغ من القراءة للاستراحة والفصل بينها وبين الركوع، وأما السكوت عقب الفاتحة فلا يستحبته أحمد والجمهور. وذكر الإمام ابن باز في مجموع فتاويه ١١/ ٨٤ أن الثابت سكتتان: الأولى تسمى سكتة الاستفتاح، والثانية عند آخر القراءة قبل الركوع، وأما الثالثة بعد الفاتحة فالحديث فيها ضعيف فالأفضل تركها.

(١) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٢) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٥٧، ومسلم، برقم ٣٩٧، وتقدم تخريجه.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع إلا رفعه من الركوع فيقول فيه: «سمع الله لمن حمده» برقم ٣٩٢.

(٤) البخاري، برقم ٧٨٥، ومسلم، برقم ٣٩٢، وتقدم تخريجه.

(٥) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٣٥، ومسلم، برقم ٣٩٠، وتقدم تخريجه.

(٦) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٣٧، ومسلم، برقم ٣٩١، وتقدم تخريجه.

يشخص رأسه^(١) ولم يصوّبه ولكن بين ذلك»^(٢)؛ ولحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنه قال لنفر من أصحاب النبي ﷺ: «أنا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ﷺ، رأيته إذا كبر جعل يديه حذو منكبيه، وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه [وفرّج بين أصابعه] ثم هصر^(٣) ظهره...»^(٤). وفي لفظ: «ثم ركع فوضع يديه على ركبتيه، كأنه قابض عليهما، ووثر^(٥) يديه فتجافى عن جنبيه...»^(٦). وفي حديث رفاع بن رافع عن النبي ﷺ: «وإذا ركعت فضع راحتك على ركبتيك وامدد ظهرك»^(٧)، وعن ابصة بن معبد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي، فكان إذا ركع سوّى ظهره حتى لو صُبّ عليه الماء لاستقرّ»^(٨). ويطمئن في ركوعه؛ لقول حذيفة رضي الله عنه لرجل

(١) لم يشخص رأسه: الإشخاص هو الرفع، ولم يصوّبه: أي لم يخفضه خفضاً بليغاً ولكن بين ذلك: أي بين الرفع والخفض.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتح به ويختم به، وصفة الركوع والاعتدال منه... برقم ٤٩٨.

(٣) هصر ظهره: أي ثناه إلى الأرض، النهاية، ٢٦٤/٥.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، برقم ٨٢٨، وما بين المعقوفين لأبي داود في سننه، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٧٣١ ورقم ٧٣٠ وفي أوله عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت أبا حميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٤١.

(٥) ووثر يديه: أي عوّجهما من التوتير وهو جعل الوثر على القوس، فتجافى عن جنبيه: أي نحى مرفقيه عن جنبيه حتى كأن يديه على الوتر وجنبه كالقوس. عون المعبود، ٢/٤٢٩.

(٦) أبو داود، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٧٣٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٤١. ورواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أنه يجافي يديه عن جنبيه في الركوع، برقم ٢٦٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١/٨٣.

(٧) أبو داود، كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، برقم ٨٥٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٧٦٥، ١/١٦٢.

(٨) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، برقم ٨٧٢، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢/١٢٣، وعزاه للطبراني في الكبير وأبي يعلى وقال: رجاله موثقون.

رآه لا يتمُّ الركوع والسجود، فقال له: «ما صَلَّيْتُ، ولو مُتَّ مُتَّ على غير الفطرة التي فطر الله [عليها] محمداً ﷺ»^(١)، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «كان ركوع النبي ﷺ، وسجوده، وقعوده بين السجدين، وإذا رفع رأسه من الركوع ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء»^(٢).

١٤- يقول في الركوع: «سبحان ربي العظيم» والأفضل [ثلاثاً]؛ لحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» وفي سجوده «سبحان ربي الأعلى»^(٣)، وفي رواية: «سبحان ربي العظيم» ثلاث مرات، وإذا سجد قال: «سبحان ربي الأعلى» ثلاث مرات^(٤)، وإن شاء زاد على ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن^(٥).

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب إذا لم يتم الركوع، برقم ٧٩١، ورواه برقم ٣٨٩، و٨٠٨، وما بين المعقوفين للكشميهني كما في فتح الباري، ٢/٢٧٥.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب: وحد إتمام الركوع والاعتدال فيه والطمأنينة، برقم ٧٩٢، وباب المكث بين السجدين، برقم ٨٢٠، ورواه برقم ٨٠١، و٨٢٠، ومسلم، كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفهما في تمام برقم ٤٧١.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢، وأبو داود بلفظه في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧١.

(٤) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، برقم ٨٨٨، وصحح الألباني هذه الزيادة لشواهدا الكثيرة عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ فعلاً وقولاً. انظر: إرواء الغليل، ٢/٣٩-٤٠، وصفة صلاة النبي ﷺ للألباني، ص ١٣٦، وصحيح سنن ابن ماجه، ١/١٤٧.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع، برقم ٧٩٤، و٨١٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٤.

ثانياً: وقالت رضي الله عنها: كان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

ثالثاً: وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك^(٢).

رابعاً: وفي حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ إذا ركع قال: «اللهم لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خَشَعْتُ لكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي»^(٣).

ونهى النبي ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود فقال: «ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، وأما الركوع فعظموا فيه الرب ﷻ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن^(٤) أن يستجاب لكم»^(٥).

١٥- يرفع رأسه من الركوع^(٦) رافعاً يديه حذو منكبيه أو أذنيه^(٧) قائلاً: سمع الله لمن حمده - إذا كان إماماً أو منفرداً - ويقولان بعد قيامهما: «ربنا

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٧.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٨٣، والنسائي، كتاب الإمامة، باب نوع آخر من الذكر في الركوع، برقم ١٠٤٩، وصححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود، ١/١٦٦.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ بالليل، برقم ٧٧١.

(٤) قمن: أي حقيق وجدير.

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩.

(٦) لقوله ﷺ في حديث المسبيء صلاته: «ثم ارفع حتى تعدل قائماً» البخاري، برقم ٧٥٧، ومسلم، برقم ١٣٩٧.

(٧) لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما البخاري، برقم ٧٣٥، ومسلم، برقم ٣٩٠، ولحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه، البخاري، برقم ٧٣٧، ومسلم، برقم ٣٩١، وتقدم تخريجهما.

ولك الحمد»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قال: «سمع الله لمن حمده» قال: «اللهم ربنا ولك الحمد» ^(١). أما إن كان مأموماً فإنه يقول عند الرفع: «ربنا ولك الحمد»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد؛ فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» ^(٢). وقوله: «اللهم ربنا لك الحمد» ثبت لها أربعة أنواع:

النوع الأول: «ربنا لك الحمد» لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: «ربنا لك الحمد» ^(٣).

النوع الثاني: «ربنا ولك الحمد»؛ لحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائماً فصلوا قياماً، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد» ^(٤).

النوع الثالث: «اللهم ربنا لك الحمد»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٧٩٥.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا لك الحمد، برقم ٧٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤٠٩.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع، برقم ٣٩٢.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب إيجاب التكبير وافتتاح الصلاة، برقم ٧٣٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب اتمام المأموم بالإمام، برقم ٤١١.

لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة عُفِّرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(١).

النوع الرابع: «اللهم ربَّنَا ولك الحمد»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قال: سمع الله لمن حمده، قال: «اللهم ربنا ولك الحمد»^(٢)، فالأفضل أن يقول هذا تارة، وهذا تارة، وهذا تارة، وهذا تارة؛ لشوته عن النبي ﷺ، والأفضل للإمام والمنفرد والمأموم أن يزيدوا بعد: «ربنا ولك الحمد» فيقولوا: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه»^(٣) «ملء السموات، وملء الأرض، [وما بينهما] وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» «اللهم طهِّرني بالثلج، والبرَد، والماء البارد، اللهم طهِّرني من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الوسخ»^(٤)، «لربي الحمد» يكررها؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه يرفعه: «ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحواً من ركوعه يقول: (لربي الحمد)»^(٥).

(١) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٩٦، ومسلم، برقم ٤٠٩، وتقدم تخريجه.

(٢) البخاري، برقم ٩٥، وتقدم تخريجه.

(٣) لحديث رفاع بن رافع رضي الله عنه قال: كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال من المتكلم؟ قال: أنا. قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول» البخاري، كتاب الأذان، باب حدثنا معاذ بن فضالة، برقم ٧٩٩.

(٤) وفي لفظ: «من الدرن» وفي لفظ: «من الدنس».

(٥) لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض. الحديث أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٤٧٧، وقوله «وما بينهما» زيادة لابن عباس رضي الله عنهما في صحيح مسلم، برقم ٤٧٨.

(٦) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٦٦.

والأفضل للإمام والمنفرد والمأموم أن يضع كل منهم يده اليمنى على اليسرى على صدره بعد الرفع من الركوع كما فعل في قيامه قبل الركوع؛ لحديث وائل رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ إذا كان قائماً في الصلاة قبض بيمينه على شماله»^(١).

ويطمئن في قيامه بعد الرفع من الركوع، فعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: إني لا آلو أن أصلي بكم كما رأيت رسول الله ﷺ يصلي بنا، قال: فكان أنس يصنع شيئاً لا أراكم تصنعونه، كان إذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائماً، حتى يقول القائل قد نسي، وإذا رفع رأسه من السجدة مكث حتى يقول القائل قد نسي^(٢). ويقول في هذا الركن الأذكار المشروعة سوى ما تقدم إذا شاء^(٣).

١٦- يسجد مكبراً، واضعاً ركبتيه قبل يديه إذا تيسر ذلك، فإن شقَّ عليه قدّم يديه قبل ركبتيه، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤)؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المسيء صلاته: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً»^(٥)؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «ثم يكبر حين يهوي ساجداً»^(٦)؛ ولحديث

(١) النسائي، برقم ٨٨٧ وتقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب المكث بين السجدين، برقم ٨٢١، ومسلم، كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام، برقم ٤٧٢.

(٣) هناك أذكار أخرى لم تذكر، انظر: صحيح مسلم، برقم ١٧٦ برواياته، وسنن أبي داود، برقم ٨٧٤، وصفة الصلاة للألباني، ص ١٤١-١٤٤.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٥) البخاري، برقم ٧٥٧، وتقدم تخريجه.

(٦) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٨٩، ومسلم، برقم ٣٩٢، وتقدم تخريجه.

وإثـل بن حـُجـرٍ ؓ قال: «رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه، وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه»^(١). ويستقبل بأصابع يديه ورجليه القبلة؛ لحديث أبي حميد الساعدي ؓ وفيه: «فإذا سجد وضع يديه غير مفترشٍ ولا قابضهما، واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة»^(٢)، ويضمُّ أصابع يديه ويمدّها؛ لحديث علقمة بن واثلة عن أبيه: أن النبي ﷺ كان إذا سجد ضمَّ أصابعه^(٣)؛ ولحديث وائل ؓ أن النبي ﷺ «كان إذا ركع فرَّج بين أصابعه وإذا سجد ضمَّ أصابعه»^(٤)؛ ولحديث أبي حميد، وفيه:

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب كيف يضع ركبتيه قبل يديه، برقم ٨٣٨، و٨٣٩، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في وضع الركبتين قبل اليدين، برقم ٢٦٨، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب أول ما يصل من الإنسان في سجوده، برقم ١٠٨٩، وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، برقم ٨٨٢، وابن خزيمة، برقم ٦٢٦، والحاكم، ٢٢٦/١، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «هذا هو الصحيح الذي رواه شريك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر...» وأما حديث أبي هريرة يرفعه: «إذا سجد أحدكم فلا يترك كما يترك البعير، وليضع يديه قبل ركبتيه» [رواه أبو داود، برقم ٨٤٠، والنسائي، برقم ١٠٩١، والترمذي، برقم ٢٦٩، وأحمد، ٣٨١/٢]، فالحديث والله أعلم قد وقع فيه وهم من بعض الرواة؛ فإن أوله يخالف آخره؛ فإنه إذا وضع يديه قبل ركبتيه فقد ترك كما يترك البعير؛ فإن البعير إنما يضع يديه أولاً؛ زاد المعاد، ٢٢٣/١-٢٣١، وسمعت الإمام العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه لبلوغ المرام، الحديث رقم ٣٣٠ يقول: «كثير الكلام في هذا والأرجح ما قاله ابن القيم، وهو تقديم الركبتين؛ لحديث وائل بن حجر ويتأيد بأول حديث أبي هريرة، فلو قدم يديه لوافق البعير، ولعله وقع وهم فقال الراوي: وليضع يديه قبل ركبتيه، وأن أصله: وليضع ركبتيه قبل يديه وهذا هو أظهر وأقرب... وهو من باب السنن وعليه كثير من الصحابة، وهو قول الأكثرين». واختار هذا القول العلامة ابن عثيمين في الشرح الممتع، ١٥٤-١٥٩، وانظر: فتاوى ابن تيمية، ٤٤٩/٢٢.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، برقم ٨٢٨.

(٣) صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب ضم أصابع اليدين في السجود، برقم ٦٤٢.

(٤) أخرجه الحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ٢٢٤/١.

«واستقبل بأطراف أصابعه القبلة»^(١)، ويفتح أصابع رجليه؛ لحديث أبي حميد وفيه: «ثم جافى عضديه عن جنبيه وفتح أصابع رجليه»^(٢)، ويكون سجوده على أعضائه السبعة: الجبهة مع الأنف، واليدين، والركبتين، وبطن أصابع الرجلين؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة - وأشار بيده على أنفه - واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب والشعر» وفي لفظ لمسلم: «ولا أكف ثوباً ولا شعراً»^(٣)، ويجافي عضديه عن جنبيه؛ لحديث عبد الله بن مالك بن بُحينة أن النبي ﷺ «كان إذا صلى فرَّج بين يديه حتى يبدو بياض إبطيه»^(٤)، ويجافي بطنه عن فخذه، وفخذه عن ساقه، ويفرَّج بين فخذه؛ لحديث أبي حميد رضي الله عنه وفيه: «وإذا سجد فرَّج بين فخذه، غير حامل بطنه على شيء من فخذه»^(٥)، ويجعل كفيه حذو منكبيه؛ لحديث أبي حميد رضي الله عنه وفيه: «ثم سجد فأمكن أنفه وجبهته، ونحى يديه عن جنبيه ووضع كفيه حذو

(١) صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب استقبال أطراف أصابع اليدين من القبلة في السجود، برقم ٦٤٣.

(٢) ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فتح أصابع الرجلين في السجود والاستقبال بأطرافهن القبلة، برقم ٦٥١، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٧٣٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، برقم ٨١٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقصر الرأس في الصلاة، برقم ٤٩٠.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب: بيدي ضبعيه ويجافي في السجود، برقم ٨٠٧، مسلم، كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود، ووضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين عن الجنين، ورفع البطن عن الفخذين في السجود، برقم ٤٩٥.

(٥) أبو داود، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٧٣٥.

منكبيه»^(١)، أو يجعلهما حذو أذنيه؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه وفيه: «ثم سجد فجعل كفيه بحذاء أذنيه»^(٢)، وهو مثل حديث البراء عندما سئل: أين كان النبي ﷺ يضع وجهه إذا سجد؟ فقال: «بين كفيه»^(٣)، ويرفع ذراعيه عن الأرض؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»^(٤)؛ ولحديث البراء رضي الله عنه يرفعه: «إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك»^(٥). ويضم قدميه؛ لحديث عائشة رضي الله عنها وفيه: «فوجدته ساجداً راضاً عقيبه مستقبلاً بأطراف أصابعه القبلة»^(٦)، وينصبهما؛ لحديث عائشة رضي الله عنها وفيه: «فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه [وفي نسخة قدميه] وهو في المسجد، وهما منصوبتان»^(٧).

١٧- يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى» والأفضل ثلاثاً؛

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٧٣٤، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في السجود على الجبهة والأنف، برقم ٢٧٠، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٤٢/١.

(٢) النسائي، كتاب الافتتاح، باب موضع اليمين من الشمال في الصلاة، برقم ٨٨٩، صححه الألباني في صحيح النسائي، ١٩٤/١.

(٣) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أين يضع الرجل وجهه إذا سجد، برقم ٢٧١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٨٦/١.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب لا يفتش ذراعيه في السجود، برقم ٨٢٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود، برقم ٤٩٣.

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود ووضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين عن الجنين ورفع البطن عن الفخذين في السجود، برقم ٤٩٤.

(٦) صحيح ابن خزيمة، برقم ٦٥٤، والبيهقي، ١١٦/٢، قال المحقق: إسناده صحيح.

(٧) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٦.

لحديث حذيفة رضي الله عنه ^(١)، وإن شاء زاد على ذلك ما ثبت في الأحاديث الأخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» لحديث عائشة رضي الله عنها ^(٢).

ثانياً: «سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»؛ لحديث عائشة رضي الله عنها ^(٣).

ثالثاً: «سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة» ^(٤).

رابعاً: «اللهم لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجد وجهي للذي خلقه وصوّره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»؛ لحديث علي رضي الله عنه ^(٥).

خامساً: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»؛ لحديث عائشة رضي الله عنها ^(٦).

سادساً: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجلّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك في سجوده ^(٧).

ويكثر من الدعاء في السجود، ويسأل ربه من خير: الدنيا،

(١) مسلم، برقم ٧٧٢ وابن ماجه، برقم ٨٨٨، وتقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤، وتقدم تخريجه.

(٣) مسلم، برقم ٤٨٧، وتقدم تخريجه.

(٤) أبو داود، برقم ٨٨٣، والنسائي، برقم ١٠٤٩، وتقدم تخريجه.

(٥) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم ٧٧١.

(٦) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٦.

(٧) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٣.

والآخرة، سواءً كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»^(١)؛ ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «أما الركوع فعظموا فيه الرب ﻋَظِمْ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»^(٢).

١٨- يرفع رأسه من السجود مكبراً، ويعتدل جالساً؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المسيء صلاته، وفيه: «ثم ارفع حتى تطمئن جالساً»^(٣)؛ ولحديثه ﷺ وفيه: «ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود»^(٤)، ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها، وينصب اليمنى ويستقبل بأصابعه القبلة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها وفيه: «وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى»^(٥)؛ ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «من سنة الصلاة أن تنصب القدم اليمنى واستقبله بأصابعه القبلة، والجلوس على اليسرى»^(٦)، ويضع يديه على فخذه؛ لحديث عبد الله بن الزبير عن أبيه رضي الله عنهما يرفعه، وفيه: «كان رسول الله ﷺ إذا قعد يدعو، وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويده اليسرى على فخذه اليسرى»^(٧)، أو يضع كفيه على ركبتيه؛

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٢.

(٢) مسلم، برقم ٤٧٩، وتقدم تخريجه.

(٣) البخاري، برقم ٧٥٧، وتقدم تخريجه.

(٤) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٨٩، و٨٠٣، ومسلم، برقم ٣٩٦، وتقدم تخريجه.

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة، برقم ٤٩٨.

(٦) النسائي، كتاب الافتتاح، باب الاستقبال بأطراف أصابع القدم القبلة عند القعود للتشهد، برقم ١١٥٨، وأبو داود في الصلاة، باب كيف الجلوس في التشهد، برقم ٩٥٨، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/٢٣.

(٧) مسلم، كتاب المساجد، باب صفة الجلوس في الصلاة وكيفية وضع اليدين على الفخذين، برقم ١١٣- (٥٧٩).

لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «أن النبي ﷺ كان إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه»^(١)، أو يضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويده اليسرى على فخذه اليسرى ويلقم كفه اليسرى ركبته»؛ لحدث عبد الله بن الزبير عن أبيه رضي الله عنهما^(٢)، فعلى هذا حصل ثلاث صفات لوضع الكفين هي:

أولاً: الكف اليمنى على الفخذ اليمنى، واليسرى على اليسرى.

ثانياً: الكف اليمنى على الركبة اليمنى، واليسرى على اليسرى.

ثالثاً: الكف اليمنى على الفخذ اليمنى، واليسرى على الفخذ اليسرى، ويلقم كفه اليسرى ركبته^(٣).

أما كيفية: وضع الكفين؛ فإنه يبسط يده اليسرى؛ لحدث ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه، وفيه: «ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها»^(٤)، ويضع ذراعيه على فخذه؛ لحدث وائل بن حجر رضي الله عنه يرفعه، وفيه: «وضع ذراعيه على فخذه»^(٥)، أما اليد اليمنى فيقبض منها الخنصر

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب صفة الجلوس في الصلاة وكيفية وضع اليدين على الفخذين، برقم ١١٤-٥٨٠.

(٢) مسلم، برقم ١١٣-٥٧٩، وتقدم تخريجه في الحاشية التي قبل السابقة.

(٣) وسمعت سماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يقول: «جاء عن النبي ﷺ أنه وضعهما على فخذه، ووضعهما على ركبتيه، ووضعهما على فخذه وأطراف أصابعه على ركبتيه» سمعته منه أثناء شرحه للروض المربع بالجامع الكبير في فجر الأحد ١٤١٩/٨/٣هـ.

(٤) النسائي، كتاب السهو، باب بسط اليسرى على الركبة، برقم ١٢٦٩، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٧٢/١.

(٥) النسائي، كتاب السهو، باب موضع الذراعين، برقم ١٢٦٤، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي، ٢٧٠/١.

والبنصر ويحلّق الإبهام مع الوسطى، ويجعل حد مرفقه الأيمن على فخذة اليمنى؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه يرفعه، وفيه: «فاستقبل القبلة فكبر فرفع يديه حتى حاذتا أذنيه، ثم أخذ شماله بيمينه، فلما أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك ووضع يديه على ركبتيه، فلما رفع رأسه من الركوع رفعهما مثل ذلك، فلما سجد وضع رأسه بذلك المنزل من يديه، ثم جلس فافترش رجله اليسرى ووضع يده اليسرى على فخذة اليسرى، وحدّ مرفقه الأيمن على فخذة اليمنى، وقبض اثنتين وحلّق حلقة - ورأيته يقول: هكذا - وأشار بشر بالسبابة من اليمنى وحلق الإبهام والوسطى»^(١)، وهذا اختيار الإمام ابن القيم - رحمه الله -^(٢) أن المصلي يفعل هذه الصفة بين السجدين^(٣).

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الصلاة، برقم ٧٢٦، ورقم ٩٥٧، والنسائي، كتاب السهو، باب موضع المرفقين، برقم ١٢٦٥، وأحمد في المسند، ٣١٨/٤، وابن حبان «موارد» برقم ٤٨٥، وابن خزيمة في صحيحه، ٣٥٤/١، برقم ٧١٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٤٠/١ و ١٨٠، وصحيح سنن النسائي، ٢٧٠/١، وأخرجه أيضاً ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، برقم ٩١٢.

(٢) زاد المعاد، ٢٣٨/١.

(٣) قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: «ولم يرد في السنة لا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا حسن أن اليد اليمنى تكون مبسوطة على الرجل اليمنى، وإنما ورد أنها تقبض: يقبض الخنصر والبنصر ويحلّق الإبهام مع الوسطى... إذا جلس في الصلاة [مسلم برقم ٥٨٠]، وفي بعض الألفاظ إذا جلس في التشهد [مسلم، برقم ٥٨٠]، وكلاهما في صحيح مسلم، فنحن إذا أخذنا كلمة «إذا جلس في الصلاة» قلنا: هذا عام في جميع الجلسات، وقوله: «إذا جلس في التشهد» في بعض الألفاظ لا يدل على التخصيص؛ لأن لدينا قاعدة ذكرها الأصوليون، وممن كان يذكرها دائماً الشوكاني في نيل الأوطار، والشنقيطي في أضواء البيان: أنه إذا ذكر بعض أفراد العام بحكم يطابق العام فإن ذلك لا يدل على التخصيص، إنما التخصيص أن يذكر بعض أفراد العام بحكم يخالف العام» الشرح الممتع، ١٧٨/٣.

١٩- يقول بين السجدين: «رَبِّ اغْفِرْ لي، رَبِّ اغْفِرْ لي»؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه يرفعه: «وكان يقعد بين السجدين نحواً من سجوده وكان يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لي، رَبِّ اغْفِرْ لي»^(١). وإن شاء زاد على ذلك فقال: «اللهم اغفر لي، وارحمني [وعافني، واهدني] واجبرني، وارزقني، وارفعني»؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدين: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني»^(٢)، ولفظ ابن ماجه: «رَبِّ اغْفِرْ لي، وارحمني، واجبرني، وارزقني، وارفعني»^(٣).

وكان النبي ﷺ يطيل هذا الركن بقدر السجود^(٤)؛ لحديث البراء رضي الله عنه قال: «كان ركوع النبي ﷺ وسجوده، وبين السجدين، وإذا رفع رأسه من

= قلت: وسمعت الإمام شيخنا عبد العزيز ابن باز يذكر أن السبابة يحركها عند الدعاء فقط أما في غير الدعاء فلا يحركها، وبين السجدين يبسطها ولا يشير، أما رواية أنه كان يشير بين السجدين فالأقرب والله أعلم أنها وهم؛ لأن الأحاديث الصحيحة أنه كان يضعها على فخذه أو على ركبته ممدودة، ولو أنه أشار بين السجدين لحديث وائل لا حرج، لكن الأقرب عندي أنه وهم؛ لأن الأحاديث الصحيحة فيها البسط في التشهد، أما بين السجدين فيبسطها أيضاً ولا يشير أما في التشهد فيبسطها ويشير، وفي النسائي حديث فيه بعض الضعف أنه كان يبسطها لكن بانحناء قليل والأمر في هذا سهل» سمعته منه - رحمه الله - أثناء شرحه لبلوغ المرام، الحديث رقم ٢٨٢.

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقول بين السجدين، برقم ٨٩٧، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٣٣٥، وصحيح سنن ابن ماجه، ١/١٤٨.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بين السجدين، برقم ٨٥٠.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما يقول بين السجدين، برقم ٨٩٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٦٠، وصحيح سنن ابن ماجه، ١/١٤٨.

(٤) انظر: زاد المعاد لابن القيم، ١/٢٣٩.

الركوع، ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء»^(١).

٢٠- يسجد السجدة الثانية مكبراً، ويفعل فيها كما فعل في السجدة الأولى؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المصلي صلاته: «ثم اسجد حتى تَطْمِئَنَّ ساجداً، ثم ارفع حتى تَطْمِئَنَّ جالساً، ثم اسجد حتى تَطْمِئَنَّ ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»^(٢)؛ ولحديثه رضي الله عنه وفيه: «ثم يُكَبِّرُ حين يَهْوِي ساجداً، ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود، ثم يُكَبِّرُ حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها، حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الشتين بعد الجلوس»^(٣).

٢١- يرفع رأسه مكبراً، ويجلس جلسة خفيفة تسمى جلسة الاستراحة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المصلي صلاته وفيه: «ثم اسجد حتى تَطْمِئَنَّ ساجداً، ثم ارفع حتى تَطْمِئَنَّ جالساً، ثم اسجد حتى تَطْمِئَنَّ ساجداً، ثم ارفع حتى تَطْمِئَنَّ جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»، قال أبو أسامة في الأخير: «حتى تستوي قائماً»^(٤)؛ ولحديثه الآخر، وفيه: «ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الشتين بعد الجلوس»^(٥)، أما جلسة الاستراحة؛ فلحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فإذا

(١) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٩٢، ومسلم، برقم ٤٧١، وتقدم تخريجه.

(٢) البخاري، برقم ٧٩٣، وتقدم تخريجه.

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٨٩، ومسلم، برقم ٣٩٦، وتقدم تخريجه.

(٤) البخاري، برقم ٦٢٥١، وتقدم تخريجه، وقد جاء لفظ الحديث عند القيام من السجدة الثانية في رواية أخرى: «ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» البخاري، برقم ٦٦٦٧.

(٥) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٨٩، ومسلم، برقم ٣٩٦، وتقدم تخريجه.

كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوي قاعداً^(١)، وجاءت جلسة الاستراحة في لفظ آخر من حديث مالك: «أنه صلى بأصحابه، فكان يجلس إذا رفع رأسه من السجود قبل أن ينهض في الركعة الأولى»^(٢). وقد ذكرت هذه القعدة في بعض ألفاظ رواية حديث المسيء صلاته، ولفظها: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»^(٣)، وجاءت هذه الجلسة من حديث أبي حميد وفيه: «ثم يهوي إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبه، ثم يرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجله إذا سجد، ثم يسجد، ثم يقول: الله أكبر، ويرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها، حتى يرجع كل عظم إلى موضعه»^(٤)، ثم يصنع في الأخرى

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب من استوى قاعداً في وتر من صلاته ثم نهض، برقم ٨٢٣، وفي لفظ للبخاري: «وإذا رفع رأسه من السجدة الثانية جلس واعتمد على الأرض ثم قام» برقم ٨٢٤.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، من صلى بالناس وهو لا يريد إلا أن يعلمهم صلاة النبي ﷺ وسنته، برقم ٦٧٧.

(٣) البخاري، برقم ٦٢٥، وتقدم تخريجه.

(٤) وسمعت الإمام العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه لبلوغ المرام، الحديث رقم ٣٢٣، يقول: «تنازع الناس في هذا، قوم قالوا محمولة على أنه لما ثقل، أو لأسباب أخرى كالمرض. وقال آخرون بل هي سنة؛ لأن الحديث صحيح ولا وجه للعدول عنه، وهذا أظهر؛ لأن الأصل فيما يخبر به عنه ﷺ في الصلاة سنة من سنن الصلاة، فلا يقيد، فتقيدها بالثقل أو المرض يحتاج إلى دليل. وهناك حجة ثانية لجلسة الاستراحة، وهو ما ثبت عند أحمد وأبي داود وغيرهما بإسناد جيد عن أبي حميد الساعدي أنه ذكر صلاة النبي ﷺ يوماً في عشرة من الصحابة وذكر جلسة الاستراحة، فلما فرغ صدقوه، فهذه الجلسة ثبتت عن اثني عشر إن كان أبو حميد الحادي عشر، وإذا كان هو العاشر فثبتت عن أحد عشر صحابياً مع رواية مالك بن الحويرث، وصفة هذه

مثل ذلك»^(١).

٢٢- ينهض على صدور قدميه وركبتيه مكبراً قائماً إلى الركعة الثانية، معتمداً على فخذه إن تيسر له ذلك؛ لحديث وائل وفيه: «وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه»^(٢)، وإن شقَّ عليه اعتمد على الأرض؛ لحديث مالك بن الحويرث، وفيه: «وإذا رفع رأسه من السجدة الثانية جلس واعتمد على الأرض ثم قام»^(٣).

٢٣- يصلي الركعة الثانية كالأولى؛ لقوله ﷺ للمسيء صلاته: «ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»^(٤) إلا في خمسة أمور:

الأمر الأول: تكبيرة الإحرام، فلا يكبر تكبيرة الإحرام؛ لأنها للدخول في الصلاة.

الأمر الثاني: السكوت فلا يسكت في الركعة الثانية؛ لحديث أبي هريرة ؓ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نهض للركعة الثانية استفتح القراءة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يسكت»^(٥).

= الجلسة: هي جلسة خفيفة مثل الجلسة بين السجدين، ليس فيها ذكر ولا دعاء». قلت: وقد جاءت هذه الجلسة عن صحابي آخر وهو أبو هريرة ؓ في بعض روايات البخاري لحديث المسيء صلاته، برقم ٦٢٥، وتقدم تخريجه، وانظر: سبل السلام للصنعاني، ٢/٢٩٢.

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٧٣٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٤٠، وجلسة الاستراحة عند القيام للركعة الثانية والرابعة.

(٢) أبو داود، برقم ٨٣٨، والترمذي، برقم ٢٦٨، والنسائي، برقم ١٠٨٩، وابن ماجه، برقم ٨٨٢ وغيرهم، وتقدم تخريجه.

(٣) البخاري، برقم ٨٢٤، وتقدم تخريجه.

(٤) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٩٣، ومسلم، برقم ٣٩٧، وتقدم تخريجه.

(٥) مسلم، كتاب المساجد، باب ما يقول بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٥٩٩.

الأمر الثالث: الاستفتاح، فلا يستفتح في الركعة الثانية؛ لأن الاستفتاح تفتح به الصلاة بعد تكبيرة الإحرام؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا نهض للركعة الثانية استفتح القراءة بـ«الحمد لله رب العالمين»^(١).

الأمر الرابع: لا يُطوّلها كالأولى؛ بل تكون أقصر من الأولى في كل صلاة؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه وفيه: «يُطوّل في الأولى ويُقصر في الثانية»^(٢). وكان ﷺ يُطوّل الأولين ويُقصر الآخرين من كل صلاة^(٣).

الأمر الخامس: لا يجدد النية؛ للاكتفاء باستصحابها؛ لأنه لو نوى الدخول بنية جديدة في الركعة الثانية لبطلت الركعة الأولى لقطعه استصحاب النية^(٤). أما التعوذ فقليل: يشرع في كل ركعة؛ لأنه حال بين القراءتين أذكار وأفعال فيستعيز بالله من الشيطان الرجيم في كل ركعة؛ ولقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٥)، وهذا هو الأفضل^(٦)، وقيل: تختص الاستعاذة بالركعة

(١) مسلم، برقم ٥٩٩، وتقدم تخريجه في الحاشية السابقة.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح، برقم ٤٥١.

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ٧٧٠، ومسلم، برقم ٤٥٣.

(٤) انظر: حاشية الروض المربع، للعلامة عبد الرحمن القاسم، ٦٢/٢، والشرح الممتع للعلامة ابن عثيمين، ١٩٦/٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٦) واختار هذا القول شيخ الإسلام في الاختيارات الفقهية، ص ٥٠ فقال: «ويستحب التعوذ أول كل قراءة»، وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه للروض المربع، ٦٢/٢، فجر الأحد ١٤١٩/٨/٣هـ في الجامع الكبير في مدينة الرياض، يقول: «الأفضل أن يتعوذ في كل ركعة هذا هو الأفضل لعموم الأدلة، وإن اكتفى بالتعوذ في الأولى فلا حرج، والأفضل أن يتعوذ في كل ركعة حتى لو تعوذ في الأولى»، وقال العلامة المرداوي في الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: «قلت: وهو الأصح دليلاً»

الأولى؛ لأن الصلاة جملة واحدة لم يتخلل القراءتين فيها سكوت، بل ذكر، فالقراءة فيها كلها كالقراءة الواحدة فيكفي فيها استعاذة واحدة^(١)، إلا إذا لم يستعد في الركعة الأولى فيتعوذ في الثانية^(٢).

وأما البسملة فتستحب في كل ركعة؛ لأنها تستفتح بها السورة^(٣).

٢٤- إذا كانت الصلاة ثنائية: أي ركعتين: كصلاة الفجر، والجمعة، والعيدين، جلس للشاهد بعد فراغه من السجدة الثانية من الركعة الثانية، ناصباً رجله اليمنى، مفترشاً رجله اليسرى؛ لحديث أبي حميد رضي الله عنه يرفعه وفيه: «وإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى»^(٤)، وصفة جلوسه في هذا كجلوسه بين السجدين سواء^(٥)، فيضع يده اليسرى على فخذه اليسرى أو ركبته اليسرى، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويقبض أصابع اليمنى كلها إلا السبابة فيشير بها إلى التوحيد؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض أصابعه كلها، وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام، ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى»^(٦)، أو يُحَلِّقُ الإبهام والوسطى، ويقبض الخنصر والبنصر، ويشير بالسبابة؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ قد

= ٥٣٠/٣، وقال النووي في المجموع ٥٣٠/٣: «والأصح في مذهبنا استحبابه».

(١) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد: «الاكتفاء باستعاذة واحدة أظهر» ٢٤٢/١، وانظر: المغني لابن قدامة، ٢١٦/٢.

(٢) انظر: المقنع والشرح الكبير، لابن قدامة، ٥٣٠/٣، والشرح الممتع لابن عثيمين، ١٩٦/٣.

(٣) انظر: حاشية الروض المربع لابن قاسم، ٦٢/٢.

(٤) البخاري، برقم ٨٢٨، تقدم تخريجه.

(٥) زاد المعاد، ٢٤٢/١.

(٦) مسلم، كتاب المساجد، باب صفة الجلوس في الصلاة، وكيفية وضع اليدين على الفخذين، برقم ١١٦- (٥٨٠)، و١١٤- (٥٨٠).

حَلَّقَ الإِبْهَامَ والوَسْطَى ورفع التي تليها يدعو بها في التشهد»^(١)، أو يعقد ثلاثاً وخمسين ويشير بالسبابة، وصفتها أن يجعل الإبهام مفتوحة تحت المسبحة، وهي أن يجعل الإبهام في أصل الوسطى أو يعطف الإبهام إلى أصلها^(٢) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى^(٣)، وعقد ثلاثاً وخمسين^(٤)، وأشار

(١) ابن ماجه، برقم ٩١٢، وتقدم تخريجه.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٦/٥، وسبل السلام للصنعاني، ٣٠٨/٢، ٣١٠، والتلخيص الحبير لابن حجر، ٢٦٢/١.

(٣) وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يقول: «جاء في هذا عدة روايات:

١- تارة يضع يديه على فخذه.

٢- وتارة يضعهما على ركبته.

٣- وتارة يضع يديه على فخذه وأطراف الأصابع على ركبته.

وأما ما يتعلق باليمنى فجاء فيها ما في حديث ابن عمر. وجاء فيها ما في حديث وائل، وهو أنه يعقد الإبهام والوسطى ويشير بالسبابة ويقبض الخنصر والبنصر، وخلاصة ما جاء في ذلك ثلاث صور:

١- تارة يقبض الأصابع كلها ويشير بالسبابة.

٢- وتارة يحلق الإبهام والوسطى ويقبض الخنصر والبنصر ويشير بالسبابة.

٣- وتارة يعقد ثلاثاً وخمسين ويشير بالسبابة، وقيل في هذه الصفة: إنه يجعل طرف الإبهام في أصل الوسطى، والإشارة بالإصبع إشارة إلى التوحيد، والأقرب أنه كان يفعل هذا تارة وهذا تارة، وهذا تارة: أي صفة قبض اليد والإشارة بالسبابة» سمعته من سماحته - رحمه الله - أثناء شرحه لبلوغ المرام الحديث رقم ٣٣٢.

(٤) وقيل في صفة ثلاثة وخمسين أقوال يفسر بعضها بعضاً، فقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير: «وصورتها أن يجعل الإبهام معترضة تحت المسبحة» ٢٦٢/١، وقال الإمام النووي: «واعلم أن قوله: عقد ثلاثاً وخمسين شرطه عند أهل الحساب أن يضع طرف الخنصر على البنصر، وليس ذلك مراداً هاهنا، بل المراد أن يضع الخنصر على

بالسبابة»^(١) فظهر ثلاثة أنواع لليد اليمنى:

النوع الأول: قبض الأصابع كلها، والإشارة بالسبابة.

النوع الثاني: تحليق الإبهام والوسطى، وقبض الخنصر والبنصر، والإشارة بالسبابة.

النوع الثالث: عقد ثلاثاً وخمسين، والإشارة بالسبابة، وكلها صحيحة، وينظر أثناء جلوسه إلى إشارة سبافته؛ لحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا قعد في التشهد وضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى، وأشار بالسبابة، لا يجاوز بصره إشارته»^(٢)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفيه: «فوضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام في القبلة، ورمى ببصره إليها أو

= الراحة ويكون على الصورة التي يسميها أهل الحساب تسعة وخمسين والله أعلم». شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٦/٥، ومراده «بسط الخنصر إلى أصل الإبهام مما يلي الكف وبسط البنصر فوقها، وبسط الوسطى فوقها، وعطف الإبهام إلى أصلها» انظر: سبل السلام، ٣٠١/٢. وقال الإمام الصنعاني نقلاً عن ابن حجر في التلخيص: «صورتها أن يجعل الإبهام مفتوحة تحت المسيحة» هكذا نقل ولعلها في نسخة فنقلها الصنعاني، وقد تقدم كلام الحافظ آنفاً، انظر: سبل السلام، ٣٠٨/٢، أما ما ذكر الصنعاني، ٣١٠/٢ في طريقة العرب في الحساب لهذه الصورة فهي: عقد الخنصر والبنصر والوسطى وعطف الإبهام إلى أصلها» ٣١٠/٢، وسمعت سماحة الإمام ابن باز يقول أثناء شرحه لبلوغ المرام، الحديث رقم ٣٣٢: «وقيل في هذه الصفة: إنه يجعل طرف الإبهام في أصل الوسطى».

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب صفة الجلوس في الصلاة وكيفية وضع اليدين على الفخذين، برقم ١١٥ - «(٥٨٠)».

(٢) النسائي، كتاب السهو، باب موضع البنصر عند الإشارة وتحريك السبابة، برقم ١٢٧٥، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي: «حسن صحيح» ٢٧٢/١.

نحوها، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصنع»^(١).

ويشير بالسبابة عند ذكر الله ﷻ حال الدعاء موجهة إلى القبلة، هذا هو السنة^(٢) يحركها إلى القبلة عند ذكر الله تعالى يدعو بها^(٣)، ولا يحركها في غير ذكر الله والدعاء، بل تبقى منصوبة^(٤)، ويدل على تحريكها عند الدعاء حديث وائل بن حجر رضي الله عنه وفيه: «ثم قعد وافترش رجله اليسرى، ووضع كفه اليسرى على فخذه وركبته اليسرى، وجعل حدَّ مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى، ثم قبض اثنتين من أصابعه وحلَّق

(١) النسائي، كتاب الافتتاح، باب موضع البصر في التشهد، برقم ١٦٦٠، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي: حسن صحيح، ٢٥٠/١.

(٢) قال الإمام النووي: «والسنة أن لا يجاوز بصره إشارته، وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود، ويشير بها موجهة إلى القبلة، وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص والله أعلم»، شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٥/٥.

(٣) اختلف العلماء في موضع الإشارة بالسبابة، فقليل:

١- يحركها عند ذكر الله فقط.

٢- وقيل: عند ذكر الله وذكر رسوله ﷺ.

٣- وقيل: يشير بها في جميع التشهد أي يحركها تحريكاً دائماً.

٤- وقيل: يشير عند «إلا الله».

والصواب أنه يشير بها عند الدعاء وذكر الله فقط، وتبقى منصوبة فيما عدا ذلك. انظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٥٣٥-٥٣٦/٣، ونيل الأوطار للشوكاني، ٦٦٦-٦٦٨، وسبل السلام، ٣٠٨-٣٠٩/٢، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٨٥/٥، والمغني لابن قدامة، ١١٩/٢، والشرح الكبير لابن قدامة، ٥٣٢/٣، والشرح الممتع لابن عثيمين، ٢٠٠-٢٠٢/٣.

(٤) وسمعت الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه للروض المربع، ٦٤/٢، في فجر الأحد ١٤١٩/٨/٣ هـ يرجح: «أن السبابة لا يحركها عند الإشارة، وإنما تبقى منصوبة، إلا عند الدعاء فيحركها، ثم قال: والصواب أنها تحرك عند الدعاء، أما غير الدعاء فلا يحركها وإنما يشير بها».

حلقة، ثم رفع إصبعه فرأيته يحركها يدعو بها»^(١)، ودلَّ على عدم تحريكها دائماً حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ كان يشير بإصبعه إذا دعا ولا يحركها»^(٢)، فالجمع بين الحديثين سهل: فنفي التحريك يراد به التحريك الدائم، وإثبات التحريك يراد به التحريك عند الدعاء^(٣)، وتكون الإشارة بالسبَّاحة من اليد اليمنى، وقد أمر النبي ﷺ بالإشارة بإصبع واحدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً كان يدعو بإصبعيه فقال رسول الله ﷺ: «أَحَدٌ، أَحَدٌ»^(٤) وعن سعد قال: مرَّ عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدعو بأصابعي، فقال: «أَحَدٌ، أَحَدٌ» وأشار بالسبَّابة^(٥)، والحكمة في الإشارة بالسبَّاحة إلى أن المعبود ﷻ واحد، وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص فيه، فيكون جامعاً في التوحيد بين القول، والفعل،

(١) النسائي، كتاب الافتتاح، باب موضع اليمين من الشمال في الصلاة، برقم ٨٩٠، وكتاب السهو باب قبض الاثنتين من أصابع اليد اليمنى، وعقد الوسطى والإبهام منها وتحريك الأصبع، برقم ١٢٦٨، وصححه الألباني، في صحيح النسائي، ١/١٩٤، و١/٢٧١، وفي صحيح سنن أبي داود، ١/١٤٠، ١٨٠، وقد أخرجه أيضاً أبو داود، برقم ٩٥٧، وأحمد ٣١٨/٤، وتقدم تخريجه.

(٢) النسائي، كتاب السهو، باب بسط اليسرى على الركبة، برقم ١٢٧٠، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الإشارة في التشهد، برقم ٩٨٩، وصححه النووي في المجموع ٣/٤٥٤، وقال الأرئوط في حاشية زاد المعاد، ١/٢٣٨: «وسنده صحيح».

(٣) وبهذا جمع البيهقي في السنن الكبرى، ٢/١٣٢، وانظر: سبل السلام، ٢/٣٠٩، والشرح الممتع للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ٣/٢٠٢.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب: حدثنا محمد بن بشار، برقم ٣٥٥٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب» والنسائي، كتاب السهو، باب النهي عن الإشارة بإصبعين وبأي إصبع يشير، برقم ١٢٧٢ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ١/٢٧٢.

(٥) النسائي، كتاب السهو، باب النهي عن الإشارة بإصبعين وبأي إصبع يشير، برقم ١٢٧٣، وصححه الألباني، في صحيح سنن النسائي، ١/٢٧٢.

والاعتقاد^(١)، فعلى ما تقدم يشير بالسبّاحة عند ذكر الله يدعو بها^(٢).

٢٥- يقرأ التشهد في هذا الجلوس، فيقول: «التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»^(٣)، وهذا أصح ما ثبت في التشهد^(٤) ثم يقول: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت

(١) انظر: نيل الأوطار للشوكاني، ٦٨/٢، وسبل السلام للصنعاني، ٣٠٩/٢.

(٢) واختلف العلماء في معنى كلمة ذكر الله، فقيل: عند ذكر الجلالة، وعلى هذا فإذا قال: «التحيات لله» يشير «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله» يشير، «السلام علينا وعلى عباد الله» يشير، «أشهد أن لا إله إلا الله» يشير، فهذه أربع مرات في التشهد الأول، «اللهم صلّ» يشير، «اللهم بارك» يشير، «أعوذ بالله من عذاب جهنم» يشير، وقيل: يشير بها عند الدعاء، فكلما دعوت حركت إشارة إلى علو المدعو ﷺ، وعلى هذا فإذا قال: «السلام عليك أيها النبي» يشير؛ لأن السلام خبر بمعنى الدعاء، «السلام علينا» يشير، «اللهم صلّ على محمد» يشير، «اللهم بارك على محمد» يشير، «أعوذ بالله من عذاب جهنم» يشير، «ومن عذاب القبر» يشير، «ومن فتنة المحيا والممات» يشير، «ومن فتنة المسيح الدجال» يشير، وكلما دعا يشير. انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٢٠١/٣-٢٠٢، قلت: والظاهر والله أعلم أنه يشير عند لفظ الجلالة، وعند الضمير الذي يعود عليه، وعند الدعاء إشارة إلى علو المدعو سبحانه، وتقدم.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب التشهد في الصلاة، برقم ٨٣١، ورقم ٨٣٥، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٢ عن ابن مسعود ؓ ولفظه عند البخاري قال: «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإنكم إذا قلتم ذلك أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو». هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «ثم ليتخير من المسألة ما شاء» أما زيادة «وحده لا شريك له» فهي للنسائي في السنن، برقم ١١٦٨.

(٤) وإن شاء المصلي أن ينوع في التشهد فقد جاء له عدة صيغ منها:

على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١)، وهذا أكمل ما ثبت في الصلاة عن النبي ﷺ^(٢)، ويستعيز بالله من

= ١- حديث عبد الله بن مسعود السابق وهو أصح ما ورد.

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: «التحيات المباركات، الصلوات، الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله» مسلم برقم ٤٠٣.

٣- حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ولفظه: «التحيات الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» مسلم برقم ٤٠٤. وزاد النسائي برقم ١١٧٣، وأبو داود برقم ٩٧١، «وحده لا شريك له».

٤- حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: مثل حديث ابن مسعود رضي الله عنه. أبو داود، برقم ٩٧١، وصححه الألباني، ١٨٢/١، إلا أنه قال: زدت فيها «وبركاته» وقال: «زدت فيها وحده لا شريك له».

٥- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولفظه: «التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات لله، الصلوات لله، السلام عليك...» كتشهد ابن مسعود. مالك، برقم ٥٣، والبيهقي، ١٤٤/٢، والدارقطني، ٣٥١/١، وعبد الرزاق، برقم ٣٠٦٧، وقال الزيلعي في نصب الراية، ٤٢٢/١: «وهذا إسناد صحيح» وهو موقوف له حكم الرفع، وبأي تشهد يتشهد مما صح عن النبي ﷺ جاز، ولكن أصلها وأفضلها ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انظر: المغني لابن قدامة، ٢٢١/٢-٢٢٢. وانظر: صفة الصلاة للألباني، ص ١٧٢-١٧٧.

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب: حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧٠.

(٢) الصلاة على النبي ﷺ جاءت في روايات على أنواع منها:

١- حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال سألتنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد ... وذكر حديث كعب السابق في كتاب الأنبياء في صحيح البخاري برقم ٣٣٧٠.

٢- وحديث كعب بن عجرة الآخر، قال: إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل

أربع: فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنه المحيا والممات، ومن شرفة فتنة المسيح الدجال»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم.. الحديث». ولفظ مسلم: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع: من

= محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». البخاري، برقم ٤٧٩٧، ورقم ٦٣٥٧، ومسلم، برقم ٤٠٦.

٣- حديث أبي مسعود الأنصاري، وفيه: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم». مسلم، برقم ٤٠٥.

٤- حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» البخاري، برقم ٣٣٦٩، ورقم ٦٣٦٠، ومسلم، برقم ٤٠٧، واللفظ له.

٥- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم» البخاري، برقم ٦٣٥٨.

٦- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قلنا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت [وباركت] على إبراهيم وآل إبراهيم [في العالمين] إنك حميد مجيد». النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٤٧، وعزاه ابن القيم في جلاء الأفهام، ص ٤٤ إلى محمد بن إسحاق السراج، ثم قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وما بين المعقوفين للسراج، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١/١٥٩.

عذاب جهنم... الحديث»^(١)، ويدعو بما شاء، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» قالت: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيز من المغرم يا رسول الله! فقال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف»^(٢).

ثانياً: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»؛ لحديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعوه به في صلاتي، قال: «قل اللهم...» الحديث^(٣). وفي رواية لمسلم: «علمني دعاء أدعوه به في صلاتي وفي بيتي»^(٤).

ثالثاً: «اللهم اغفر لي ما قدَّمْتُ، وما أخَّرْتُ، وما أسرَرْتُ، وما أعلَنتُ، وما أنت أعلمُ به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»؛ لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه: ثم يكون من آخر ما يقول

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، برقم ١٣٧٧، بلفظ: «كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال». ومسلم، بلفظه، في كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٨.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٢، ومسلم، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٩.

(٣) متفق عليه، البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٤، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الدعوات والتعوذات، برقم ٢٧٠٥.

(٤) مسلم، برقم ٤٨ - «(٢٧٠٥)».

بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي...» الحديث^(١).

رابعاً: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك [من] أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»؛ لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم الغلمان الكتابة ويقول: «إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة»^(٢). وفي رواية: «كان النبي ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تُعلم الكتابة»^(٣).

خامساً: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك» لحديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ، لا تدعن دُبر كل صلاة تقول: اللهم أعني...» الحديث^(٤).

سادساً: «اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «ما تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد، ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، قال: «حولها ندندن»^(٥).

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يتعوذ من الجبن، برقم ٢٨٢٢، ورقم ٦٣٦٥، ٦٣٧٤، ٦٣٩٠.

(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الدنيا، برقم ٦٣٩٠.

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، برقم ١٥٢٢، والنسائي كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، برقم ١٣٠٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٨٤.

(٥) ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، برقم ٣٨٤٧، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/٣٢٨، و١/١٥٠. ورواه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، برقم ٧٩٢.

سابعاً: «اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم»؛ لحديث مَحْجَن بن الأدرع أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته، وهو يتشهد، ويقول: «اللهم إني أسألك يا الله...» وفي آخره فقال رسول الله ﷺ: «قد غفر له» ثلاثاً^(١).

ثامناً: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك...»؛ لحديث أنس رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً، ورجل يصلي، ثم دعا: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد...» الحديث وفي آخره، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»^(٢).

تاسعاً: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»؛ لحديث بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك...» الحديث، وفي آخره، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سأل

(١) النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٣٠١، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول بعد التشهد، برقم ٩٨٥، وأحمد، ٣٣٨/٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٨٠/١، وصحيح أبي داود، ١٨٥/١.

(٢) أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، وابن ماجه كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٨، والبخاري، في الأدب المفرد، برقم ٧٠٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٧٩/١، وأخرجه أحمد في المسند، ١٥٨/٣، ٢٤٥/٣، والطبراني في الكبير، برقم ٤٧٢٢ وذكر الألباني أنه وجد في رواية في آخره: «أسألك الجنة وأعوذ بك من النار» فلتراجع، انظر: صفة الصلاة له، ص ٢٠٤.

الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»^(١).

عاشراً: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك بَرْدَ العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مُضِلَّة، اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين»؛ لحديث عمار رضي الله عنه أنه صلى بأصحابه فأوجز في صلاته، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أمّا على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، ثم ذكر هذه الدعوات^(٢).

ويدعو بما يشاء من خير الدنيا والآخرة، وإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس، سواء كانت الصلاة فريضة أو نافلة، لعموم قول النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه لَمَّا علمه التشهد: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو» وفي لفظ: «ثم ليتخير من المسألة ما شاء»^(٣)، وهذا يعمّ جميع ما ينفع في الدنيا والآخرة^(٤).

(١) أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء برقم ١٤٩٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٧، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/٢٣٩.

(٢) النسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر، برقم ١٣٠٦، وأحمد، ٤/٣٦٤، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ١/٢٨١.

(٣) البخاري، برقم ٨٣١، ٨٣٥، ومسلم، برقم ٤٠٢، وتقدم تخريجه.

(٤) انظر: كيفية صلاة النبي ﷺ، للإمام ابن باز، ص ١٨.

٢٦- ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلاً: «السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله»؛ لحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ قلنا: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، فقال رسول الله ﷺ: «علام تؤمّون بأيديكم كأنها أذناب خيل شمس، إنما يكفي أحدكم أن يضع يده على فخذه ثم يسلم على أخيه، من على يمينه وشماله»^(١)، وعن أبي معمر أن أميراً كان بمكة يسلم تسليمين، فقال عبد الله: أنى علّقها؟^(٢) قال الحكم في حديثه: «إن رسول الله ﷺ كان يفعل»^(٣)، وعن عامر بن سعد عن أبيه قال: «كنت أرى رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده»^(٤)، وينصرف عن يمينه وعن شماله لا حرج في شيء من ذلك^(٥).

٢٧- إن كانت الصلاة ثلاثية: كصلاة المغرب، أو رباعية: كالظهر، والعصر، والعشاء، اكتفى بالتشهد الأول والأفضل أن يصلي على النبي ﷺ^(٦)

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام، برقم ٤٣١.

(٢) أنى علّقها: أي من أين حصل على هذه السنة، وظفر بها فكأنه تعجب.

(٣) مسلم، كتاب المساجد، باب السلام للتحليل من الصلاة عند فراغها وكيفيته، برقم ٥٨١.

(٤) مسلم، كتاب المساجد، الباب السابق، برقم ٥٨٢، قال الصنعاني - رحمه الله - في سبل السلام: «وحديث التسليمين رواه خمسة عشر من الصحابة... كلها بدون زيادة وبركاته إلا في رواية وائل، ورواية عن ابن مسعود» فقال المحقق: «بل ضعف ذلك، ثم ذكر تسعة وعشرين صحابياً، وخرج رواياتهم» سبل السلام، ٣٣٠/٢.

(٥) البخاري، برقم ٨٥٢، ومسلم، برقم ٧٠٧، ٧٠٨.

(٦) الأفضل أن يصلي على النبي ﷺ في التشهد الأول؛ لعموم الأدلة، وكان الشعبي لا يرى بأساً أن يصلي على النبي ﷺ فيه، وكذلك قال الشافعي، انظر: المغني لابن قدامة، ٢٢٣/٢، وقال المرداوي في الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٥٤٠/٣ «واختار ابن هبيرة زيادة الصلاة على النبي ﷺ، واختاره الآجري، وزاد وعلى آله»، وسمعت الإمام

كما تقدّم آنفاً، ثم ينهض على صدور قدميه وعلى ركبتيه معتمداً على فخذه مكبراً رافعاً يديه حذو أذنيه أو منكبيه؛ لحديث وائل رضي الله عنه، وفيه: «وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه»^(١)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفيه: «وإذا قام من الركعتين رفع يديه»^(٢)؛ ولحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه وفيه: «ثم إذا قام من الركعتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة ثم يصنع ذلك في بقية صلاته»^(٣)، ويضع يديه على صدره؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه وفيه: «رأيت رسول الله ﷺ إذا كان قائماً في الصلاة قبض يمينه على شماله»^(٤)، ويقرأ الفاتحة سرّاً فقط، وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة على الفاتحة في بعض الأحيان فلا بأس؛ لحديث أبي سعيد رضي الله عنه^(٥). ويصلي الثالثة من المغرب، والثالثة والرابعة من الظهر والعصر والعشاء كالركعة الثانية كما تقدّم؛ لقوله ﷺ في حديث

= عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - يوم الأحد ١٤١٩/٨/٣ هـ أثناء شرحه للروض المربع، ٧٠/٢، ٧٣، يقول: «والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول أفضل وهي أكد في الثاني لعموم الأدلة».

وسمعتة مرة يستدل على استحباب الصلاة على النبي ﷺ بآخر حديث ابن مسعود رضي الله عنه في التشهد: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه» «ثم ليتخير من المسألة ما شاء»، ولكن لو وقف في التشهد الأول على «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» كفى والحمد لله. وانظر: زاد المعاد لابن القيم، ٢٤٥/١، وصفة الصلاة للألباني، ص ١٧٧، والشرح الممتع، ٢٢٦/٣، ومجموع فتاوى الإمام ابن باز، ١١/١٦١، ٢٠٢.

(١) أبو داود، برقم ٨٣٨، والترمذي، برقم ٢٦٨، والنسائي، برقم ١٠٨٩، وابن ماجه، برقم ٨٨٢، وغيرهم، وتقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري: البخاري، برقم ٧٣٩، ومسلم، برقم ٣٩٠، وتقدم تخريجه.

(٣) البخاري، برقم ٨٢٨، واللفظ لأبي داود، برقم ٧٣٠، وتقدم تخريجه.

(٤) النسائي، برقم ٨٨٧، وتقدم تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم، برقم ٤٥٢، وتقدم تخريجه.

المسيء صلاته بعد أن علّمه الركعة الأولى: «ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»^(١).

٢٨- يجلس في التشهد الأخير متوركاً^(٢)؛ لحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه وفيه: «فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى، وإذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته»^(٣). وفي لفظ: «حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخر رجله اليسرى وقعد متوركاً على شقه الأيسر» قالوا: صدقت هكذا كان يصلي ﷺ وهذا هو الأفضل: أن يفتersh في التشهد الأول^(٤)، ويتورك في

(١) البخاري، برقم ٨٢٤، ومسلم، برقم ٣٩٧، وتقدم تخريجه.

(٢) اختلف أهل العلم في موضع التورك في أي التشهدين يكون:

١- قال قوم: يتورك في التشهد الأول والثاني، وهذا مذهب مالك - رحمه الله -.

٢- وقال قوم: يفتersh اليسرى فيهما وينصب اليمنى، وهو قول أبي حنيفة - رحمه الله -.

٣- وقال قوم: يتورك في كل تشهد يليه السلام ويفتersh في غيره، وهو قول الشافعي - رحمه الله -.

٤- وقال قوم: يتورك في كل صلاة فيها تشهدان في الأخير منهما، ويفتersh في غير ذلك، وهو

قول الإمام أحمد - رحمه الله - . انظر: زاد المعاد لابن القيم ٢٤٣/١، وشرح النووي على

صحيح مسلم، ٨٤/٥، ونيل الأوطار للشوكاني، ٥٤/٢، والمغني لابن قدامة، ٢٢٥/٢، ٢٢٦،

٢٢٧، ٢٢٨، وقال النووي: «ومذهب الشافعي يفتersh في الأول ويتورك في الأخير ووافق

الأقوال السابقة إلا أنه لم يذكر مذهب الإمام أحمد. شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٤/٥.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، برقم ٨٢٨.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الافتتاح، رقم ٧٣٠، وصححه الألباني في صحيح سنن

أبي داود، ١٤١/١.

(٥) قال الإمام النووي رحمه الله: «وقد سبق اختلاف العلماء في أن الأفضل في الجلوس في

التشهدين التورك أم الافتراش، فمذهب مالك وطائفة تفضيل التورك فيهما، ومذهب أبي

حنيفة وطائفة تفضيل الافتراش، ومذهب الشافعي... وطائفة يفتersh في الأول ويتورك في

الأخير، لحديث أبي حميد الساعدي ورفقته في صحيح البخاري، وهو صريح في الفرق

الآخر^(١) لفعله ﷺ^(٢).

= بين الشاهدين، قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : «والأحاديث الواردة بتورك أو افتراش مطلقة لم يبين فيها أنه في الشاهدين أو أحدهما، وقد بينه أبو حميد ورفقته ووصفوا الافتراش في الأول، والتورك في الأخير، وهذا مبين فوجب حمل ذلك المجمع عليه، والله أعلم». شرح النووي، ٨٤/٥.

(١) وقيل: جاء التورك على ثلاثة أنواع هي:

النوع الأول: يخرج الرجل اليسرى من الجانب الأيمن مفروشة ويجلس على مقعدته على الأرض وتكون الرجل اليمنى منصوبة؛ لحديث أبي حميد وفيه: «وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى، وقعد على مقعدته». البخاري، برقم ٨٢٨، وفي رواية: «حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخر رجله اليسرى وقعد متوركاً على شقه الأيسر» أبو داود، برقم ٧٣٠، ورقم ٩٦٣، ٩٦٤.

النوع الثاني: يجلس متوركاً ويفرش القدمين جميعاً ويخرجهما من الجانب الأيمن، لحديث أبي حميد وفيه: «فإذا كانت الرابعة أفضى بوركه اليسرى إلى الأرض وأخرج قدميه من ناحية واحدة» أبو داود، برقم ٩٦٥، ورقم ٧٣١، وابن حبان «موارد» برقم ٤٩١، وانظر: صحيح ابن خزيمة، ٣٤٧/١، وابن حبان «إحسان»، برقم ١٨٦٧، والبيهقي، ١٢٨/٢، وصححه الألباني في صفة الصلاة، ص ١٩٧.

النوع الثالث: يفرش قدمه اليمنى ويدخل اليسرى بين فخذ وساق الرجل اليمنى؛ لحديث عبد الله بن الزبير عن أبيه يرفعه: «كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذ وساقه وفرش قدمه اليمنى». مسلم، برقم ٥٧٩، قال الإمام ابن القيم: ولعله كان يفعل هذا تارة، وهذا تارة، زاد المعاد، ٢٥٣/١، وقال العلامة ابن عثيمين: «وعلى هذا ينبغي أن يفعل الإنسان هذا مرة، وهذا مرة»، وهذا بناء على القاعدة: أن العبادات الواردة على وجوه متنوعة ينبغي أن تفعل على جميع الوجوه الواردة؛ لأن هذا أبلغ في الاتباع، من الاختصار على شيء واحد، انظر: الشرح الممتع، ٣/٣٠٠، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٣٥-٣٣٧، والمغني لابن قدامة، ٢/٢٢٧-٢٢٨، وصفة صلاة النبي ﷺ للألباني، ص ٩٩٧، ونيل الأوطار، ٥٤/٢-٥٥.

(٢) وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه للروض المربع، ٨٢/٢ في يوم الأحد ١٤١٩/٨/١٠ هـ يقول: «السنة التورك في التشهد الأخير وينصب اليمنى، والتشهد الأول يفرش اليسرى وينصب اليمنى».

٢٩- يقرأ التشهد مع الصلاة على النبي ﷺ، والدعاء بما يحب بعد الثالثة من المغرب، وبعد الرابعة من الظهر والعصر، والعشاء، كما تقدم تفصيلاً^(١).

٣٠- يُسَلِّم عن يمينه وشماله، قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله^(٢).

السبب الثاني والخمسون: المحافظة على الأذكار أدبار الصلوات المفروضة:

لا شك أن مما يُعين على تثبيت الخشوع في القلب المحافظة على الأذكار المشروعة أدبار الصلوات المفروضة، وفيها من الفوائد مع ما يحصل بسبب ذلك من تثبيت الخشوع في القلب: أن المصلي يستغفر ربه عمّا حصل من التقصير في صلاته، وعما حصل من الخلل في الخشوع، ولا شك أن الأذكار بعد الصلاة مما يجبر النقص فيها، وقد شرع رسول الله ﷺ أذكّاراً ودعوات أدبار الصلوات المفروضة وهي على النحو الآتي:

أولاً: «أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»؛ لحديث ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام...» الحديث^(٣). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا سلّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت

(١) وتقدم تخريج الأدلة.

(٢) وتقدم تخريج الأدلة.

(٣) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩١.

يا ذا الجلال والإكرام»^(١)، ومقصودها رضي الله عنها: لم يقعد مستقبل القبلة إلا مقدار هذا الدعاء ثم يستقبل الناس بوجهه؛ ولحديث سمرة رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه»^(٢).

ثانياً: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» ثلاث مرات؛ لحديث المغيرة رضي الله عنه ولفظه: عن ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة: أن معاوية كتب إلى المغيرة: أن اكتب إليّ بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فكتب إليه المغيرة: إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» [ثلاث مرات] قال: وكان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات، وعقوق الأمهات، ووأد البنات»^(٣).

ثالثاً: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد [يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير]^(٤)، وهو على كل شيء قدير،

(١) مسلم، في الكتاب والباب السابقين، برقم ٥٩٢.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم، برقم ٨٤٥.

(٣) البخاري، بلفظه، في كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، برقم ٦٤٧٣، وزيادة: «ثلاث مرات» في طبعة دار السلام، وطبعة دار الفكر، وفي نسخة البخاري المطبوعة مع إرشاد الساري، للقسطلاني، ونسخة البخاري المطبوعة مع عمدة القاري للعيني، وليست هذه الزيادة في الطبعة السلفية المطبوعة مع فتح الباري، وسمعت الإمام العلامة عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - أثناء شرحه للبخاري، الحديث رقم ٦٤٧٣، وشرحه للروض المربع، ٨٥/٢ يقول: «وفي رواية عبد بن حميد في مسنده ثلاث مرات» ثم قال: «وليست في الصحيح وإنما هي لعبد بن حميد بإسناد جيد، [وقال مرة] لا بأس به. والحديث رواه مسلم أيضاً بدون هذه الزيادة، برقم ٥٩٣.

(٤) هذه الزيادة بين المعقوفين للطبراني في المعجم الكبير، ٣٩٢/٢٠، برقم ٩٢٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنيع الفوائد، ١٠٣/١٠ «ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت [ولا راد لما قضيت] ^(١)، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»؛ لحديث المغيرة رضي الله عنه فعن وِراء مولى المغيرة بن شعبة قال: كتب المغيرة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة إذا سلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له...» الحديث ^(٢).

رابعاً: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»؛ لحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه كان يقولها في دبر كل صلاة حين يسلم... ثم قال: «كان رسول الله ﷺ يُهَلِّلُ بهن دبر كل صلاة» ^(٣).

خامساً: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين) لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر» ^(٤).

والتسبيح والتحميد، والتكبير وَرَدَ على عدة أنواع ينبغي للمسلم أن

(١) هذه الزيادة بين المعقوفين، لعبد بن حميد في مسنده، ص ١٥٠-١٥١، رقم ٣٩١، وانظر نيل الأوطار، ١٠٠/٢. وسمعت الإمام ابن باز - رحمه الله - يقول: «ثبتت هذه الزيادة عن النبي ﷺ».

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء، برقم ٦٣٣٠، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٣.

(٣) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٤.

(٤) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٧.

ينوع بينها إذا شاء، فيقول هذا في صلاة، ويقول الآخر في صلاة أخرى؛ لأن في ذلك فوائد منها: اتباع السنة، وإحياء السنة، وحضور القلب^(١)، ومن هذه الأنواع في التسبيح، والتحميد، والتكبير، ما يأتي:

النوع الأول: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ثلاثاً وثلاثين، ويختم بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» فتكون مائة؛ لحديث أبي هريرة السابق^(٢).

النوع الثاني: «سبحان الله، ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر أربعاً وثلاثين» فتكون مائة؛ لحديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مُعَقَّبات^(٣) لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دُبرَ كل صلاة مكتوبة: ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، وأربعاً وثلاثين تكبيرة»^(٤).

النوع الثالث: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون»؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور^(٥) من الأموال بالدرجات العلا، والنعيم المقيم [فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يحجون بها، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون فقال: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به

(١) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين، ٣٧/٣، ٣٠٠، ٣٠٩، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/٢٢-٣٧، والاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٨٥.

(٢) مسلم، برقم ٥٩٧، وتقدم تخريجه.

(٣) مُعَقَّبات: أي تسبيحات تُفعل أعقاب الصلوات، أو سُمِّيت مُعَقَّبات: لأنها تُفعل مرةً بعد أخرى.

(٤) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٦.

(٥) الدثور: الأموال الكثيرة.

مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟»
 قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ فِي دُبُرِ
 كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ،
 فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله
 ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١).

النوع الرابع: «سبحان الله» عشر مرات «والحمد لله» عشر مرات
 والله أكبر «عشر مرات»؛ لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال
 رسول الله ﷺ: «خصلتان لا يُحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، وهما
 يَسِيرُ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ» قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس،
 يُسَبِّحُ أَحَدَكُمْ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَهِيَ
 خَمْسُونَ وَمِائَةٌ فِي اللِّسَانِ»^(٢)، وألف وخمسمائة في الميزان»^(٣) فرأيت
 رسول الله ﷺ يعقدهن بيده، «وإذا أوى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ أَوْ مَضْجَعِهِ،
 سَبَّحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمَدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهِيَ مِائَةٌ
 عَلَى اللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ» قال: قال رسول الله ﷺ: «فَأَيْتُكُمْ يَعْمَلُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ سَيِّئَةً؟» قيل: يا رسول الله وكيف لا
 نحصيها؟ فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فيقول: اذْكُرْ
 كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، وَيَأْتِيهِ عِنْدَ مَنَامِهِ، فينميه» وفي لفظ ابن ماجه: «فلا يزال

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٨٤٣، ورقم ٥٩٥،
 ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ٥٩٥، وما
 بين المعقوفات من ألفاظ مسلم.

(٢) وذلك أن جميع الصلوات الخمس مائة وخمسون. نيل الأوطار، ١٠٢/٢، وعمل اليوم
 واللييلة للنسائي، ١٥٣.

(٣) وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، ١٠٢/٢.

ينومه حتى ينام»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه وفيه: «تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدُونَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُونَ عَشْرًا»^(٢).

النوع الخامس: «يُسَبِّحُ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَيَحْمَدُ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَيُكَبِّرُ إِحْدَى عَشْرَةَ»^(٣)؛ لحديث أبي هريرة في فقراء المهاجرين، ففي رواية من روايات هذا الحديث عن سهيل عن أبيه، يقول سهيل: «إِحْدَى عَشْرَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، فَجَمِيعَ ذَلِكَ كُلَّهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ»^(٤).

النوع السادس: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» يقول ذلك كله خمساً وعشرين مرة؛ لحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وثبت عن ابن عمر يرفعه أيضاً رضي الله عنهما^(٥).

(١) أخرجه النسائي، في كتاب السهو، باب عدد التسييح بعد التسليم، برقم ١٣٤٨، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٦، وأبو داود، كتاب الأدب، باب التسييح عند النوم، برقم ٥٠٦٥، والترمذي في كتاب الدعوات، برقم ٣٤١٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد، ٥٠٢/٢، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٢٩٠/١، وصحيح ابن ماجه، ١٥٢/١، وله شاهد من حديث أنس عند النسائي، برقم ٢٩٩، والترمذي، برقم ٤٨١، وأحمد، ١٢٠/٣، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ٢٥٥/١، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، ٢٧٩/١.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، برقم ٦٣٢٩.

(٣) اختار ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الاختيارات الفقهية، ص ٨٥، وانظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣٠٠/١.

(٤) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وصفته، برقم ٥٩٥-٤٣، وانظر: زاد المعاد لابن القيم، ٢٩٩/١، ونيل الأوطار، ١٠١/٢.

(٥) النسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من عدد التسييح، برقم ١٣٥٠، ١٣٥١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، برقم ٣٤١٣، وقال: هذا حديث صحيح، وابن خزيمة، برقم ٧٥٢، وأحمد، ١٨٤/٥، والدارمي، ٣١٢/١، والطبراني، برقم ٤٨٩٨، وابن حبان، برقم =

سادساً: يقرأ آية الكرسي: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» إلى آخرها؛ لحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبَّرَ كُلُّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ». وزاد الطبراني: و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^(١).

سابعاً: يقرأ المعوذات الثلاث: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» دبر كل صلاة؛ لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمَعُودَاتِ دُبَّرَ كُلُّ صَلَاةٍ»^(٢).

ثامناً: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت [بيده الخير]^(٣) وهو على كل شيء قدير» عشر مرات عقب صلاة الفجر وعقب صلاة المغرب؛ لحديث أبي ذر، ومعاذ، وأبي عياش الزرقني، وأبي أيوب، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري، وأبي

= ٢٠١٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٥٧، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٢٥٣/١، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١٩١/١.

(١) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ١٢١، والطبراني في الكبير، ١١٤/١، برقم ٧٥٣٢، وصححه ابن حبان، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢٦١/٢: «رواه النسائي والطبراني بأسانيد أحدها صحيح»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠٢/٠: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد وأحدها جيد». وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣٣٩/٥، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٩٧/٢، برقم ٩٧٢، وانظر: حاشية زاد المعاد، ٣٠٥/١.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب: في الاستغفار، برقم ١٥٢٣، والنسائي، كتاب السهو، باب الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة، برقم ١٣٣٦، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، برقم ٢٩٠٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٨٤/١، وصحيح الترمذي، ٨/٢.

(٣) انظر: كشف الأستار لليزار، ٢٥/٤ برقم ٣١٠٦.

الدرداء، وأبي أمامة، وعماره بن شبيب السبائي رضي الله عنه ^(١).

ومجموع ما في أحاديثهم رضي الله عنهم أن من قالها بعد صلاة المغرب أو صلاة الصبح عشر مرات، بعث الله له مسلحة ^(٢) يحرسونه من الشيطان حتى يصبح، ومن حين يصبح حتى يمسي، ورفع له عشر درجات، وكان

(١) ١- أما حديث أبي ذر، فأخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب: حدثنا قتيبة، برقم ٣٤٧٤، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وأحمد، ٤٢٠/٥، وقال المحشي على زاد المعاد: «بسنده صحيح»، ٣٠١/١، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٢٧.

٢- وأما حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري، فأخرجه أحمد، ٢٢٧/٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٩١/١.

٣- وأما حديث أبي أيوب فأخرجه أحمد، ٤١٤/٥، ٤١٥، ٤٢٠، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٤، وابن حبان في صحيحه، برقم ٢٠٢٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، ١٩٠/١.

٤- وأما حديث أبي عياش الزرقني، فأخرجه أحمد، ٦٠/٤، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في التسبيح عند النوم، برقم ٥٠٧٧، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٨٦٧.

٥- وأما حديث معاذ، فأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٢٦، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ١٣٩، والطبراني في كتاب الدعاء، رقم ٧٠٥.

٦- وأما حديث عماره بن شبيب السبائي، فأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٧٧، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حميد، برقم ٣٥٣٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٩٠/١.

٧- وأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني وقال عنه المنذري في الترغيب والترهيب، ٣٧٥/١: «رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١١١/١٠: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الأوسط ثقات»، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، ١٩١/١.

٨- وأما حديث أبي الدرداء، فذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ١١١/١٠، وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط، وقال المحشي على الترغيب والترهيب للمنذري، ٧٥/١: حسن بشواهد.

(٢) المَسْلُحَةُ: القوم الذين يَحْفَظُونَ الثُّغُورَ من العدو، وُسُومُوا مسلحة؛ لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلحة، وهي الثغر... النهاية لابن الأثير، مادة (سلاح).

في حرزٍ من كل مكروه يومه ذلك، وكتب الله له بها عشر حسنات موجبات، ومحا عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له كعدل عشر رقيات مؤمنات، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله» وكان من أفضل الناس عملاً إلا رجلاً يفضل به بقول أفضل مما قال.

تاسعاً: اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً» بعد السلام من صلاة الفجر؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً...» الحديث^(١).

عاشراً: «ربّ قني عذابك يوم تبعث عبادك»؛ لحديث البراء رضي الله عنه قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحيينا أن نكون عن يمينه، يقبل علينا بوجهه، قال: فسمعتة يقول: «ربّ قني عذابك يوم تبعث عبادك أو تجمع عبادك»^(٢).

الحادي عشر: رفع الصوت بالذكر عند انصراف الناس من الفريضة سنة؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير»^(٣)، وفي لفظ للبخاري: «أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ»^(٤). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «فكان المراد أن رفع الصوت بالذكر: أي التكبير، وكأنهم كانوا يبدؤون بالتكبير بعد الصلاة قبل التسبيح

(١) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، برقم ٩٢٥، وأحمد، ٣٠٥/٦، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١٥٢/١، وانظر: مجمع الزوائد، ١١١/١٠.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب يمين الإمام، برقم ٧٠٩.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٨٤٢، ومسلم واللفظ له، كتاب المساجد، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٥٨٣.

(٤) متفق عليه: البخاري في الكتاب والباب السابقين، برقم ٨٤١، ومسلم، كتاب المساجد، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٥٨٣.

والتحميد»^(١)، وقد فُسِّر ذلك ووضَّحه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا صالح قال: «الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، حتى تبلغ من جميعهن ثلاثاً وثلاثين»^(٢)، فبدأ بالتكبير.

السبب الثالث والخمسون: المحافظة على السنن الرواتب قبل الفريضة وبعدها:

المحافظة على أداء السنن الرواتب التي قبل الصلاة يوقظ القلب السَّليم، ويهيئه للخشوع في الفريضة، والمحافظة على السنن الرواتب التي بعد الصلاة يجبر نقصها، ويجبر ما حصل من الخلل في خشوعها، وقد شرع رسول الله صلَّى الله عليه وآله هذه الرواتب؛

لحديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلَّى الله عليه وآله كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة»^(٣)؛ ولحديث أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «من صلَّى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُني له بهنَّ بيتٌ في الجنة»، وفي لفظ: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة، أو إلا بُني له بيتٌ في الجنة»^(٤)، وزاد الترمذي في تفسيرها: «أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر صلاة الغداة»^(٥)؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٣٢٦/٢، وسمعت سماحة الإمام ابن باز يقول في هذا الموضع: «بالتكبير» يعني مع «سبحان الله».

(٢) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، برقم ٥٩٥.

(٣) البخاري، كتاب التهجد، باب الركعتين قبل الظهر برقم ١١٨٢.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل السنن الرواتب قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن، برقم ٧٢٨.

(٥) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة من السنة

قال: «حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح»، وفي رواية «وركعتين بعد الجمعة في بيته»^(١).

فالرواتب عشر، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما أو اثنتي عشرة، كما قالت أم حبيبة وعائشة رضي الله عنهما وسمعت شيخنا الإمام العلامة ابن باز - رحمه الله - يذكر أن من أخذ بحديث ابن عمر قال: الرواتب عشر، ومن أخذ بحديث عائشة قال: اثنتي عشرة، ويؤيد حديث عائشة ما رواه الترمذي في تفسيرها، ويدل عليه حديث أم حبيبة في فضل هذه الرواتب، ويحتمل أن رسول الله ﷺ كان تارة يصلي ثنتي عشرة، كما في حديث أم حبيبة وعائشة، وتارة يصلي عشراً، كما في حديث ابن عمر، فإذا نشط المسلم صلى ثنتي عشرة، وإذا كان هناك شاغل صلى عشراً، وكلها رواتب، والكمال والتمام أن يصلي كما في حديث عائشة وأم حبيبة^(٢).

وإن أراد المسلم أن يحافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار؛ لحديث أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها حرمه الله على النار»^(٣).

= وماله فيه من الفضل، برقم ٤١٥.

(١) متفق عليه: البخاري كتاب التهجد، باب الركعتين قبل الظهر، برقم ١١٨، ورقم ٩٣٧، و١١٦٥، و١١٧٢، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل السنن الرواتب، برقم ٧٢٩.

(٢) سمعته من سماحته - رحمه الله - أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٣٧٤.

(٣) أحمد في المسند، ٣٢٦/٦، وأبو داود، كتاب التطوع، باب الأربع قبل الظهر وبعدها، برقم ١٢٦٩، والترمذي، كتاب الصلاة باب منه، برقم ٤٢٧، وحسنه، والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الاختلاف على إسماعيل بن أبي خالد، برقم ١٨١٤، وابن ماجه، قبل الظهر أربعاً وبعدها أربعاً، برقم ١١٦٠، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١٩١/١، وسمعت الإمام العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز يقول في تقريره على بلوغ

وإن أراد المسلم أن يصلي أربعاً قبل العصر رحمه الله؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرأً صلى أربعاً قبل العصر»^(١).
وصلى الله، وسلّم، وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.



= المرام الحديث رقم ٣٨١: «هذا الحديث إسناده جيد، والذي حافظ عليه النبي ﷺ هو ما في حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم».

قلت: وقد رأيته يصلي أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها جالساً في آخر حياته - رحمه الله -
(١) أحمد في المسند، ١١٧/٢، وأبو داود كتاب التطوع، باب الصلاة قبل العصر برقم ١٢٧١، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، برقم ٤٣٠، وحسنه، وابن خزيمة في صحيحه، برقم ١١٩٣ وغيرهم، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٣٧/١، وسمعت الإمام العلامة ابن باز أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٣٨٢ يقول: «جيد لا بأس بإسناده، وهو يدل على مشروعية صلاة قبل العصر وذلك سنة وليست من الرواتب؛ لأن النبي ﷺ لم يواظب عليها، وجاء عنه ﷺ من حديث علي رضي الله عنه أنه كان يصلي ركعتين قبل العصر، وهذا يدل على أنه يستحب للمؤمن أن يصلي قبل العصر ركعتين أو أربعاً».